

الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي في
ظل تنامي العولمة: دراسة مقارنة لحالات
الجزائر – تونس – المغرب

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية

تخصص علاقات مغربية و متوسطة في التعاون و الأمن

إشراف:

إعداد الطالبة:

أ.د. صالح زباني

صفية نزاري

لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. جندي عبد الناصر	أستاذ التعليم العالي	باتنة	رئيسا
أ.د. زباني صالح	أستاذ التعليم العالي	باتنة	مشرفا و مقرا
د. مجذوب عبد المومن	أستاذ محاضر	ورقلة	عضوا مناقشا
د. باي أحمد	أستاذ محاضر	باتنة	عضوا مناقشا

إنِّي رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه، إلا قال في نفسه: لو نُحِرَّ
هذا لكان أحسن، و لو زيدَ كذا لكان يُستحسن، و لو قُدِّمَ هذا لكان
أفضل، و لو تُرِكَ هذا لكان أجمل، و هذا من أعظم العبر، و هو دليل
على استيلاء النقص على جملة البشر.

العسقلاني

شكر و تقدير:

إلى أستاذي الفاضل المشرف على هذا البحث الدكتور زياني صالح،
على ملاحظاته الدقيقة، وحرصه الشديد على حسن الصياغة والإتقان في
العمل، فكان مكملاً لنقصي، وفاتحاً لي آفاقاً لم أكن
لأدركها لولاه، و الذي على الرغم من انشغالاته لم يبخل علي بتوجيهاته
فساهم بذلك كثيراً في إنجاز هذا العمل.

لكم منا فائق الاحترام والشكر و العرفان، و نتمنى لكم المزيد من
التقدم، وخدمة العلم و طالبيه.

إلى أعضاء لجنة المناقشة لاهتمامهم و حضورهم.

إلى كافة أساتذة قسم العلوم السياسية بجامعة باتنة و قسنطينة، اللذين
لهم الفضل في تكويني في فترتي ما قبل التدرج و ما بعد التدرج.

إلى كافة زملاء الدراسة على التشجيع و التمنيات بالتوفيق.

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

إهداء

إلى معنى العبد و العنان و التفاني...إلى بسمه الحياة و سر الوجود...إلى من كان دعاءها سر نجاحي إلى أخلق إنسان في الوجود...

"أمي العبيبة"

إلى من كلفه الله بالهبة و الوفا...إلى من علمني العطاء بدون انتظار...إلى من أحمل اسمه بكل اقتدار... إلى ذروة فخري و قوتي ...

"أبي الغالي"

إلى من شاطروني حياتي أخواتي: سهام، سميرة، رزان و زهرة، و أخي العزيز علي.

إلى من ساعدني و عمل معي لإتمام هذا العمل، زوجي و رفيق دربي.

إلى قرة عيني و ملاكي، ابني محمد كنان.

إلى جدتي أطال الله في عمرها، إلى كل أقربائي و قريباتي.

إلى كل صديقاتي، و زملائي و زميلاتي.

إلى كل طالب علم

إلى كل من يشاركني فلسفة الحياة

إلى كل هؤلاء اهدي ثمرة جهدي المتواضع

نخطة البحث

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة

المبحث الأول: ماهية العولمة

المطلب الأول: تعريف العولمة و نشأتها

المطلب الثاني: أشكال و تجليات العولمة

المطلب الثالث: العولمة الثقافية، مفهومها و أهدافها و تحدياتها

المطلب الرابع: المواقف المتباينة من العولمة الثقافية

المبحث الثاني: المضامين المختلفة لمفهوم الأمن

المطلب الأول: تعريف الأمن و أبعاده

المطلب الثاني: المضامين الجديدة للأمن

المطلب الثالث: ماهية الأمن الثقافي

المطلب الرابع: أهمية تحقيق الأمن الثقافي

المبحث الثالث: البيئة الأمنية لمنطقة المغرب العربي

المطلب الأول: ماهية منطقة المغرب العربي

المطلب الثاني: مصادر التهديدات الأمنية في المغرب العربي

المطلب الثالث: طبيعة التهديدات الأمنية في المغرب العربي

الفصل الثاني: مراحل تطور الأمن الثقافي في بلدان المغرب العربي

المبحث الأول: الواقع الثقافي المغربي مع مجيء الاستعمار الفرنسي

المطلب الأول: البناء الثقافي المغربي حسب الاستعمار الفرنسي

المطلب الثاني: إستراتيجية الاستعمار الثقافية لبلدان المغرب العربي

المطلب الثالث: موقف الشعوب المغربية من السياسة الفرنسية قبل الاستقلال

المبحث الثاني: واقع الأمن الثقافي المغربي بعد الاستقلال

المطلب الأول: بناء الدولة الوطنية في بلدان المغرب العربي

المطلب الثاني: دور العامل الخارجي في خلق الواقع الثقافي المغربي بعد الاستقلال

المبحث الثالث: الأمن الثقافي المغربي في ظل تنامي العولمة و تحدياتها الثقافية

المطلب الأول: التحديات الثقافية الجديدة للعولمة

المطلب الثاني: آثار تحديات العولمة الثقافية على الأمن الثقافي المغربي

المطلب الثالث: الإنترنت و ثورة التغيير في تونس

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل

تنامي ظاهرة العولمة

المبحث الأول: دور التنشئة الاجتماعية و السياسة في تحقيق الأمن الثقافي المغربي

المطلب الأول: دور التنشئة الاجتماعية في تحقيق الأمن الثقافي المغربي

المطلب الثاني: دور التنشئة السياسية في تحقيق الأمن الثقافي المغربي

خطة البحث

المبحث الثاني: دور وسائل الإعلام في تحقيق الأمن الثقافي المغربي

المطلب الأول: مفهوم وسائل الإعلام و وظائفها المتعددة

المطلب الثاني: مهام وسائل الإعلام لتحقيق متطلبات الأمن الثقافي المغربي

المبحث الثالث: دور المجتمع المدني في تحقيق الأمن الثقافي المغربي

المطلب الأول: مفهوم المجتمع المدني و خصائصه

المطلب الثاني: مؤسسات المجتمع المدني و تحقيق الأمن الثقافي المغربي

خاتمة

قائمة المراجع

مقدمة

مقدمة

شهدت الساحة الدولية خلال القرن العشرين تحولات هامة أدخلت تغييرات جذرية على المفاهيم التي سادت العلاقات الدولية لفترة طويلة بحيث أضحت العلاقات بين الدول أكثر ترابطا و تداخلا، و ظهرت تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ميزت المجتمع المعاصر و التي باتت تعرف بالعمولة.

تعتبر ظاهرة العمولة أحد أبرز سمات عالم اليوم، بحيث أصبحت العلاقات و الأوضاع و التطورات الدولية متشابكة و مؤثرة على بعضها البعض فلم يترك مجالاً للدول لأن تعيش في عزلة. و إذا كانت بعض الدول قد تمكنت من الانخراط الفاعل في العمولة، فإنها (العمولة) مثلت تحديا كبيرا لعدد كبير من الدول منها دول المغرب العربي على صعيد قدرتها على مجابهة التحديات التي أفرزتها العمولة، و كيفية و درجة تأثير هذه التحديات على الأمن القومي لهذه الدول .

يبقى أمن الدول من القضايا التي طالما حظيت باهتمام الدارسين و القادة و لم يختلفوا في ذلك، إلا أن طريقة تحقيق الأمن اختلفت بين صراعية (حروب، نزاعات) و سلمية تحت مسميات شراكة و تعاون و تكامل و غيرها، هذا المفهوم تأثر بدوره بالعمولة حيث انتقلت التهديدات و المخاطر من طابعها المحلي الداخلي إلى العالمي أي أصبحت التهديدات عابرة للحدود بفعل وسائل العمولة.

لقد ساهم التطور الهائل في وسائل و تكنولوجيات الاتصال، اختراق سيادة الدول حيث لم يعد باستطاعتها الحفاظ على مقومات هويتها وإنتاجها الثقافي، و من هنا ظهر مصطلح الأمن الثقافي الذي أصبح من أهم اهتمامات المفكرين و الدارسين العرب خاصة. و يمثل الأمن الثقافي لدى دول المغرب العربي ضرورة إستراتيجية ملحة لضمان بقائها مستقلة، قوية و متحدة لكونها تعاني أزمة أمن ثقافي لأنها تتعرض لتهديدات عديدة من قوى متنوعة.

و يقوم بحثنا هذا أساسا على دراسة الأمن الثقافي و الذي خصصناه للدول الثلاث للمغرب العربي لما للموضوع من أهمية، و من أهم الجوانب المكونة للموضوع ما يلي:

- البحث يدرس الأمن الثقافي لدول المغرب العربي الثلاث لما لهذه الدول من خصوصيات جذور تاريخية استعمارية جعلت أمنها الثقافي مهددا، و كونها دول جارة للدول التي استعمرتها سابقا، و تتعاون معها حاليا.

مقدمة

- دراسة الأمن الثقافي لدول المغرب العربي في زمن العولمة و تأثير هذه الأخيرة سواء بالإيجاب أو السلب على الأمن الثقافي لهذه الدول من خلال الأساليب التي أصبحت متاحة في ظل تنامي هذه الظاهرة.

1-أهمية الموضوع:

- إن مصطلح الأمن الثقافي مرتبط بجملة أشكال من الأمن العام، فهو امتداد للأمن القومي و الاقتصادي و السياسي و العسكري و أمن المياه و غيرها. لقد شاع الحديث عن الأمن العسكري و السياسي كما جُنِّدت كل الوسائل لتحقيقه،ولكن بعد الحرب الباردة ظهر الاهتمام بكل أشكال الأمن و ساد بذلك الحديث عن مختلف أشكال الأمن بعد أن توسع مفهومه.

كما تتلخص أهمية دراسة هذا الموضوع في جملة من الأهداف تتمثل في:

- يهدف البحث إلى معرفة الأسباب(فترة الاستعمار، زمن العولمة) و الوسائل(محرابة التعليم، سياسات التجنيس و الإدماج خلال الاستعمار، وسائل الاتصال و التكنولوجيا المتطورة في زمن العولمة) التي أتاحت الفرصة لتهديد الأمن الثقافي لدول المنطقة المغاربية.
- محاولة دراسة الأمن الثقافي لما له من أهمية، و كونه امتداد للأمن القومي و الاقتصادي و السياسي و العسكري و أمن المياه و غيرها، فهو مرتبط بأشكال الأمن الأخرى و يعمل معها بشكل مترابط.
- محاولة التركيز على الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي الذي لم يحظ بالاهتمام الكبير، لأن معظم الدراسات تهتم بدراسة الأمن الثقافي العربي.
- على اعتبار أننا ننتمي لمنطقة المغرب العربي فإنه يهمننا التعرف على الواقع الثقافي لهذه المنطقة الناتج عن الاستعمار وصولاً إلى فترة بروز العولمة.
- كما أن الدراسة ستحاول تقديم بعض الآليات لتفعيل تحقيق الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي.

2- الإشكالية:

تتميز دول المغرب العربي الثلاث (الجزائر، تونس، المغرب). بموقع استراتيجي جعلها محط اهتمام الدول الكبرى الأوربية منها كالدولة الفرنسية منذ قرون خلت و الذي عرضها للاحتلال و تسبب في تخلفها لفترة ما بعد الاستقلال، و بعد بروز ظاهرة العولمة انخرطت هذه الدول فيها و تأثرت بها خاصة العولمة الثقافية بتحدياتها، و عليه نطرح الإشكالية التالية:

إلى أي مدى أدت العولمة بتحدياتها الثقافية بدول المغرب العربي الثلاث الجزائر، تونس و المغرب إلى ضرورة تحقيق أمن ثقافي؟

حدود الدراسة:

- في إطار اعتمادنا في هذا البحث على دراسة موضوع الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي، سنقوم بحصر هذه المنطقة في كل من الجزائر، تونس و المغرب الأقصى، و هذا راجع للأسباب التالية:
- أسباب تاريخية، لكون أن هذه الدول الثلاث تعرضت لنفس الاستعمار و هو الفرنسي و في نفس الفترة.
 - أسباب لغوية، اللغة العربية هي اللغة الأم إلى جانب اللغة الفرنسية و التي تعد اللغة الثانية لهذه الدول الثلاث.
 - أسباب إستراتيجية، الاهتمام الفرنسي بمنطقة المغرب العربي بما فيها الجزائر - تونس - المغرب إلى جانب موريتانيا لما لها من أهمية إستراتيجية على كل الأصعدة.
- أما بالنسبة للحدود الزمنية، لم يتم إغفال الحقبة الاستعمارية لما لها من تأثير بالغ على هذه الدول وصولا إلى الوقت الراهن و الذي تم التركيز عليه أكثر.
- و لتدقيق الإشكالية بشكل أفضل نطرح تساؤلات إضافية لموضوع و منها:
- كيف تعرف منظورات العلاقات الدولية الأمن؟ ما مدى تأثير هذا المفهوم بالعولمة؟
 - ما معنى الأمن الثقافي؟
 - هل الأمن الثقافي مهدد من قبل العولمة؟ أم العكس يمكن تحقيق أمن فعال و إيجابي بواسطة العولمة؟
 - هل تعرف منطقة المغرب العربي تهديدا لأمنها الثقافي؟

3- الفرضيات:

لغرض الإجابة عن إشكالية الموضوع نقترح الفرضيات الآتية:

الفرضية الأولى:

لقد ساهمت العولمة في مجالها الثقافي، في إنتاج ثقافة جديدة حلت محل الثقافة التي كانت سائدة في دول المغرب العربي الثلاث (الجزائر، تونس، المغرب).

الفرضية الثانية:

إذا كان انحراط دول المغرب العربي الثلاث (الجزائر، تونس، المغرب) في العولمة قد شكل تحديا ثقافيا لها فإن ذلك أدى إلى ضرورة تحقيق أمنها الثقافي.

4- الأدبيات السابقة:

إن الدراسات التي تناولت موضوع الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي بصورة مفصلة قليلة، فمعظم الدراسات تحدثت عن الأمن الثقافي العربي و نذكر منها:

دراسة جمال عليان 2005 التي أوصت بضرورة الحفاظ على التراث الثقافي والهوية الوطنية في ظل تحديات العولمة، حتى يتم تحقيق الأمن في جميع مجالات الحياة، وخاصة الأمن الثقافي للوقوف ضد الغزو والهيمنة الثقافية.

دراسة جمعة سعيد تهامي 2004 حيث أوصت بالإعداد الثقافي لطلاب كليات التربية، وضرورة ربط موضوعات الإعداد الثقافي بالتحديات الثقافية المعاصرة من شبكة الإنترنت و الانفتاح الإعلامي وغياب الوعي الديني، وذلك حتى يتحقق الأمن الثقافي ، ويتم الحفاظ على الهوية الوطنية.

دراسة المنجي بوسنينة 2005 بعنوان حوار الحضارات و الأمن الثقافي العربي، حيث جاء فيها التأكيد على الحوار بين الحضارات و الثقافات و العمل على تحقيق الأمن الثقافي العربي في عالم اليوم، و الذي يحتاج إلى جهد عربي و إسلامي شامل و مشترك.

مقدمة

هناك دراسات أجنبية تحدثت عن موضوع الأمن الثقافي نذكر منها:

دراسة إريك نيمث Erik Nemeth 2006 التي أشارت إلى ضرورة تحقيق الأمن الثقافي لدى الشباب وذلك للقضاء على التطرف والإرهاب والعنف المنتشر في جميع دول العالم.

دراسة بيتر كاتزنستن Peter Katzensten 1996 التي أشارت إلى أهمية تحقيق الأمن الثقافي من خلال المحافظة على الثقافة والهوية الوطنية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأنه الأساس في تحقيق الأمن القومي الشامل في عصر العولمة.

5- منهج الدراسة:

لمعالجة موضوع الدراسة يمكن الاعتماد على المناهج التالية:
المنهج التاريخي: و يتم الاعتماد على هذا المنهج عند التوقف عند محطات تاريخية من خلال دراسة المرحلة الاستعمارية التي مرت بها دول المغرب العربي، منذ احتلالها أو فرض الحماية عليها إلى غاية استقلالها.
المنهج المقارن: و يظهر عند مقارنة حالة كل من الجزائر و تونس و المغرب الأقصى في فترة الاستعمار ثم مع تنامي ظاهرة العولمة.

6-مبررات اختيار الموضوع:

الأسباب الموضوعية:

تتعلق عموما بأهمية الموضوع في حد ذاته، حيث يعد الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي خاصة الجزائر، تونس و المغرب هذه الدول الثلاث محل اهتمام دراستنا غاية في الأهمية، لكن هذا الموضوع يعاني من نقص الدراسات فيه، فكان اختيار هذا الموضوع كمحاولة بدافع الإضافة إلى ما سبق من الدراسات.

مقدمة

- و قد وقع اختيار موضوع هذه الدراسة لما للأمن الثقافي من أهمية كونه يرتبط بكل أشكال الأمن، فالأمن الثقافي لأي دولة لا يقل شأنًا عن غيره من الأمن السياسي، والاقتصادي و الاجتماعي وغيرها.

الأسباب الذاتية:

يعد تخصص الطالب من أهم الدوافع الذاتية لاختيار هذا الموضوع، كذلك الانتماء الجغرافي إلى هذه المنطقة (منطقة المغرب العربي) خلق اهتماما لدراستها أكثر، كما أن هناك رغبة شخصية لدراسة هذا الموضوع و تقديم عمل مرجعي في هذا المجال.

7- الصعوبات التي واجهت إعداد البحث:

لا يخلو أي بحث علمي من الصعوبات، فهناك صعوبات تعترينا أثناء الدراسة تكون من طبيعة البحث العلمي، لكن هناك عراقيل تعيق بحثنا و تؤثر في دقته، تتمثل في ندرة المراجع التي تتحدث عن الأمن الثقافي خاصة في منطقة المغرب العربي، رغم تزايد اهتمام الباحثين العرب بهذا الموضوع، لكن هذا لم يسخر لنا عدد من المراجع المفيدة و التي تصب في الموضوع، حتى المراجع باللغة الأجنبية لم تتوفر لنا بكثرة.

8 - خطة البحث:

و محاولة منا الإجابة عن إشكالية البحث تطرقنا إلى دراستها من خلال خطة بحث تتضمن ثلاث فصول:

الفصل الأول : اعتمدنا في الفصل الأول على تحديد الكلمات المفتاحية التي جاءت في الإشكالية و تعريفها ألا و هي الأمن بالتطرق إلى مفهومه، أنواعه و التوسع في مفهوم الأمن و أبعاده الجديدة خاصة منها الأمن الثقافي في زمن العولمة، ثم نقوم بتعريف العولمة و التركيز على العولمة الثقافية لما لها من تأثير على الأمن الثقافي، كما حاولنا من خلال هذا الفصل الحديث عن البيئة الأمنية لمنطقة المغرب العربي. لأن التعريف بمنطقة المغرب العربي يؤهلنا لفهم لماذا تم الحديث عن أمنها الثقافي خاصة في زمن العولمة التي مثلت تحدياً للمنطقة المغاربية. كما أننا نقوم في هذا الفصل بالإحاطة بالموضوع و فهمه.

مقدمة

أما **الفصل الثاني** فقد اعتمدنا فيه الحديث عن مراحل تطور الأمن الثقافي في دول المغرب الثلاث الجزائر-تونس-المغرب الأقصى، مع عدم إغفال مرحلة الاستعمار لأنها تمثل مرحلة هامة عند الحديث عن الأمن الثقافي المغربي و كيف أثرت فيه قبل مرحلة العولمة، ثم نتقل للحديث عن الأمن الثقافي المغربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة لأنها على قدر بالغ الأهمية كظاهرة مميزة للعالم المعاصر خاصة أنها لا تخضع للرقابة و الحدود مما يجعل دول المغرب العربي تتأثر بها و بوسائلها لذلك و جب التطرق إليها بشكل مفصل و دقيق.

أما **الفصل الثالث** و الأخير فقد قمنا بعرض الآليات المتاحة لتحقيق الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي، فبعد أن نتعرف على الواقع الثقافي الذي أصبح يسود دول المنطقة، كان لزاما علينا أن نبين دور المؤسسات الفعال الذي من شأنه الوصول إلى الهدف المنشود.

الفصل الأول:

الإطار المفاهيمي للدراسة

الفصل الأول : الإطار المفاهيمي للدراسة

المبحث الأول: ماهية العولمة

- انتشر استخدام مصطلح العولمة في العديد من الكتابات السياسية و الاقتصادية في العقد الأخير، وذلك قبل أن يكتسب المصطلح دلالات إستراتيجية و ثقافية مهمة من خلال تطورات واقعية عديدة في العالم منذ أوائل التسعينات.

المطلب الأول: تعريف العولمة و نشأتها:

1- تعريف للعولمة:

أ-التعريف اللغوي و الاصطلاحي للعولمة:

تشير البحوث و الدراسات إلى أن مصطلح "العولمة" بمفهومه اليوم لم يكن له وجود قبل منتصف الثمانينات، وأن قاموس "أكسفورد" للكلمات الإنجليزية أشار و لأول مرة لمفهوم العولمة سنة 1991، واصفا إياه بأنه من الكلمات الجديدة التي برزت خلال التسعينات¹. و وفقا لإصدار منظمة التعاون الاقتصادي و التنمية في أوربا OECD فإن مصطلح العولمة أستخدم لأول مرة عام 1985 من قبل "تيودور ليفت" تحت عنوان عولمة الأسواق، وقد أستخدم هذا المصطلح لتوصيف التغيرات التي حدثت خلال الحقتين الماضيتين في الاقتصاد الدولي.

يتبع المصطلح في اللغة الإنجليزية و هو Globalization نجده مشتقا من جذر لاتيني هو Glob بمعنى الكرة الأرضية².

أما قاموس وبستر، فيعرف العولمة بأنها تعني إكساب الشيء طابع العالمية، و جعل نطاقه و تطبيقه عالميا³.

حسب قاموس بنغوين الدولي تعرف العولمة على أنها العملية التي يجري فيها ذوبان الهيئات المتمحورة حول الدولة و المرجعية من أجل هيكل علاقات بين أطراف فاعلين مختلفين يعملون في بيئة عالمية حقا و ليس مجرد بيئة دولية. إن ما ينطوي عليه ذلك هو أن فرادى الأطراف الفاعلة و لاسيما الدول التي تمارس السيادة- قد

¹ عبد الخالق عبد الله، العولمة، "جذورها و فروعها و كيفية التعامل معها"، مجلة عالم الفكر، العدد 2، ديسمبر 1999، ص 50.

² : Dictionary of world origing; librairie du Liban Beirut; 1985; p 111.

³ : علي عقله عرسان، "العولمة و الثقافة"، مجلة الفكر السياسي، العدد 5، شتاء 1998-1999.

فقدوا السيطرة على هذه العمليات و بالتالي على ما ينجم عنها من عواقب. وهذا المصطلح غير دقيق و كثيرا ما يحمل استعماله أثقالا إيديولوجية. و قد شاع بشكل خاص في مجال الاقتصاد السياسي الدولي و في الدراسات الثقافية. و هكذا، تطرح أحيانا أدلة (أو مجرد افتراض) لدعم الاقتصاد العالمي أو الثقافة العالمية.

أما في اللغة العربية فقد عرفت ظاهرة العولمة اهتماما ظهر في العديد من الكتابات العربية المعاصرة، و أوسعها المفكرون العرب دراسة و شرحا و نقدا. و العولمة مصطلح جديد في اللغة العربية، جاء ترجمة للمصطلح الإنجليزي Globalization و على الرغم من أن كاتبها مثل صبري عبد الله و خالد الحروب و السيد يسين استخدموا ألفاظا من مثل كوكبة و تعولم و كونية، و تُرجع بعض الكتابات سبب اختلاف الباحثين العرب في تحديد مصطلح واضح لترجمة كلمة Globalization إلى المتغيرات الآتية:

- أن العولمة ظاهرة مركبة و ليست شيئا بسيطا يمكن تعيينه و وصفه بدقة، بقدر ما هي جملة عمليات تاريخية متداخلة تتجسد في تحريك المعلومات و الأفكار و الأموال و الأشياء و حتى الأشخاص بصورة لا سابق لها من السهولة و الآنية و الشمولية و الديمومة. تتمثل في تعميم التبادلات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، على نحو يجعل العالم موحدًا أكثر من أي يوم مضى¹.
 - أن هذا الاختلاف يوحي بأن الإشكالية الاصطلاحية في الفكر العربي، مازالت تبحث عن حل، فهي في الغالب امتداد لفكر الغرب و لغته حيث يفكر الكثير من الباحثين العرب بلغة الغرب و مصطلحاته².
 - أن الخطاب المفاهيمي و التعريفي لاصطلاح Globalization مازال يعبر عن رؤية و خطاب الآخر، بكل دلالاته الحضارية، و نظرة عاجلة إلى ما ترجم أو كتب عن العولمة³.
 - و لأن الخطاب العربي المعاصر مازال في جوهره إيديولوجيا، تتجاذبه الأفكار التحريرية و العلمانية و الرأسمالية و الشيوعية و غيرها من الأفكار الوافدة.
- و إذا تتبعنا مصطلح العولمة في أصوله في اللغة العربية، فهو مشتق من كلمة العالم، فالخليل بن أحمد الفراهيدي في معجم العين يذهب إلى كلمة العالم تعني الخلق الذي يؤنث و يذكر⁴، و جمع العالم

¹ علي حرب، حديث النهايات، فتوحات العولمة و مأزق الهوية، الطبعة الأولى، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2000، ص 29.

² حسن حنفي و صادق جلال العظم، ما العولمة؟، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، 1999، ص 226.

³ مؤيد عبد الجبار الحديثي، العولمة الإعلامية و الأمن القومي العربي، الطبعة الأولى، عمان، دار الأهلبة للنشر، 2002، ص 29.

⁴ الزبيدي، مختصر العين، تحقيق صلاح مهدي الفرطوسي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ج2، 1999، ص 365.

إلى العوالم بكسر اللام، و العالمون أصناف الخلق، كما يقول محمد بن أبي بكر الرازي في مختار الصحاح¹.

التعريف الاصطلاحي للعوالم: تذهب بعض البحوث و الدراسات العربية في مجال العوالم إلى أن مصطلح العوالم بدأ بالظهور تحديدا في أواسط الستينات في كتابين شهيرين هما، الأول كتاب War and Peace in the Global Village ، لمرشال ماك لوهان و كنت فيور الذي طبع سنة 1970، أما الثاني كتاب American Role Between Two Ages لزيغينو بريجنسكي². و مع بداية الثمانينات أصبح مصطلح globalization مألوفا في معاهدة إدارة الأعمال الأمريكية و في الصحافة الاقتصادية، وكان يعني الحركة المعقدة لانتفاخ الحدود الاقتصادية، وليونة التشريعات مما شجع النشاطات الاقتصادية الرأسمالية على توسيع حقل عملها ليشمل المعمورة، يضاف إلى ذلك التطور الهائل لوسائل الاتصال الذي أعطى المصطلح معنى و مصداقية، و قضى على المسافات و الحواجز. هناك من يرى أن العوالم تعبير عن عملية ليست جديدة، بل قديمة جدا و مستمرة إلى ما لا نهاية³، فالعوالم عبارة عن نظام عالمي يقوم على تحرير الأسواق و الفضاءات الاقتصادية و التبادلات التجارية و المالية و الخدمية و على الاختراق المتواتر للخصوصيات و الحدود الثقافية و القومية و الجغرافية و السياسية⁴، فهي تعني تعميم الشيء ليشمل الكل، و مفهومها لا ينفصم عن التطور العام للنظام الرأسمالي، و تعد حلقة من حلقات تطوره التي بدأت مع ظهور الدول القومية في القرن الثامن عشر.

كما يعرفها عمرو عبد الكريم على أنها تلك العمليات التي يتم من خلالها كسب العلاقات الاجتماعية نوعا من عدم الفصل بسقوط الحدود و تلاشي المسافة، حيث تجري الحياة في العالم كمكان واحد، و من ثم فالعلاقات الاجتماعية التي لا تحصى عددا تصبح أكثر اتصالا و أكثر تنظيما على أساس تزايد سرعة و معدل تفاعل البشر و تأثرهم ببعضهم البعض⁵.

¹ الرازي، مختار الصحاح، بيروت، مكتبة لبنان، 1988، ص 187.

² عسان العزي، "في جذور العوالم و إشكالياتها"، مجلة منبر الحوار، بيروت، العدد 37، شتاء 1999، ص 45.

³ علي عقلة عرسان، "العوالم و الثقافة"، مرجع سبق ذكره.

⁴ مصطفى محسن، التربية و تحولات عصر العوالم، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2005، ص 19.

⁵ "العوالم"، في:

أما السيد يسين فيرى أنه للاقتراب من صياغة تعريف شامل للعولمة، يجب الأخذ في الحسبان ثلاث عمليات تعبر عن جوهر هذه الظاهرة و هي: انتشار المعلومات، تميع الحدود الجغرافية بين الدول، والتشابه المتزايد بين الجماعات و المجتمعات و المؤسسات¹.

أما المجلس القومي للاستخبارات NIC التابع لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA، فيعرفها على أنها تمثل اتجاهات متضخما mega-trend، يملئ قوته في كل مكان على وجه الأرض، ومن ثم فإنه من المنتظر أي يصير لمثل هذا الاتجاه تأثيرا جبارا على جميع الاتجاهات الرئيسية الأخرى التي ستكون في عام 2020 قد تشكلت و تطورت وفق النموذج العولمي².

مما سبق نلاحظ أنه لا توجد رؤية واحدة لمفهوم العولمة سواء على مستوى الأدبيات العالمية، أو على مستوى المفكرين، وكما يذهب بعض المفكرين إلى صعوبة تحديد مفهوم للعولمة. فيبقى المفهوم غامضا على الرغم مما كتب عنه، ومن الطبيعي أن يختلف الناس في فهمه، و تحليل أبعاده باختلاف رؤاهم من جهة، و بمدى إطلاعهم على خفايا الظاهرة من جهة أخرى. و يمكن القول أن صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة نظرا إلى تعدد تعريفاتها، و التي تتأثر أساسا بانحيازات الباحثين الإيديولوجية، و رفضهم أو قبولهم للعولمة³.

وما يمكن استخلاصه أن العولمة بمفهومها الأوسع هي ظاهرة أو حركة معقدة ذات أبعاد اجتماعية و اقتصادية و سياسية و حضارية و ثقافية و تكنولوجية، أنتجتها و ساهمت في سرعة بروزها التغيرات العالمية التي حدثت في العصر الحالي و كان لها تأثيرا عظيما على حياة الأفراد و المجتمعات و الدول⁴. أستخدم مفهوم العولمة استخداما واسعا في إطار الاقتصاد الدولي، فهي اقتصادية المنشأ و الجوهر، لكن سرعان ما تجاوزت العولمة هذا المجال لتشمل ظواهر أخرى، وأصبحت نموذجا يشمل كل حقول النشاط الدولي، فهي اقتصادية من حيث كوكبة المبادلات و الاعتماد المتبادل للاقتصاديات الوطنية، مالية من حيث عمل البورصات في شكل

¹ : عبد النور بن عنتز، "الدولة و العولمة و ظهور مجتمع مدني عالمي"، مجلة شؤون الأوسط، العدد 107، صيف 2002، ص 72.

² : مشروع للمجلس القومي للاستخبارات NIC التابع لوكالة الإستخبارات المركزية CIA، في الموقع:

www.islam-online.net

³ : مجموعة باحثين، العرب و العولمة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، أبريل 2000، ص 25.

⁴ : محمد عبد الله الجريبي، "وسائل الإعلام العربي و العولمة الثقافية"، الدراسات الإعلامية، العدد 100، أيلول 2000، ص 70.

شبكة على الصعيد العالمي، ثقافية من حيث انتشار الأفكار، بيئية من حيث التوازنات الطبيعية و انتشار الأوبئة¹.

ب- تعريف العولمة حسب أبعادها:

نظرا لكون ظاهرة العولمة لا تزال قيد التشكل، ولم تتحدد ملامحها بصورة نهائية، واتساع نطاق الظاهرة و شمولها كافة الأنشطة، و تركيز الباحثين على جانب معين في دراستها بالإضافة إلى الواقع الذي ينطلق منه الباحث لفهم الظاهرة، يمكن تصنيف تعريفات العولمة في أربع مجموعات كالآتي:

- التركيز على البعد الاقتصادي للعولمة: حيث نجد التعريف الذي قدمته اللجنة الأوربية

للعولمة بأنها: العملية التي عن طريقها تصبح الأسواق و الإنتاج في الدول المختلفة تعتمد كل منها على الأخرى بشكل متزايد بسبب ديناميكيات التجارة في السلع و الخدمات و تدفق رأس المال و التكنولوجيا، وهي ليست ظاهرة جديدة و لكنها استمرارية للتطورات التي تتابعت لفترة طويلة من الزمن². و حسب تعريف صندوق النقد الدولي فالعولمة تعني "التوافق الاقتصادي المتنامي لمجموعة بلدان العالم مدفوعا بازدياد حجم أو تنوع المبادلات العابرة للحدود والخدمات و السلع كما التدفق العالمي لرؤوس الأموال في آن واحد مع الانتشار المتسارع الشامل للتكنولوجيا"³.

يعرفها ريتشارد هيجوت بقوله: "العولمة ربما اتسمت عمليا بأنها سلسلة من الظواهر الاقتصادية المتصلة في جوهرها، وهذه تشمل تحرير الأسواق، ورفع القيود عنها، وخصخصة الأصول، وتراجع وظائف الدولة و لاسيما ما يتعلق منها بالرفاهية الاجتماعية"⁴.

- التركيز على البعد الثقافي للعولمة: نجد هنا التعريف الذي قدمه برهان غليون للعولمة

و الذي قال فيه: "العولمة هي الدخول بسبب تطور الثورة المعلوماتية والتقنية و الاقتصادية معا من التطور الحضاري يصبح فيه مصير الإنسانية موحدا أو نازعا للتوحد"، ويستدرك على معنى الوحدة المقصودة هنا، فيرى أنها لا تعني التجانس و التساوي بين جميع أجزاء العالم و المجتمع البشري، ولا تعني درجة عالية من التفاعل بين مناطق و مجتمعات بشرية مختلفة و متباينة⁵.

¹ :عبد النور بن عنتر، "الدولة و العولمة و ظهور مجتمع مدني عالمي"، مرجع سبق ذكره، ص 71.

² :غراهام طومسون، "مقدمة تحديد موقع العولمة"، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 160، جوان 1990، ص10.

³ : المرجع نفسه.

⁴ :ريتشارد هيجوت، العولمة و الألفية، الطبعة الأولى، أبوظبي، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية، 1998، ص 28.

⁵ :برهان غليون و سمير أمين، ثقافة العولمة و عولمة الثقافة، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، 1999، ص 75.

يعرفها جيمس ميتلمان بقوله: "عملية مقابلة ثقافية بين الحضارات يعترتها الكثير من التناقض و عدم الاستمرار"¹.

أما فيدرستون فيقول: "تتضمن العولمة الامتداد الخارجي للثقافة المحلية المعنية إلى أقصى حدودها، أي العالم أجمع، تصبح الثقافات المختلفة منحرفة في الثقافة الغالبة التي سوف تغطي بعد حين جميع العالم"².

- التركيز على البعد السياسي للعولمة: في هذه المجموعة نجد تعريف محمد عابد الجابري الذي يرى بأن العولمة: "نظام يقفز على الدولة و الأمة و الوطن، و بالتالي فإنه يعمل على التفتيت و التشتت و إيقاظ أطر الانتماء إلى القبيلة و الطائفة و الجهة و التعصب، بعد أن تضعف إرادة الدولة و هوية الوطن"³.

أما عبد العزيز بن عثمان التويجري فيرى أن العولمة "ما هي إلا صيغة جديدة من نظرية ملء الفراغ فرضت على المسرح الدولي منذ منتصف قرن تقريبا، ثم أعيد صياغتها بما يتلاءم و مقتضيات الوضع الدولي الجديد"⁴.

- التركيز على البعد الاجتماعي للعولمة: نجد في هذا الصدد التعريف الذي قدمه رونالد روبرتسون الذي يؤكد فيه أن العولمة هي: "اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد و المجتمعات بهذا الانكماش"⁵، فالعولمة بهذا المعنى تشير إلى وعي و إحساس الأفراد في كل مكان بأن العالم ينكمش، و يتقلص، و يقترب من بعضه بعضا.

كما عرفها أنتوني جيدنز بأنها: "مرحلة جديدة من مراحل و تطور الحداثة، تتكاثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي حيث يحدث تلاحم غير قابل للفصل بين الداخل و الخارج، يتم فيها ربط المحلي و العالمي بروابط اقتصادية و ثقافية و سياسية و إنسانية"⁶.

أما جون بايليس و ستيف سميث فيعرفان العولمة على أنها ببساطة عملية الترابط المتزايد فيما بين المجتمعات بحيث أن الأحداث التي تقع في مكان ما من العالم تكون لها - على نحو متزايد- انعكاسات على شعوب و مجتمعات نائية عنها"¹.

¹ جيمس ميتلمان، "هواجس العولمة"، مجلة السياسة الدولية، العدد 131، 1998، ص 39.

² محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997، ص 147.

³ المرجع نفسه.

⁴ عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، القاهرة، دار الشروق، 2004، ص 16.

⁵ رونالد روبرتسون، العولمة النظرية الاجتماعية و الثقافة الكونية، ترجمة أحمد محمود و نورا أمين، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص

61.

⁶ عبد الخالق عبد الله، العولمة "جنورها و فروعها و كيفية التعامل معها"، مرجع سبق ذكره، ص 53.

2- تاريخ نشأة العولمة و تطورها:

يذهب الكثير من الباحثين إلى أن للعولمة تاريخاً قديماً، وبالتالي فهي ليست نتاج العقود الماضية التي ازدهر فيها مفهوم العولمة و ذاع و انتشر. فباستقراء التاريخ يتضح لنا، أن العولمة ليست حدثاً جديداً، ولا هي وليدة وقتنا الحاضر، فهي ظاهرة رافقت الإمبراطوريات في القرون الماضية. فقد حاولت الإمبراطوريات القديمة أن تذوب الشعوب التي سيطرت عليها بثقافتها، وعملت على توجيه قيم الشعوب و تقاليدھا إلى حيث تريد. و ما سيطرة الحضارة المصرية أو اليونانية و غيرها من الحضارات القديمة على أجزاء من العالم إلا تجسيدا لنظام العولمة². في حين يرى رأي آخر أن العولمة تعد من أبرز ملامح عالم ما بعد الحرب الباردة، برزت في بداية الثمانينات ليشار عبرها أساساً إلى النمو السريع لدولة المبادلات³. إلا أن العناصر الأساسية في العولمة ألا و هي ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم، سواء المتمثلة في تبادل السلع و الخدمات أو في انتقال رؤوس الأموال، أو في انتشار المعلومات و الأفكار، أو في تأثر أمة بقيم و عادات غيرها من الأمم، كل هذه العناصر قد عرفها العالم منذ قرون، وعلى الأخص منذ الكشوف الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر أي منذ خمس قرون و منذ ذلك الحين و العلاقات الاقتصادية و الثقافية بين الدول و الأمم تزداد قوة، باستثناء فترات قصيرة للغاية مالت خلالها الدول إلى الانكفاء على ذاتها، و تراجع معدلات التجارة و معدلات انتقال رؤوس الأموال كما حدث خلال أزمة الثلاثينات في القرن العشرين، و باستثناء مجتمعات محدودة العدد تركها العالم في عزلة، أو هي فضلت أن تعزل نفسها عن العالم لسبب أو لآخر⁴.

مع بداية عصر النهضة الأوروبية الحديثة و التطور العلمي و انتشار الاستعمار الأوروبي في القرنين التاسع عشر و العشرين، اتسع مدى العولمة و ترسخت مدلولاتها. و جعل من بعض القوى الاستعمارية و بدافع مصالحها تعمل على صياغة نظام عالمي لاقتسام السيطرة و النفوذ و الاستغلال و المواقع على المستوى العالمي. صياغة تقود جذورها إلى ما قبل الحريين الأوليين لتستكمل أهم مقوماتها بشكل خاص⁵.

¹ جون بيليس و ستيف سميت، عولمة السياسة العالمية، مرجع سبق ذكره، ص 7.

² محمد عبد الله الجريبي، وسائل الإعلام العربي و العولمة الثقافية"، مرجع سبق ذكره، ص 70.

³ عبد النور بن عنتر، " الدولة و العولمة و ظهور المجتمع المدني العالمي"، مرجع سبق ذكره، ص 71.

⁴ مؤيد عبد الجبار الحديثي، العولمة الإعلامية و الأمن القومي العربي، مرجع سبق ذكره، ص 33.

⁵ مصطفى محسن، التربية و تحولات عصر العولمة، مرجع سبق ذكره، ص 23.

لقد ساهمت عوامل عدة في تشكل العولمة، منها عولمة رأس المال، أي زيادة حجم التجارة الدولية، وحرية حركة رأس المال دون حواجز، و تزايد الترابط والاتصال بين الأسواق العالمية، وبالأخص مع نمو البورصات العالمية. و أيضا التقدم التكنولوجي الهائل، و يشمل: الثورة العلمية و ما نشأ عنها من ثورة معلوماتية ضخمة، وازدياد التواصل و الاتصال بين البشر عبر الشبكة العنكبوتية. و هناك أيضا العوامل الحضارية و الثقافية، حيث تزايدت الصلات غير الحكومية و ظهرت قوى عالمية تركز على القيم الحضارية كالحفاظ على البيئة، واحترام حقوق الإنسان، و حرية المعتقد، وحرية التعبير، و الحق في الحياة و غيرها.

جاء في الموسوعة الدولية، أن العولمة مرت بعدة مراحل بدءا بمرحلة فتح المبادلات مع التجارة بعيدة المدى، و الموجة الاستعمارية التي صاحبت القرن العشرين، و كل مرحلة اتسمت بتطور تقني في القطاع البحري و الجوي، و بدايات ثورة الاتصالات المرتبطة بالإعلام الآلي (من البخار إلى القطار السريع، من التيليجرام، إلى الهاتف، ثم الإنترنت. فقد انطلقت اقتصادية و تطورت في هذا المجال حيث ارتفع معدل المبادلات العالمية و عرف اتساعا ملاحظا خاصة ما بين 1990-1998 حيث تعززت التجارة العالمية و تسارع نمو تيارات التبادل. العولمة المالية أيضا لم تخرج عن هذا الإطار و عرفت هي الأخرى تطورا هائلا بسبب الانتقال السريع لرؤوس الأموال و الاستثمارات الأجنبية المباشرة، و بتكامل أنماط الإنتاج على صعيد الكوكب، و بالتنسيق المؤسسي بين البلدان فيما يتعلق بالسياسات التجارية و الضرائب و الاستثمار، و كل ذلك في كنف تعزيز لا سابق له لوسائل الإعلام و الاتصال .

أما في المرحلة الأخيرة، انتقلت العولمة إلى المجالات الأخرى من الحياة فلم تقتصر فقط على الجانب الاقتصادي، بل تعدته لتشمل المجال الاجتماعي و الثقافي و الفكري و البيئي و غيره من المجالات الأخرى.

أما في وجهة نظر رونالد روبرتسون فالعولمة مرت بخمس مراحل أثناء تطورها هي¹:

¹: رونالد روبرتسون، العولمة النظرية الاجتماعية و الثقافة الكونية، مرجع سبق ذكره، ص 132-135.

- المرحلة الجينية: الممتدة من بداية القرن الخامس عشر الميلادي وحتى منتصف القرن الثامن عشر بأوروبا، نمت خلالها المجتمعات القومية، وحطمت بعض القيود التي كانت سائدة في القرون الوسطى، وتعمقت الأفكار الخاصة بالفرد و الإنسانية.
 - مرحلة النشوء: استمرت بأوروبا من منتصف القرن الثامن عشر حتى عام 1870 و ما بعده، شهدت أوروبا خلالها تحولا حادا في فكرة الدولة المتجانسة الموحدة، ونشأ مفهوم أكثر تحديدا للإنسانية، وزادت الاتفاقيات الدولية إلى حد كبير، وبدأت مشكلة قبول المجتمعات غير الأوربية في المجتمع الدولي و الاهتمام بموضوع القومية العالمية.
 - مرحلة الانطلاق: التي استمرت من عام 1870 حتى العشرينيات من القرن العشرين، و فيها ظهرت مفاهيم كونية واضحة تركز على المجتمع العالمي الواحد، مثل خط التطور الصحيح، و المجتمع القومي المقبول، وبدأت عملية الصياغة الدولية الخاصة بالإنسانية، ومحاولة تطبيقها، وحدث تطور هائل في عدد و سرعة الأشكال الكونية للاتصال، وظهرت المفاهيم المتعلقة بالهويات القومية و الفردية، و تمت المنافسات الكونية مثل الألعاب الأولمبية، وجوائز نوبل.
 - مرحلة الصراع من أجل الهيمنة: استمرت هذه المرحلة من العشرينيات حتى منتصف الستينيات من القرن الماضي، شهدت بدأ الخلافات و الحروب الفكرية حول المصطلحات الناشئة الخاصة بعملية العولمة التي بدأت في مرحلة الانطلاق، ونشأت صراعات من أجل الهيمنة العالمية و الكونية بما فيها المنافسة إلى الوصول إلى القمر، والتهديد بالفناء الجماعي النووي، إلى جانب الاهتمام بحقوق الإنسان و حرياته من قبل مؤسسات المجتمع المدني على الصعيد العالمي.
 - مرحلة عدم اليقين: هي آخر مرحلة، وبدأت منذ الستينيات من القرن العشرين، وأدت إلى اتجاهات و أزمات التسعينيات منه، تم خلالها إدماج العالم الثالث في المجتمع العالمي، و تصاعد الوعي الكوني، وشهدت المرحلة نهاية الحرب الباردة، وزاد الاهتمام بالمجتمع المدني العالمي، و المواطنة العالمية، وتم تدعيم نظام الإعلام الكوني.
- هناك من ذهب أبعد من ذلك، فقد ذهب محسن أحمد الخضيرى إلى أن للعولمة تاريخا يمتد على ثلاث مراحل¹ و هي:

¹ محسن أحمد الخضيرى، العولمة الإجتياحية، الطبعة الأولى، القاهرة، مجموعة النيل العربية، 2001، ص 61-72.

- **مرحلة التكوين:** تبدأ بفتوحات الفراعنة القدماء سواء في رحلاتهم إلى بلاد بونت بالصومال، أو في رحلاتهم إلى بلاد الفينيقيين (الشام حالياً)، وقد تطور مصطلح العولمة ليختلط بكل من مفهوم الغزو العسكري، والرغبة الجامحة لقائد تاريخي من أجل تكوين إمبراطورية مترامية الأطراف، بأهداف سياسية و اقتصادية و دينية و مذهبية، و في هذه المرحلة أيضاً برزت العولمة في ثوب القضايا الإنسانية، التي أعادت صياغة العديد من المفاهيم المبكرة عن مجالات أولية للعولمة، و محاولة تنميتها على مستوى العالم ممثلة في الألعاب الأولمبية و جوائز نوبل للسلام، الزمن العالمي و توقيت جرينتش، و... و في هذه المرحلة كذلك تشابكت و تداخلت العديد من العوامل التي تفاعلت لتأسيس مضمون و مصطلح العولمة كالغزو و الاجتياح العسكري، التجارة و التبادل القائم بين الأفراد و بين الشعوب و بين الدول، بروز الرؤية و التصور المشترك نحو عالم الغد، و كذا الإعلام الذي استطاع أن يمكن الجماهير في الأطراف المترامية من الكرة الأرضية من معايشة الحدث حال وقوعه.

- **مرحلة ميلاد المصطلح:** تمثلت في شكل حدث انتهاء عمل منظمة الجات، و بدأ عمل منظمة التجارة الدولية، و ممارسة أنشطتها في إزالة كافة القيود و الحواجز الفاصلة بين الدول و تعظيم حرية خروج و دخول رؤوس الأموال عبر الدول، و في نفس الوقت ذاته الضغط بشدة على الحكومات من أجل التنازل عن سيادتها ووفقاً لإرادتها. و ترجع الإرهاصات الأولى لميلاد المصطلح إلى :

◆ بروز القطبية الأحادية التي مثلتها السيطرة الأمريكية على العالم و اجتياح إعلامها، وامتداد مظاهر ثقافتها بين الشعوب و المجتمعات و الدول.

◆ عملية انتشار المعلومات، و إتاحة ووفرة البيانات، و بشكل فوري، والتي زادت من عمليات تدوير الفوارق و الفواصل، و تلاشي الحدود السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية.

- **مرحلة النمو و التمدد:** تتسم بالتداخل و التشابك الواضح لأمر الاقتصاد، السياسة و الثقافة و الاجتماع، لتداخل المصالح و تفاعلها، و لانعدام الحدود السياسية بين الدول. فالعولمة حسب رأي الكاتب ليست ظاهرة حديثة أفرزتها أحادية القطب بل إنها ظاهرة ذات جذور تاريخية، لها أسبابها الموضوعية و لها عواملها التي دفعت إليها عبر مراحل صياغة المفهوم و رسم الاتجاه.

مما سبق يتضح لنا أن هناك غياب إجماع حول مرحلة ظهور العولمة، فلا يقتصر عدم الإجماع حول تعريف و مفهوم العولمة فقط، وما يمكن الاتفاق عليه عموماً أن العولمة مصطلحاً و مضموناً هي عبارة عن أداة تحليلية لتغيرات عالمية جديدة كبيرة و متسارعة، و أن كل ما سبق الظاهرة من تطورات يمكن أن تكون بمثابة مقدمة للعولمة التي اكتملت معالمها من نهاية القرن العشرين، كما أن العديد من المظاهر الراهنة للعولمة ليست وليدة الثمانينات و التسعينات، بل لها جذورها و امتداداتها التي ترجع إلى فترات سابقة، فالتحولات الكبرى لا تحدث في الغالب فجأة و بلا مقدمات، و إن كانت العولمة تعبر عن وجه من وجوه تطور العالم، فإنها لاتزال في بداياتها، حيث أن الكثير من نتائجها و تأثيراتها الإيجابية و السلبية لم تتبلور بصورة واضحة بعد¹.

المطلب الثاني: أشكال و تجليات العولمة:

من خلال التعريف الشامل للعولمة الذي قدمه المفكر العربي إسماعيل صبري عبد الله الذي اعتبر أن العولمة هي "التداخل الواضح في الاقتصاد و الاجتماع و السياسة و الثقافة و السلوك دون اعتداد يذكر الحدود السياسية للدول ذات السيادة أو الانتماء إلى وطن محدد أو دولة معينة و دون الحاجة إلى إجراءات حكومية"²، يمكن استخلاص أشكال العولمة، كذلك إذا شئنا أن نتعرف على أبعاد و أشكال العولمة، فقد نجد فيها قدمه المفكر السيد يسين من تحليل لعناصرها و تجلياتها كالاتي:

1- العولمة الاقتصادية:

تعني أن الاقتصاد المعولم يقع خارج نطاق سيطرة الدولة القومية، عبر تسهيل تدفق رأس المال، و رفع الحدود أمامه. و تعتبر الشركات المتعددة الجنسيات منظمة التجارة العالمية و التكتلات الاقتصادية الذراع الطويلة لرأس المال العالمي. و من أهم مؤسساته المالية البنك الدولي، و صندوق النقد اللذان يسيطران فعلياً على الكثير من دول العالم الثالث. و يثير هذا الجانب من العولمة نقاشاً حول مفهوم الدولة في ظل العولمة الاقتصادية و ما قد تسببه لها من تآكل³.

¹ :عبد الخالق عبد الله، "العولمة ومحاولة دمج العالم"، مجلة العربي، عدد أوت، 1997.

² :السيد أمين شلبي، العولمة و الأمن الثقافي العربي، الملتقى الدولي حول العولمة و الأمن، الجزائر، قصر الأمم، 4-7 ماي 2002، ص 88.

³ :المرجع نفسه، ص 89.

تتجلى مظاهر العولمة في المجال الاقتصادي في:

- تراجع قدرة الحكومات الوطنية على توجيه الأنشطة الاقتصادية أو السيطرة عليها، بظهور تقسيم عمل جديد للاقتصاد العالمي الذي لم يعد يخضع اليوم للرقابة التقليدية، ولم يعد يؤمن بتدخل الدول في نشاطاته، وخاصة فيما يخص انتقال السلع والخدمات ورأس المال على الصعيد العالمي.
- تنامي دور الشركات متعددة الجنسيات وتزايد أرباحها واتساع أسواقها، وتعاضم نفوذها في التجارة الدولية وفي الاستثمار، لتتضاءل - في مواجهتها - قوة دول الجنوب التي باتت تمثل نخباً أو فريسة لهذه الإمبراطوريات الاقتصادية العملاقة¹.
- بروز الأسواق المالية العالمية، لعل الجانب المالي يمثل أوضح دليل على ظاهرة العولمة وتكامل الأسواق المالية والمتجسدة في النمو الانفجاري لصفقات الدولارات من رأس المال العالمي. والعولمة الحاصلة في مجال الأسواق المالية العالمية، مقصورة على المراكز الرأسمالية المتطورة والمراكز في العالم الثالث التي هي في طريقها للخروج من ترتيب العالم الثالث، وتظل الكتلة الأكبر من الدول النامية خارج هذه العملية، بل تتحمل آثارها.

2- العولمة السياسية:

تعني بث المفاهيم الغربية ونشرها، مثل الديمقراطية، والتعددية السياسية، وانتشار المنظمات غير الحكومية - الأهلية بفعل سقوط النظم الشمولية والسلطوية، وعلى هذا الجانب يدور جدلاً واسعاً عما إذا كان هناك نموذجاً واحداً للديمقراطية هو النموذج الغربي أم يمكن أن تتعدد الصياغات².

وقيام الأمم المتحدة ومؤسساتها المختلفة بحماية حقوق الإنسان وصيانتها، وحماية الأقليات كما يحدث الآن في دارفور.

لقد تعددت مظاهر العولمة في المجال السياسي داخلياً وخارجياً، وأبرز هذه المظاهر:

- انهيار النظام الدولي القديم و بروز ملامح نظام عالمي جديد، أي الانتقال من الثنائية القطبية إلى الأحادية والتي عرفت العديد من التحولات فيما يخص تفكك الإتحاد السوفيتي، وتبني

¹: ممدوح محمود منصور، العولمة (دراسة في المفهوم والظاهرة)، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2003، ص 72.
²: السيد أمين شلبي، العولمة والأمن الثقافي العربي، مرجع سبق ذكره، ص 89.

التعددية السياسية ، والانفتاح على المعسكر الغربي و الانخراط في الاقتصاد العالمي على الصعيد الخارجي .

● تراجع مبدأ السيادة الوطنية للدول: فإن الانتقال الحر للأفراد و السلع و الخدمات و الأفكار و المعلومات عبر المجتمعات و القارات، خلق الانطباع بأن الدولة لم تعد ضرورية، وأنها فقدت دورها و أهميتها، إلا أن هذا لا يعني نهاية الدولة، فالعولمة سياسيا لا تعني القضاء على الدولة، وإنما تتضمن دخول البشرية إلى مرحلة سياسية جديدة يتم خلالها الانتقال الحر للقرارات و التشريعات و السياسات عبر المجتمعات و القارات، بأقل قدر من القيود و الضوابط متجاوزة بذلك الدول و الحدود.

● بروز منافسين جدد للدولة الوطنية: تمثلوا في القوى العالمية و الإقليمية و المحلية الجديدة خلال عقد التسعينات، والتي أخذت تنافس الدولة في المجال السياسي، ومن أبرزها¹: التكتلات التجارية الإقليمية كالسوق الأوروبية المشتركة، المؤسسات المالية التجارية و الاقتصادية العالمية و أبرزها منظمة التجارة العالمية، المنظمات الأهلية غير الحكومية، المنظمات العالمية المتخصصة كمنظمة الأمم المتحدة.

3- العولمة الثقافية:

تعني سيطرة القيم و المبادئ الغربية على العالم، و تم ذلك من خلال التقدم الهائل في أجهزة الاتصال و الإعلام. و هذا أكثر أبعادها إثارة للجدل بما يفسر من أشكال العلاقة بين الثقافة الكونية بما تحمله من قيم و معايير قد تتعارض مع الخصوصيات الثقافية و قيمها الذاتية². رغم أنها لازالت تمر بمراحلها التأسيسية الأولى، و لم تبرز كحقيقة حياتية إلا خلال عقد التسعينات. إن العولمة في جوانبها الثقافية تستمد خصوصيتها من عدة تطورات فكرية و قيمية و سلوكية و هي:

● انفتاح الثقافات العالمية المختلفة و تأثرها ببعضها البعض، فلم يحدث في التاريخ أن أصبحت المناطق الثقافية و الحضارية منفتحة و منكشفة كما هو الحال حاليا، ويظهر ذلك من خلال الحرية الكاملة لانتقال المعلومات و البيانات و الاتجاهات و القيم على الصعيد العالمي، وفقدان القدرة على التحكم في تدفق الأفكار و القيم و القناعات (التداول الحر للأخبار و المعلومات، تلفزيونيا و من خلال البريد الإلكتروني و شبكات الإنترنت).

¹ : عبد الخالق عبد الله، "العولمة، جذورها و فروعها و كيفية التعامل معها"، مرجع سبق ذكره، ص 83-84.
² : السيد أمين شلبي، العولمة و الأمن الثقافي العربي، مرجع سبق ذكره، ص 89.

● انتشار الثقافة الاستهلاكية: رغم أن هذه الأخيرة ليست جديدة، بيد أنها أصبحت في التسعينات الأكثر رواجاً، فلم يحدث في التاريخ أن أصبح العالم مقبلاً على رموز و معطيات و سلع الثقافة الاستهلاكية، كما هو مقبل عليها الآن. و أن تتمكن الثقافة الاستهلاكية من الوصول إلى قطاعات واسعة من الأفراد و الشعوب من كل المستويات الاجتماعية، و في كل القارات. و الذي ساعد على ذلك الزخم الهائل و المتسارع لوسائل الإعلام و الاتصال. و مما سبق عرضه من تجليات العولمة في القطاعات الأساسية، يمكن أن نستخلص الأهداف غير المعلنة التي تسير نحوها العولمة كالتالي:

■ أهداف العولمة:

أما أهداف العولمة فيمكن تلخيصها في قول جيمس روزنو: "إن حركة العولمة تسير إلى التغيير في طبائع البشر، و تحرير الفرد من قيوده، و تعديل نظام الدولة، و عدم التقيد بالحدود الجغرافية، فيمكن للعولمة الانتشار عبر اتجاهات متعددة عبر الحدود الوطنية، و الدخول إلى أي مجتمع في العالم لتوحيد الأفراد و الجماعات و المؤسسات، و تعبئتهم في شكل عمل واحد، و توحيد قوى العمل القادرة على هذه التعبئة"¹. هذا القول البريء يحمل في طياته مخاطر كبيرة تقف وراءها قوى كبيرة، تنظر إلى العالم على أنه مساحة مفتوحة أو ينبغي أن تكون مفتوحة حتى يتسنى لها تحقيق أهدافها و حماية مصالحها، و هي بذلك تضيي هيمنتها الشاملة على الآخر.

فالعولمة ليست مجرد تهديد بالسيطرة على الدولة و قرارها و سياستها و التحكم بالاقتصاد من خلال التنافس على الأسواق، إن لها أهدافاً و نتائج موصولة بذلك و مبنية عليه تصل إلى أبعد من ذلك بكثير، و هي تطال ثقافات الشعوب و هوياتها القومية و الوطنية و تهدد مصالحها و خصوصياتها في الصميم، و ترمي إلى تعميم نموذج من السلوك و أنماط العيش و فرض منظومات من القيم و طرائق التفكير و التدبّر و التدبير، و تكوين رؤى و أهداف تعمل في خدمتها، و من ثمة فهي تحمل ثقافة تغزو بها ثقافات و مجتمعات أخرى، و تؤدي إلى

¹ مجلة الفيصل، "عن فخ العولمة"، العدد 269، ص 18.

تخريب منظمات قيم و إحلال قيم أخرى محلها ليست بالضرورة أفضل من القيم التي لحق بها التخريب، فضلا عن كونها لا ترتبط بخصوصيات الأمم و ثقافتها¹، و يجعلنا ذلك نستعيد قول وزير الثقافة الفرنسي في مؤتمر المكسيك "إن هذا شكل من أشكال الإمبريالية المالية و الفكرية لا يحتل الأرض، و لكن يصادر الضمائر و مناهج التفكير و اختلاف أنماط العيش"².

المطلب الثالث: العولمة الثقافية، مفهومها و أهدافها و تحدياتها:

1- مفهوم العولمة الثقافية:

إن العولمة الثقافية تعني إلغاء الحدود و الحواجز الثقافية بين الأمم و المجتمعات، و جعل العالم قرية صغيرة من خلال وسائل الاتصالات الحديثة و شبكات الإنترنت و التكنولوجيا. قد يبدو للوهلة الأولى أن العولمة الثقافية هي ترك الحرية المطلقة للثقافات الأخرى أن تعبر عن نفسها و تنتقل من نطاقها الضيق إلى آفاق رحبة و واسعة من العالم وفق فرص متكافئة بحيث تتفاعل الثقافات في ما بينها في ظل ثورة الاتصالات التي تسهل من نقل الأنماط الحضارية و الثقافية من منطقة إلى أخرى. لكن الواقع يخالف ذلك و ينقضه، لأن تدفق المعلومات يجري باتجاه واحد من الغرب إلى الشرق، و هناك عدم تكافؤ نتيجة التفوق الإعلامي بالإضاءة إلى تحصن الغرب ضد التأثيرات الثقافية العربية و الإسلامية من خلال تشويه صورة الإسلام و المسلمين في نظر المواطن الغربي.

إن العولمة هي محاولة جهة ما تعميم تطبيق أمر ما على العالم كله، و من خلال هذا التعريف يمكن القول عن العولمة الثقافية هي محاولة مجتمع ما تعميم نموذج الثقافي على المجتمعات الأخرى من خلال التأثير على المفاهيم الحضارية، و القيم الثقافية، و الأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسية مختلفة و تقنيات متعددة.

كما تعرف على أنها محاولة إيجاد ثقافة عالمية، تعني بتوحيد القيم، حول المرأة و الأسرة، و جميع ما يمكن أن يندرج تحت لفظة الثقافة، فهي توحيد للثقافات بغير حدود، و آلة ذلك الإعلام بوسائله

¹ علي عقلة عرسان، "العولمة و الثقافة"، مرجع سبق ذكره.

² عبد الهادي أبو طالب، مؤتمر العلاقات الأمريكية-العربية و تحديات العولمة، الدار البيضاء، مارس 1997.

المختلفة، والاتصالات بقطاعاتها المتعددة، وهذه العولمة مبنية على سرعة انتشار المعلومات، وسهولة حركتها مع إمكانية الوصول إليها بغير رقيب أو حسيب¹.
و هي بهذا المفهوم تعني اغتصاب ثقافي وعدواني رمزي على سائر الثقافات، وبخاصة ثقافتنا العربية.

2- أهداف العولمة الثقافية:

إن ما تهدف إليه العولمة الثقافية هو إيجاد ثقافة عالمية، تعني بتوحيد القيم، حول المرأة و الأسرة، و جميع ما يمكن أن يندرج تحت لفظة الثقافة، فهي توحيد للثقافات بغير حدود، و آلة ذلك الإعلام بوسائله المختلفة، و الاتصالات بقطاعاتها المتعددة، و هذه العولمة مبنية على سرعة انتشار المعلومات، و سهولة حركتها مع إمكانية الوصول إليها بغير رقيب أو حسيب. و بما أن دراستنا تختص بمنطقة المغرب العربي ذات الخصائص العربية، فيمكن إجمال أهداف العولمة الثقافية في هذه المنطقة في:

- اختراق المجتمعات العربية و الإسلامية، و زرع القيم و الأفكار الثقافية للقوى المسيطرة في أبناء العالم العربي.
- التأسيس لهوية ثقافية و حضارية للمجتمعات العربية بعد إسقاط عناصر الممانعة و المقاومة لديها.
- فرض سياسة إعلامية قادرة على إعادة صياغة الأخلاق و القيم و العادات و فرض هيمنة ثقافية جديدة تصب في مصلحة الدول الغربية.

3- تحديات العولمة الثقافية:

هناك مجموعة من التحديات التي تفرضها العولمة الثقافية على العالم ككل بما فيها دول المغرب العربي بالأخص، والتي يمكن تحديدها في النقاط التالية:

¹ : عبد العزيز التويجيري، العولمة و الحياة الثقافية في العالم الإسلامي، دار الفكر العربي، 2001، ص 30.

- الثورة الإعلامية المتمثلة بشبكة الإنترنت و القنوات الفضائية التي تروج للثقافة الغربية، و تدعو إلى أنماط جديدة للحياة، و زرع القيم و الأفكار الغربية في مجتمعات هذه الدول و الترويج لثقافة الاستهلاك بعيدا عن القيم السامية و المثل العليا.
- الدعوة لحرية التعبير المطلقة التي تؤدي في بعض الأحيان إلى الخروج عن العادات و الأخلاق الدينية.
- انتشار بعض القيم الغربية، كالاستنساخ.
- تهديد اللغة العربية من خلال التركيز على استخدام اللغة الفرنسية و حتى الانجليزية في الجامعات و المعاهد، و في التعاملات التجارية حتى داخل الدولة الواحدة، و من خلال التخاطب عبر الانترنت.
- الاختراق الثقافي من قبل الدول الغربية من خلال السيطرة على وسائل الاتصال و قنوات الإعلام المختلفة، و تأثر وسائل الإعلام في المغرب العربي بمثيالاتها الغربية و محاولة تقليدها، مما أدى إلى طمس الهوية الثقافية و لو جزئيا، و محاولة طمس معالم الدين من خلال بث الشبهات و الشهوات، و إشاعة الأنماط السلوكية و المفاهيم الغربية.
- الدعوة إلى فصل الدين عن الأمور الأخرى و إهمال الجوانب الروحية و تهميشها، و التركيز على الجوانب المادية، و الحيلولة دون عودة الإسلام إلى واقع الحياة من خلال تصويره بالرجعية، و وسمه بالإرهاب، و أنه عدو التقدم و العلم.

المطلب الرابع: المواقف المتباينة من العولمة الثقافية:

من أجل التعرف على المواقف المتباينة من العولمة الثقافية لابد من التعرف على الآثار التي تترتب عنها حتى تؤدي إلى ظهور هذه المواقف. العولمة كغيرها من الظواهر لها آثار إيجابية و سلبية ، تتمثل آثارها السلبية في المساعدة على تنمية الثقافة العربية و الإسلامية من خلال تبادل المعرفة و الخبرات، و تحرير المواطن العربي من قيود الإعلام الرسمي، و نشر الثقافة العربية و الإسلامية في المجتمعات الغربية من خلال قنوات الاتصال المختلفة.

أما الآثار السلبية فهي كثيرة نذكر منها:

- انتشار بعض الثقافات الغربية التي تتنافى مع القيم العربية و الإسلامية، كالتفكك الأسري، الذي أضعف سلطة الآباء على الأبناء، و اللامسؤولية للبنين و البنات.
- التقليد الأعمى للغرب و اللهث وراء ما يسمى بالموضة لمواكبة التطور و اللحاق بركب الحضارة الغربية الموهومة.
- التقليل من شأن التراث العربي و الإسلامي و قطع صلة الأجيال بماضيها.
- التركيز على قضايا هامشية تخص الطفل و المرأة و حقوق الإنسان و تعظيم قدرها من اجل الانشغال بها عن القضايا الوطنية.
- التركيز على الحرية الإعلامية و الانفتاح و إنهاء الرقابة على وسائل الإعلام من أجل نشر الإباحية التي تؤدي إلى فساد الأخلاق و البعد عن الدين.

لم يسبق في الواقع أبدا للأشخاص و الأفكار و الثروات و الخدمات، السفر عبر العالم، بمثل هذه السرعة و بكلفة اقتصادية بمثل هذا الانخفاض، إلا في عصر العولمة التي جعلت العالم قرية صغيرة. لا تطرح مسألة الثقافة و العولمة عند الباحثين و المثقفين من منطلقات واحدة و لا تثير الإشكاليات ذاتها.

فهناك من يرى بأن العولمة لا تحمل أي تهديد ثقافي، بل بالعكس فهي تقدم فرصا لتجاوز نهائي و حاسم للخصوصيات المريضة و السلفيات الثقافية التي سيطرت على المجتمعات خاصة العربية منها في الحقبة الماضية¹، ففيها أحدث ما وصل إليه العلم من وسائل الاتصال و التقنيات الحديثة، و ينبغي اغتنام الفرصة و مواكبة التطورات. و هذا الموقف التابع جلب و لازال يجلب سلبيات الحضارة الغربية و هو معجب بها، و هو ينظر إلى الثقافة و كأنها تستورد و تشتري و يمكن تناقلها بين الأمم. و آخرون يرون أن التعزيز لوسائل الاتصالات يساهم في تعميم أنماط الاستهلاك السائدة في البلاد الغنية، و نشر أنماطهم الثقافية و استلاب هوية سكان العالم الثالث و الذين يجدون أنفسهم مدفوعين إلى الهجرة نحو هذه البلاد التي تنظم منهاجيا استعبادهم الاجتماعي² و على تعدد مشاربهم القومية و الدينية فالعولمة تعني بالضرورة عندهم اختراق البنية

¹ : برهان غليون، "رهانات العولمة"، جريدة الإتحاد الطيبانية، 1991 في:

[Http:// mafhoum . com /press2/71p31 htm](http://mafhoum.com/press2/71p31.htm)

في 10/04/2010 على 18:37

² : محمد عبده، "آثار العولمة على الهوية الثقافية"، مجلة الفكر السياسي، العددان 4 و 5، شتاء 1998 و 1999.

الثقافية المحلية، وتفاهم مخاطر الاستلاب و الغزو الثقافي. بل مخاطر محو الهوية و نزع الخصوصية الشخصية¹. و هذا الموقف الراض موقف خاسر، غير واقعي لأنه سيؤدي إلى العزلة و الانكفاء.

فيما يرى فريق ثالث أن نمسك العصا من الوسط، فلا توصل الأبواب أمام العولمة الثقافية بالكامل، و لا تُفتح لها على مصراعها، بل أخذ منها المناسب من دون المساس أو التخلي عن الهوية و ترك ما يمكن أن يؤثر سلبا على ثقافة المستهلك لها.

إجمالاً يعد هذا الرأي هو الصائب، فهو لا ينفي التفاعل الحضاري و التواصل الثقافي الانتقائي، حفاظاً على العقيدة و الهوية و الأخلاق من عبث العولمة الثقافية و الفكرية. فهو اتجاه عقلائي يضع عملية التعامل مع العولمة دون الانبهار بها كلية و دون رفضها مطلقاً.

المبحث الثاني: المضامين المختلفة لمفهوم الأمن

المطلب الأول: مفهوم الأمن

كان الأمن و لازال الهاجس الأول للأفراد و الجماعات والأمم ، تسعى لتحقيقه بشتى الوسائل و السبل. لذلك فقد رافق تصور الحياة الآمنة كل العصور و الأزمنة، بما يتفق مع غريزة البقاء و الدفاع عن الحياة و سلامة الجسد و الحرية. و على الرغم من أهمية الأمن و شيوع استخدامه إلا أنه يصعب تحديد مفهوم واحد للأمن، و هذا ما نلاحظه من خلال التعريفات التي سنتعرض لها.

1- تعريف الأمن:

الأمن لغة: مصدره أمن-الأمان و الأمانة. بمعنى: و قد أمّنت فأنا آمن، و أمّنت غيري من الأمن و الأمان ضد الخوف²، وهو بذلك اطمئنان النفس و زوال الخوف و منه الإيمان و الأمانة، المعنى الذي ورد في التنزيل العزيز بقوله تعالى: "و آمنهم من خوف"، و منه "أمنة نعاسا" و "إذ يغشاكم النعاس أمنة

¹ :برهان غليون، "رهانات العولمة"، مرجع سابق.
² :الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص 199.

منه"، نصب أمنة لأنه مفعول له كقولك فعلت ذلك حذر الشر، و"هذا البلد الأمين" أي الآمن، يعني مكة و هو من الأمن¹.

و عليه فإن مفهوم الأمن قديم جدا، فعندما عدنا إلى النص القرآني وجدنا مادة أمن في صيغ شتى مئات المرات بنسبة تواتر و توارد مرتفعة جدا و السبب في ذلك يرجع إلى أنها المادة التي أشتق منها الإيمان².

المفهوم الاصطلاحي للأمن: يعود استخدام الأمن إلى نهاية الحرب العالمية الثانية في الأدبيات الداعية إلى تحقيق الأمن و تجنب الحرب، والأمن من وجهة نظر دائرة المعارف البريطانية يعني: حماية الأمة من خطر القهر على يد قوة أجنبية، لذلك فقد تأسست وزارات الأمن القومي في معظم البلاد و قصر اهتمامها بحالة اللاأمن الناتجة عن التهديد العسكري، و عاش العالم مرحلة سباق التسلح بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل البيولوجية و الكيميائية و الذرية كجزء من سياسات الدول الكبرى لإظهار هيمنتها و قوتها³.

يعرف هنري كيسنجر الأمن على أنه: أي تصرفات يسعى المجتمع عن طريقها إلى حفظ حقه في البقاء.

1.1- الأمن حسب النظريات التقليدية:

أما علماء السياسة فقد عرفوا الأمن في الإطار الفكري تبعا للنظرية التي يتم من خلالها النظر للمصطلح و هي ثلاثة: النظرية الواقعية، النظرية الليبرالية و النظرية المثالية.

أ- الواقعية و الواقعية الجديدة:

يعود مفهوم الأمن في الفكر الواقعي إلى فترة قديمة جدا، متضمنا كل تياراته: الواقعية الكلاسيكية، الجديدة، الدفاعية، الليبرالية و الهيمناتية، و مفكري و منطري هذه التيارات من توسيديديس إلى هانز مورغانتو إلى كينت والتز مرورا ب سبيكمان و ريمون آرون، ينادون بالقوة و الهيمنة و المصلحة الوطنية و الأمن القومي و التي طالما مثلت مبادئهم التي يؤمنون بها⁴.

¹ ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الحديث، 2003.

² الطيب البكرش، "الترباط بين الأمن الإنساني و حقوق الإنسان"، المجلة العربية لحقوق الإنسان، العدد 10، المعهد العربي لحقوق الإنسان، جوان 2003، ص 165.

³ فائزة الباشا، الأمن الاجتماعي و العولمة، المركز العالمي لدراسات و أبحاث الكتاب الأخضر، الموسم الثقافي لـ 2006، ص 7.

⁴ Jean Jacques Roche, Théories de la sécurité; Paris; Montchrestien édition 2002; P10.

حسب المنظور الواقعي فإنه لا وجود للرجل القوي في النظام الدولي و بالتالي فإن النظام الدولي الذي تتفاعل فيه الدولة دون سلطة فوقية يصبح فوضى و منه تدخل الدول في صراعات دائمة من أجل القوة و الحفاظ على أمنها القومي ضد الأخطار الخارجية¹. إذن يعتبر مفهوم الأمن القومي المرتبط بالدولة، المفهوم الأكثر تقليدياً، حيث يعتبر الواقعيون أن الأمن من اختصاص الدولة فقط، بما أنها الفاعل الرئيس، فالدولة تتحرك وفق إدراكها للمحافظة على أمنها مما يقتضي الاستحواذ على القوة و استخدامها عند اللزوم، و بالتالي فإن الأمن المستهدف هو أمن الدولة الذي يحقق التماسك الاجتماعي و الاستقرار السياسي للدولة².

و عليه يمكن استنتاج مبادئ و أسس الفكر الواقعي و التي تعتبر محددات لتحليل مفهوم الأمن لديهم و هي كالاتي:

- 1- الدولة هي الفاعل الوحيد في العلاقات الدولية.
- 2- تحاول الدول تطوير قدراتها العسكرية للدفاع عن نفسها أو التأثير على الآخرين و بالتالي فالحرب ضرورية و لا يمكن تفاديها.
- 3- غياب الثقة بين الدول و سمو المصلحة الوطنية.
- 4- يتسم النظام الدولي بحالة فوضى و ليس هناك سلطة مركزية مشتركة يمكن لها حل العلاقات النزاعية بين الدول.
- 5- بنية النظام الدولي هي التي تحدد سلوكيات الدول، لأن استقرار النظام أو عدم استقراره راجع إلى تقسيم القدرات بين الدول خاصة العسكرية منها و قدرة تحقيق التوازن بين القوى.

قام الواقعيون الجدد من أمثال كينيت والتز و ميرشايمر بمراجعة فكرة زيادة القوة العسكرية، على أن الدولة تعمل على زيادة قدراتها العسكرية ليس من أجل القوة في حد ذاتها، وإنما من أجل الدفاع على أمنها و إقليمها، لكن المضمون لم يتغير فالأمن عندهم ملائم فقط للعلاقة بين الدول و يبقى ضمانه مرتبطاً ببناء توازنات عسكرية، و

¹ :تاكايوكي ياما مورا، مفهوم الأمن في نظرية العلاقات الدولية، ترجمة عادل زقاغ www.Geocities.com/Adel_Zeggargh.lints.html

² :فايزة الباشا، الأمن الاجتماعي و العولمة ، مرجع سبق ذكره، ص8.

بذلك يبقى الأمن الغاية القصوى ما دام هناك حالة فوضى في النظام الدولي¹.

أما الواقعية الدفاعية فقد فضلت الإستراتيجيات التعاونية، حيث ترى أنه من أجل تحقيق الدولة لأمنها يجب أن تدخل في علاقات دبلوماسية و اتفاقيات خاصة مع القوة الكبرى، و هكذا يتم تعويض ميزان القوة بميزان الردع و هذا ما يؤدي إلى تقليص المأزق الأمني و منه العمل على تحقيق الأمن المشترك².

ب- الليبرالية و الليبرالية الجديدة:

ترفض الليبرالية فكرة أن الدولة هي الفاعل الوحيد في العلاقات الدولية و أن أمنها لا يقتصر على البعد العسكري فحسب بل يتعداه إلى أبعاد اقتصادية و اجتماعية و ثقافية³، كما تقوم باستبدال مفهوم الأمن القومي بالأمن الجماعي عبر إنشاء منظمات و مؤسسات دولية و إقليمية تعمل على ضمان و تحقيق الأمن و السلام بطريقة تعاونية و تبادلية بين الدول و عليه وجود فاعلين غير الدولة⁴.

لقد ساهم في تطور هذه النظرية تطور نظرية الاعتماد المتبادل و تطور العلاقات الاقتصادية الدولية و تشابكها مما أدى إلى تراجع العلاقات الإستراتيجية و العلاقات ما بين الدولية لصالح العلاقات عبر قومية⁵.

أما مبادئ الليبرالية التي تساعد على فهم المقاربات الأمنية فهي كالآتي:

- 1- يؤدي التعاون و التقارب إلى تقليص حدة التزايدات بين الدول.
- 2- تعتبر المؤسسات و المنظمات و وسائل تحقيق التعاون و منه الأمن.
- 3- نشر قيم الديمقراطية لأنها تؤدي إلى تقليص الصراعات بين الدول الديمقراطية.
- 4- تطوير العلاقات الاقتصادية لأن التداخل يحقق الأمن بسبب تخوف كل طرف على مصالحه الاقتصادية.

¹: H el e Viau; la Th eorie critique et le concept de s ecurit e en relations internationales; note de recherche CEPES Universit e du Qu ebec  a Montr eal N o8 Janvier 1999.

²: Jean Jaques Roche; Op Cit; P 93.

³: مصطفى علوي، "ملاحظات حول مفهوم الأمن"، النهضة، دورية تصدر عن كلية الإقتصاد و العلوم السياسية، القاهرة، العدد 5، سنة 2000، ص 123.

⁴: تاكايوكي يامامورا، مفهوم الأمن في نظرية العلاقات الدولية، مرجع سبق ذكره.

⁵: Jean Jacques Roche Ibid; P 97.

أما فيما يخص أزمة الثقة الموجودة عند الواقعيين، فإن الليبرالية ترى أنه يمكن القضاء عليها من خلال الاتصال بين الدول و تبادل المعلومات من خلال المؤسسات و المنظمات. و هذا ما ذهب إليه جوزيف ناي حين طالب القوة الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية) على التقليل من استعمال القوة الصلبة و تعويضها بالقوة اللينة من أشكال الاقتصاد و الثقافة للانتشار في النظام الدولي من جهة و لقلّة تكلفتها من جهة أخرى.

ج - الأمن و النظرية المثالية:

تعد المثالية إحدى تيارات الفكر الليبرالي فهي تتشارك معه في عدة أطروحات خاصة تلك الخاصة بفكرة المجتمع المدني العالمي، ظهرت مع بداية القرن العشرين مع ظهور عصبة الأمم التي جاءت لتحقيق الأمن الجماعي، و لكن باندلاع الحرب العالمية الثانية تلاشت هذه الأفكار¹.

بعد هذه الفترة جاء المثاليون الجدد لإحياء أفكار المثالية التي سبقت الحرب العالمية الثانية، لكن أحداث 11 سبتمبر 2001 و إعلان الولايات المتحدة الأمريكية حق الدفاع عن نفسها بالقوة ، تبخرت مجددا أفكارهم المتمثلة في تحقيق الأمن الجماعي بسبب غياب رغبة حقيقية و إرادة دولية في تولي الأمم المتحدة مهمة إرساء منظومة أمن جماعي .
تتلخص النظرة المثالية لمفهوم الأمن في النقاط التالية:

1- يعدّ التحكيم الدولي و الحلول القانونية من أنجع الآليات لإرساء الأمن الجماعي و التخلي عن الحرب.

2- نزع التسلح من أجل القضاء على النزاعات و تراجع استعمال القوة.

3- الاعتماد على الحركات السلمية عبر القومية، كالمنظمات الدولية غير الحكومية و تشكيل مجتمع مدني موازي للدول مما يؤدي إلى بروز ثقافة سلمية عالمية. و بالتالي تحقيق السلم عن طريق الأفراد و الشعوب و ليس عن طريق الدول.

4- جعل القانون الدولي قانونا عالميا محترما من طرف الجميع و الذي يتم من خلاله احترام حقوق الدول، الشعوب، الأفراد و الأقليات.

¹: Jean Jacques Roche; Op.Cit; P 102.

لقد انتقد الواقعيون الفكر المثالي بشدة وأتهموه بالخيالية خاصة فيما يخص فكرة الأمن الشامل، و سعيهم الدائم لخلق قانون السلام¹.

2.1- الأمن حسب النظريات الحديثة:

أ- المنظور البنائي:

تعد كتابات ألكسندر وانت و نيكولاس أونيف الانطلاقة لظهور هذا المنظور، في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات خاصة مع تصدع المعسكر الشيوعي². وقد جاء في كتابات وانت أن الأمن ليس مسألة حتمية بل مسألة إدراك و أن صناع القرار هم الذين يصنعون هذا الإدراك و يجعلون جوانب مادية حقيقة حيث تصبح الحروب و النزاعات ضرورة في العلاقات الدولية.

يمكن فهم تصور الأمن عند البنائية من خلال النقاط التالية:

- 1- بني النظام الدولي هي بني اجتماعية و الفوضى الدولية و البحث في القوة هي من تكوين صناع القرار و ليس حقائق موضوعية و بالتالي فالدول هي التي تصنع محيطها نتيجة إدراكها و منه فالفوضى ليس معطى موضوعي و لكنه تكوين و بناء ذاتي أدجمته الدول منذ معاهدة واستفاليا في سلوكياتها و بالتالي فإن الاستراتيجيين لا يرون إلا ما هو موجود في نياتهم الداخلية و ليس الحقيقة³.
- 2- الشروط المادية ليست المحدد الوحيد للأمن كالقوة العسكرية و الاقتصادية و إنما هناك محددات أخرى كالقيم و المعايير الثقافية و الإيديولوجية و الهوياتية و هي قادرة أن تصيغ هوية النظام الدولي مستقبلا⁴.
- 3- تحقيق الاستقرار و تقليص الحروب و النزاعات و استتباب الأمن، أمور يمكن تحقيقها إذا لم تغير طريقة التفكير بالنسبة للدول و بالتالي صناع القرار⁵.

¹ :Ibid;P 103.

² : Brown Chriss; Under standing International relations; New-York; Palgrave publishers 2001; P52.

³ :حموش رياض،نظرية العلاقات الدولية،محاضرة ملقاة على سنة رابعة علاقات دولية،جامعة قسنطينة،2003.

⁴ : المرجع نفسه.

⁵ : المرجع نفسه.

إذن فالبنائية تبحث في مواضيع مختلفة كالهوية والخطاب السياسي والقيم الثقافية والحقائق وإدراكات صناع القرار و كل هذه المتغيرات تؤدي إلى الوضع السلمي حسب البنائين. كانت لهم نظرة تفاؤلية اتجاه شكل و طبيعة النظام الدولي، لاقتناعهم أنه ليس هناك صراع و تنافس أبدي بين القوى العظمى من أجل القوة¹. فبخلق الجماعات الأمنية يتم احتواء التزايدات بفعل فاعلين دولائين و غير دولائين عن طريق تكوين ثقافة للأمن الجماعي مما يحدث تغيير في الثقافة و الأطروحات السائدة حول الأمن خاصة تلك التي جاءت في الفكر الواقعي، حيث ذهبت مدرسة كوبنهاغن إلى صياغة جديدة للأمن مفادها أن القطاع العسكري ليس المحدد الوحيد للأمن بل هناك عدة قطاعات يمكن تحديد الأمن من خلالها كالقطاع السياسي، الاقتصادي و القطاع الاجتماعي الذي يعتبره باري بوزان زعيم المدرسة من أهم القطاعات بما يتضمنه من أمم، و ثقافات أديان و.....².

ب- النظرية النقدية:

من أهم ما جاءت به هذه النظرية أنها تعتبر الفرد كموضوع مرجعي أساسي للأمن³، حيث أن العمل على حماية الكائن البشري أو الجماعة الإنسانية بصورة شاملة تجعل الهدف الأساسي هو البحث عن وسائل و إستراتيجيات لضمان الأمن العالمي الشامل و الأمن البشري و هما المفهومان الأساسيان للأمن اللذان تقترحهما النظرية النقدية في إطار الدراسات الأمنية.

أما عن أهم مبادئهم في تصورهم للعلاقات الدولية و النظام الدولي و كذلك مفهوم الأمن الدولي المحلي فهي كالآتي:

- 1- يتبنون مقاربة بنوية بحيث أن هناك قوى اقتصادية و اجتماعية شاملة هي التي تحدد الأمن و تطوره الحقيقي و ليس الدول بصفة مطلقة.
- 2- الرهانات غير العسكرية لها مكانة كبرى و أساسية في تحقيق الأمن منها التهديدات العسكرية التقليدية لأن مصادر التهديد و اللأمن بعد الحرب الباردة أصبحت تتمثل في الفوضى الاقتصادية و أزمات الهوية الاجتماعية و الكوارث البيئية و كذلك المسألة الصحية و التربوية أي كل ما يهدد الأمن الإنساني.

¹ :Jeun Jacques Roche;Op.cit;P 105.

² : توسع مفهوم الأمن، محاضرة للدكتور عبد النور بن عنتر على طلبة ماجستير علوم سياسية و علاقات دولية، جامعة باتنة، 2009.
³ :جون بيليس و ستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة مركز الخليج لأبحاث، الإمارات العربية المتحدة، مركز الخليج للأبحاث، 2004، ص 433.

3- يجب أن يكون الخطاب و العمل من أجل تحقيق الأمن الإيجابي و بالتالي يجب أن يحدث تغيير في إدراكات و ضمائر الأفراد و التخلي عن الحرب و تطوير آليات السلام و الأمن عن طريق إحداث نسج بين الجماعات و المجتمعات و الأمم و بالتالي خلق معايير و قيم جديدة للأمن عن طريق المجموعات و الأفراد المترابطين في شبكة عبر قومية.

4- النظرية هي عبارة عن أداة تبريرية و أداة للتحويل و التغيير في السياسات الأمنية و ذلك حسب قول المفكر النقدي روبر كوكس: " النظرية تكون دائما من أجل أحد و لهدف معين"¹.

كما هو الحال بالنسبة للبنائية ترى النقدية أن مفهوم الأمن هو مفهوم موسع لا يعتمد على القوة العسكرية فقط بل يتعداها إلى عوامل أخرى كالبيئة و الهوية.

تسعى النظرية النقدية إلى إعادة تشكيل الترتيب العالمي القائم بصورة تضمن دعم السلم، تقوية المنظمات المدافعة على حقوق الإنسان و التنمية، و ذلك بإعادة النظر في أولوية الدولة كموضوع مرجعي للأمن من جهة، و تحديد وضع الفرد من جهة ثانية، إضافة إلى تحويل الدور التقليدي للقوات العسكرية و الاستعانة بالفاعلين غير الحكوميين².

1. 3- مفهوم الأمن في زمن العولمة:

يعني الأمن قدرة الدول على الحفاظ على هويتها المستقلة و وحدتها الوظيفية، ثم وسّع مفهوم الأمن ليشمل القيم والوطنية وسلامة السكان، و الرفاه الاقتصادي و المعيشي، و يجد آخرون مفهوم الأمن الوطني في حماية سيادة الدولة، بدأ الأمن الوطني يتسع و يأخذ أبعادا و جوانب كثيرة و معقدة، مثل التنمية الاقتصادية و الاجتماعية، و العوامل الثقافية و العرقية، لأنها تتحكم في العلاقة بين المجتمعات، و تشكل أحيانا تهديدا.

بدأت تهديدات جديدة عدة و معقدة تواجه الأمن الوطني منذ نهاية الحرب الباردة، غيرت كثيرا في مفهومه و أبعاده، و بدأت تزهر بقوة مصطلحات و مفاهيم مثل الأمن الاقتصادي و الأمن الاجتماعي، ذلك أن المجتمعات مع قضايا الهجرة و العولمة و الاتصالات بدأت تواجه تهديدا في هويتها و بقائها لا يقل خطورة عن التهديد الذي تواجهه الدولة، و أصبح التهديد ضد أمن الشعوب و الأمم لا يأتي من القوات المسلحة للدول، وإنما من الركود الاقتصادي و الاضطهاد السياسي، ندرة الموارد، و الصراع العرقي و الثقافي، والإرهاب و الأمراض و الأوبئة و التلوث،

¹ : حمدوش رياض، مرجع سبق ذكره.

² : جون بيليس و ستيف سميت، عولمة السياسة العالمية، مرجع سبق ذكره، ص 436.

فإن مفهوم الأمن و أهدافه و مجالاته تغيرت تغيرا كبيرا. و هكذا فقد أصبح البشر هدفا و موضوعا للأمن، فالعالم بدأ يواجه تحديات مثل الصراعات الداخلية الإثنية مما يصعب مواجهته بالقوة العسكرية، و تشكل الأوبئة (مثل الإيدز و أنفلونزا الطيور و الخنازير) مع اتساع نطاق الاتصال و السفر تهديدا مرعبا قد يضر بالدول و المجتمعات أكثر من الحروب و التهديد العسكري¹.

2- أبعاد الأمن

بفعل العولمة، بمختلف أبعادها، نعيش توسيعا لمفهوم الأمن، و يعد هذا من بين تحولات المشهد الأمني العالمي، أما التحول في المجال الأمني فهو تحولات القوة، فالقوة لم تعد ترتبط ارتباطا وثيقا بالعامل العسكري بل تعدته إلى التكنولوجيا، التعليم، النمو الاقتصادي، الاتصالات، المعلومات و أصبح الحديث عن الأمن اللين و الذي يعني التهديدات غير المباشرة أو التهديدات غير العسكرية مثل عدم الاستقرار، التطرف، الإرهاب، التهريب، المخدرات، الهجرة غير المشروعة، الجريمة المنظمة، إلى جانب الأمن الصلب و الذي يعني التهديدات المباشرة أو العسكرية².

تعدى الأمن نطاقه المحلي، و لم يعد بإمكان الدول أن تضمن أمنها خارجيا رغم امتلاكها للقوة الاقتصادية، وقد تجلّى ذلك مع عمليات الحادي عشر من سبتمبر 2001، حيث أن القوة الأولى في العالم بترسانتها التقليدية و غير التقليدية لم تتمكن من حماية نفسها³، و بالتالي ففي زمن العولمة فإن عمل تداعيات اللاأمن يشبه نظرية الدومينو، سقوط الأول ينجر عنه سقوط الثاني و هكذا. فبفعل العولمة، أصبح عمل الفاعلين و التحركات في منطقة ما ينتهي بأن يؤثر على مناطق أخرى. فالعولمة لم توجد فقط اقتصادا معولما بل خلقت ديناميات تؤثر على قضايا الأمن، أو بدورها بدأت ديناميات الأمن المعولم بالتأثير على الاقتصاد المعولم⁴.

إلا أنه إذا كانت العولمة عملية راجحة في المجال الاقتصادي، فإن الأمر ليس كذلك في الميدان الأمني، فمن غير المرجح أن تتمكن العولمة لوحدها من وقف الصراعات العرقية في البلقان، و تفادي تحول منطقة الخليج لبؤرة توتر دائمة، أو حل مشكلة الفقر في إفريقيا مثلا، فلا يمكنها أن تحل هذه المشاكل الأمن، لأنها تعمل أساسا في الدائرة الاقتصادية التي خارج مجال شؤون الأمن⁵. فدينامية

¹ : عبد النور بن عنتر، الأمن في المتوسط، الجزائر، المكتبة العصرية للطباعة و النشر، 2005، ص 23.

² : عبد النور بن عنتر، البعد المتوسطي للأمن الجزائري الجزائر أوربا و الحلف الأطلسي، مرجع سبق ذكره، ص 34.

³ : المرجع نفسه، ص 35.

⁴ : Abdennour Benantar, "La mondialisation; l'Etat et la sécurité"; in: Mondialisation et sécurité: sécurité pour tous ou insécurité partagée?; actes du colloque international; mondialisation et sécurité; CDN; tome 2; 2^{ème} éd.; Alger; ANEP; 2003; p 102.

⁵ : عبد النور بن عنتر، البعد المتوسطي للأمن الجزائري الجزائر أوربا و الحلف الأطلسي، مرجع سبق ذكره، ص 35.

العولمة تبقى غير متوازنة، ففيما وضعت المؤسسات الاقتصادية و المالية الدولية قواعد ومعايير للاستجابة لتحديات العولمة، بقيت المؤسسات الأمنية إلى حد كبير، إقليمية و غير حيوية، باستثناء المنطقة العابرة للأطلسي. وبالتالي فالعالم يعيش تطور حاكمية اقتصادية حقيقية، بينما لا شيء يذكر طور في سبيل حاكمية أمنية¹.

إجمالاً يمكن تصنيف التحديات التي تواجه الأمن بمفهومه الموسع في زمن العولمة كالتالي²:

أ- عدم الاستقرار المالي: والمثال البارز على ذلك الأزمة المالية في جنوب شرقي آسيا منتصف عام 1997. إذ أكد التقرير على أنه في عصر العولمة والتدفق السريع للسلع والخدمات ورأس المال فإن أزمات مالية مماثلة يتوقع لها أن تحدث.

ب. غياب الأمان الوظيفي وعدم استقرار الدخل: إذ دفعت سياسة المنافسة العالمية بالحكومات والموظفين إلى إتباع سياسات وظيفية أكثر مرونة تتسم بغياب أي عقود أو ضمانات وظيفية؛ وهو ما يترتب عليه غياب الاستقرار الوظيفي.

ج. غياب الأمان الصحي: فسهولة الانتقال وحرية الحركة ارتبطت بسهولة انتقال وانتشار الأمراض كالإيدز فيشير التقرير إلى أنه في عام 1998 بلغ عدد المصابين بالإيدز في مختلف أنحاء العالم حوالي 33 مليون فرد، منهم 6 ملايين فرد انتقلت إليهم العدوى في عام 1998 وحده.

د. غياب الأمان الثقافي: إذ تقوم عملية العولمة على امتزاج الثقافات وانتقال الأفكار والمعرفة عبر وسائل الإعلام والأقمار الصناعية. وقد أكد التقرير على أن انتقال المعرفة وامتزاج الثقافات يتم بطريقة غير متكافئة، تقوم على انتقال المعرفة والأفكار من الدول الغنية إلى الدول الفقيرة، وفي أحيان كثيرة تفرض الأفكار والثقافات الوافدة تهديداً على القيم الثقافية المحلية.

هـ. غياب الأمان الشخصي: ويتمثل في انتشار الجريمة المنظمة والتي أصبحت تستخدم أحدث التكنولوجيا الحديثة.

¹: Abdenmour Benantar; op.cit:p101.

²: خديجة عرفة، تحولات مفهوم الأمن، مركز الدراسات الآسيوية، كلية الاقتصاد و العلوم السياسية، جامعة القاهرة، ص 2 و 3.

و. غياب الأمان البيئي: وينبع هذا الخطر من الاختراعات الحديثة والتي لها تأثيرات جانبية بالغة الخطورة على البيئة.

ز. غياب الأمان السياسي والاجتماعي: حيث أضفت العولمة طابعاً جديداً على النزاعات تمثلت في سهولة انتقال الأسلحة عبر الحدود؛ وهو ما أضفى عليها تعقيداً وخطورة شديدين، كما انتعش دور شركات الأسلحة والتي أصبحت في بعض الأحيان تقوم بتقديم تدريب للحكومات ذاتها؛ وهو ما يمثل تهديداً خطيراً للأمن الإنساني.

لقد توسع مفهوم الأمن ليشمل قطاعات و أبعاد عديدة و مختلفة بعد أن سيطرت و حتى وقت قريب مقاربة تقليدية واقعية التصور على قضية الأمن، باختزاله في المجال العسكري حصراً، و من خلال ما جاء به روبرت مكنمارا- وزير الدفاع الأمريكي الأسبق في كتابه " جوهر الأمن " بتعريفه الأمن بأنه: " يعنى التطور والتنمية سواء منها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية في ظل حماية مضمونة " يمكن استخلاص أنه أصبحت هناك نظرة شمولية للأمن، و هكذا وسع هذا المفهوم بشكل كبير ليشمل الجوانب العسكرية، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية و الثقافية :

2. 1- البعد السياسي و العسكري:

يشير المعنى السياسي الضيق للأمن إلى أن هذا الأخير هو سلامة الدولة من التهديد الخارجي الذي يستهدف استقلالها، استقرارها و وحدتها الترابية، يعكس مفهوم الأمن السياسي في معناه الضيق التصورات التقليدية له و التي برزت أثناء ممارسات السياسة الدولية لما بعد الحرب العالمية الأولى، حيث تم ربط مفهوم الأمن بالدولة، الفاعل الأساسي في العلاقات الدولية، ليشير إلى حماية و سلامة الدولة من الأخطار و التهديدات الخارجية ذات الطبيعة السياسية، الدبلوماسية و العسكرية التي يمكن أن تؤثر على الدولة تأثيراً مادياً يمس كيانها السياسي و القانوني و وحدتها الترابية، و عادة ما يطلق على هذا المصطلح بالأمن الوطني، المعنى السائد في خطاب السياسات الخارجية للدول و في ممارسات السياسة الدولية، و نادراً ما يتم الحديث عن الأبعاد الاجتماعية و الاقتصادية للأمن. و كانت النتيجة أن انحصر الاهتمام الرئيسي لكل من الأكاديميين و رجال الدولة بالقدرات العسكرية التي يتعين على دولهم تطويرها من أجل التصدي للتهديدات التي تواجهها¹.

¹ :جون بيليس و ستيف سميث، عولمة السياسة العالمية ، مرجع سبق ذكره، ص 411.

أما الأمن العسكري فيخص المستويين المتفاعلين أو المتقابلين للهجوم المسلح و القدرات الدفاعية و كذلك مدركات الدول لنوايا أو مقاصد بعضها تجاه البعض الآخر¹.

2.2- البعد الاقتصادي:

تم ربط البعد الاقتصادي حسب التقليديين في المقام الأول، برخاء و رفاهية الفرد، مما يعني إنعاقه من الفقر و الجوع ليكون مؤمنا اقتصاديا في سياق نظام اقتصادي غير عادل و لا متوازن ما ينعكس على النظام البيئي الذي يشكل هو الآخر بعدا أمنيا أشد حساسية².

يرتبط البعد الاقتصادي للأمن في إطار التصورات النقدية بالبنية الاقتصادية السائدة، فحسب هذا المنظور، كلما زادت حدة الاعتماد المتبادل بين الدول في مسار إنتاجي متقدم، كلما أصبحت هذه المسارات معرضة للتقلبات والاضطرابات، كالتزود بالمواد الطاقوية بالنسبة للدول و المجتمعات المعتمدة بشدة على استيراد مصادر الطاقة الضرورية للإنتاج، ومن نفس المنظور النقدي ما يهدد الأمن الاقتصادي هي مجموعة من التهديدات الناتجة عن البيئة الاقتصادية التي أفرزت الهوة بين الفقراء والأغنياء، ندرة الموارد الاقتصادية، الغذائية أو المالية بمثابة الشروط الأساسية لحياة الفرد، و بالتالي تحقيق الأمن الاقتصادي يتطلب ضمان الرخاء والرفاهية للفرد أي عدم تكبيل حريته بالفقر و الجوع و الحرمان³.

اختصارا يعرف عن البعد الاقتصادي للأمن على أنه توفير المناخ المناسب لتحقيق احتياجات الشعوب و توفير الأطر المناسبة لتقدمها و ازدهارها. فالأمن الاقتصادي يحرص النفاذ أو الوصول إلى الموارد المالية و الأسواق الضرورية للحفاظ بشكل دائم على مستويات مقبولة من الرفاه و قوة الدولة⁴.

3.2- البعد الاجتماعي:

يعتبر البعد الاجتماعي الموضوع المركزي للدراسات الأمنية المعاصرة خاصة بعد نهاية الحرب الباردة، إذ أن التطور السريع لوسائل الاتصال و النقل، التزايد الهائل في المبادلات الدولية، الحركية المتنامية للأفراد، نشاطات منظمة الجريمة عبر الوطنية، كتجارة المخدرات، تبييض الأموال، تجارة

¹ : عبد النور بن عنتر، البعد المتوسطي للأمن الجزائري الجزائر أوروبا و الحلف الأطلسي، الجزائر، المكتبة العصرية للطباعة و النشر و التوزيع، 2005، ص 16.

² : علاق جميلة و ويلي خيرة، مفهوم الأمن بين الطرح التقليدي و الطروحات النقدية الجديدة، الملتقى الدولي، الجزائر و الأمن في المتوسط، جامعة قسنطينة، 29-30 أبريل 2008، ص 314.

³ : منيرة بلعيد، الديناميكيات الأمنية الجديدة في الإقليم المتوسطي: دور الجزائر الأمني كفاعل في المنطقة، الملتقى الدولي، الجزائر و الأمن في المتوسط، جامعة قسنطينة، 29-30 أبريل 2008، ص 102.

⁴ : عبد النور بن عنتر، البعد المتوسطي للأمن الجزائري الجزائر أوروبا و الحلف الأطلسي، مرجع سبق ذكره، ص 16.

المعدات النووية، و الإرهاب البيولوجي، الهجرات الدولية الشرعية و غير الشرعية و ما تمثله كمصدر قلق لدى الدول و المجتمعات و الأفراد بسبب مسائل الهوية المطروحة بشدة في المجتمعات الغربية¹. التي لم تعد حكرا على الدول المتخلفة فحسب، و قد تجد بعض مسبباتها في موجة التدفقات السكانية و ما تثيره من قلق و توترات للبنية الديمغرافية للدول المستقبلية، بفعل تنامي العنصرية و كراهية الأجانب، مما يهدد الاستقرار المجتمعي و معه الأمن العالمي.

لقد شهدت فترة ما بعد الحرب الباردة بشكل خاص، عجز الدول في التزاعات الإثنية، سواء كانت مصدرا للتزاع أو كمحصلة له، حيث تظهر عدم قدرة الدولة على التحكم في إقليمها و لجوئها إلى القوة في المقابل تعمل الجماعات المتناحرة على نشر الفوضى بغرض تحقيق أهدافها، و هذا ما يدفعها إلى اللجوء لاستخدام أساليب جديدة للمواجهة مثل الميليشيات شبه العسكرية، و الجماعات الإجرامية و غيرها.

هذا ما يوضح أن حروب ما بعد الحرب الباردة تعتمد على أسلوب العنف فيما بين الجماعات أطراف التزاع، و يظهر ذلك في استهداف المدنيين و الإبادة الجماعية و غيرها.

من هنا نجد Baldwin يقر بأن حقل الدراسات لم يكن قادرا على التعامل مع عالم ما بعد الحرب الباردة، حيث خرجت هذه الدراسات من هذه الحرب بمفهوم ضيق للأمن الوطني من خلال التركيز على الشق العسكري دون النظر إلى بقية الجوانب، التي من بينها الاهتمام بالاستقرار الاجتماعي² و يهدف الأمن الاجتماعي إلى تحقيق الأمن و الاستقرار و الاطمئنان للمجتمع سواء أفرادا أو مجموعات و تنمية الشعور بالانتماء و الولاء. كما يستلزم الأمن الاجتماعي تأمين الخدمات الأساسية للإنسان، فلا يشعر بالعوز و الفقر و المرض و يشمل الخدمات المدرسية و الثقافية و الرعاية الإنسانية و التأمينات الاجتماعية و على مواجهة الظروف الطارئة. كما يرى آخرون أن الأمن الاجتماعي يخص قدرة المجتمعات على إعادة إنتاج أنماط خصوصياتها في اللغة، الثقافة، الهوية الوطنية و الدينية و العادات و التقاليد في إطار شروط مقبولة لتطورها، و كذا التهديدات و الانكشافات التي تؤثر في أنماط هوية المجتمعات و ثقافتها³.

¹ منيرة بلعيد، الديناميكيات الأمنية الجديدة في الإقليم المتوسطي: دور الجزائر الأمني كفاعل في المنطقة، مرجع سبق ذكره.

² تاكايوكي يامامورا، مفهوم الأمن في نظرية العلاقات الدولية، مرجع سبق ذكره.

³ عبد النور بن عنتر، البعد المتوسطي للأمن الجزائري الجزائر أوربا و الحلف الأطلسي، مرجع سبق ذكره.

4.2- البعد البيئي:

تشهد الدراسات البيئية نمواً محسوساً في الأدبيات السياسية خاصة مع السنوات الأخيرة، نظراً للإحساس بخطورة التدهور البيئي على الأمن الدولي، المجتمعي و البشري، و أهم ما يثير اللأمن البيئي ما يلي:

● تدهور النظام البيئي بفعل الحروب و النزاعات المسلحة من خلال مؤشرات تراجع النسيج الغابي و التلوث البيئي، انقراض أنواع حيوانية ونباتية و لنا أن تصور انعكاسات ذلك على أمن الأفراد و الجماعات.

● ارتباط الأزمات الأمنية بمظاهر الندرة في الموارد الطاقوية و الطبيعية، التي عادة ما تفرز خلافات و أزمات حول كيفية استغلالها، و نشير هنا إلى مؤشر الماء الذي يلعب دور المحرك الأساسي في مجمل التفاعلات النزاعية على المستوى العالمي في المرحلة المعاصرة.

يعتقد في هذا الإطار Keith Kraus أن النتائج الخطيرة لأضرار التدهور البيئي، أصبحت تدرك على أنها أكثر أولوية من التهديدات الخارجية، إذ بإمكانها أن تفرز عنفاً مسلحاً، وأكثر من ذلك تعتبر رفاهية الأفراد أكثر أهمية من المصلحة الوطنية و السيادة¹، غير بعيد عن هذا الطرح يذهب Homer Dixon إلى التأكيد على أن الديناميكيات الديمغرافية في تفاعلها مع الأنظمة البيئية تؤدي إلى صراعات عنيفة².

يهدف الأمن البيئي إلى تحقيق الأمن ضد الأخطار البيئية و المحافظة على البيئة من النفايات و أسباب التلوث.

طبعاً لا تعمل هذه القطاعات بمعزل عن بعضها البعض، بل كل منها تحدد نقطة مركزية أو نقطة بؤرة في الإشكالية الأمنية، وكذا الطريقة التي ترتب بها الأولويات، لكنها مجبقة تعمل سوياً في شبكة قوية من الترابطات³.

هناك أيضاً البعد السكاني الذي يعتبره بعض الكتاب مثل هنتنغتون و بول كيندي، أحد مكونات الأمن الغربي على أساس أن النمو السكاني في الدول الأخرى يشكل تهديداً للأمن الغربي. التخوف من هذه المسألة يعبر عنه خصوصاً تحت عنوان الهجرة، و ربط كل هذا بالعنف (على

¹ :عمار حجار، السياسة المتوسطة الجديدة للإتحاد الأوروبي: إستراتيجية جديدة لاحتواء جهوي شامل، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة باتنة، 2002، ص 67.

² :المرجع نفسه.

³ : عبد النور بن عنتر، البعد المتوسطي للأمن الجزائري الجزائر أوروبا و الحلف الأطلسي، مرجع سبق ذكره، ص 17.

عكس كيندي يربط هينتنغتون العنف بالثقافة الإسلامية). يمكن إضافة أبعاد أخرى هامة كالأمّن المائي بالنسبة للعديد من البلدان العربية مثل: مصر، الأردن، العراق، سوريا... و حتى الجزائر، و إن كانت المسألة محلية بالنسبة لهذه الأخيرة و ليست عابرة للحدود، الأمن الغذائي أيضا، و يعني قدرة الدولة على توفير المواد الغذائية و بشكل منظّم، و الذي يخص تقريبا كل البلدان العربية التي تعاني عجزا غذائيا مزمنًا منذ سنوات¹.

مما لا شك فيه أن للأمّن مستويات متعددة، و هي تحمل في ثلاث مستويات تحليل في الدراسات الأمنية و تتمثل في:

- 1- أمن الفرد: ضد كل ما قد يهدد حياته و ممتلكاته و أسرته و العمل على تحقيق الرفاه له.
- 2- أمن الدولة: ضد أي أخطار خارجية أو داخلية كما يطلق عليه أمن الوطن.
- 3- أمن المجموعة أو المجتمع: ضد تأمينها من أية أخطار تشوب هويتها أو ثقافتها أو معتقداتها .

و الجدول التالي يوضح مستويات تحليل الأمن الثلاث²:

القيم المهددة	الكيان موضوع الأمن
- السيادة	- الدولة
- الهوية	- المجموعة (المجتمع)
- البقاء و الرفاه	- الأفراد

بالإضافة إلى مستوى تحليل رابع أضافته مدرسة كوبنهاغن و هو الأمن العالمي أو الدولي و الذي تتولى حمايته المنظمة الدولية للأمم المتحدة³.

¹ : عبد النور بن عنتر، البعد المتوسطي للامّن الجزائري الجزائر أوربا و الحلف الأطلسي، مرجع سبق ذكره، ص 17.

² : عادل زقاغ، إعادة صياغة مفهوم الأمن برنامج بحث في الأمن المجتمعي في :

<http://www.Geocities.com/Adel Zeggargh.lints.html>

³ : فائزة الباشا، الأمن الإجتماعي و العولمة ، مرجع سبق ذكره، ص 8.

المطلب الثاني: المضامين الجديدة للأمن:

الأمن الإنساني و الأمن الشامل:

ظهرت هذه المضامين الجديدة للأمن للتهديدات التي أفرزتها الحرب الباردة كالفقر و الهجرة غير الشرعية و الأمراض و الكوارث الطبيعية و التي أدت بدورها إلى ظهور مفاهيم جديدة للأمن من قبيل الأمن الإنساني و الأمن العالمي.

فقد ظهر مصطلح الأمن الإنساني في النصف الثاني من عقد التسعينيات كنتاج للتحويلات التي شهدتها فترة ما بعد الحرب الباردة، وقد ركز على الفرد وليس الدولة كوحدة سياسية، وأكد على أن أية سياسة أمنية يجب أن يكون الهدف منها تحقيق أمن الفرد بجانب أمن الدولة. ولقد أصبح هذا المفهوم ركنا في السياسات الخارجية ووظف كمبرر للتدخل الدبلوماسي والعسكري و كأداة صنع السياسة في العلاقات الخارجية¹.

يتفرع مفهوم الأمن الإنساني إلى عدة فروع أهمها:

- أمن إنساني اقتصادي و اجتماعي: يشمل الأمن الغذائي و جميع أشكال الحماية من البطالة و الجوع و المرض.
- أمن إنساني مدني و سياسي: يشمل جميع حقوق الإنسان المدنية و السياسية التي تضمن له الشعور بالأمن.
- أمن إنساني حيوي: بضمان بيئة نظيفة .
- أمن إنساني ثقافي: يشمل حماية الثقافات المتعددة و حق كل مواطن في التمتع بها و حقه في التعلم.

وعرف أيضا الأمن الكوكبي الذي استهدف الانسجام مع ما شهده العصر من تقدم تكنولوجي هائل فأصبح للأمن مفهوم جديد يتجاوز الأمن الوطني و الأمن الإقليمي و كان هدفه الجوهري متمحورا حول الاقتصاد العالمي باعتباره الركيزة الأساسية للأمن الكوكبي الذي اهتم بالثورة التكنولوجية في مجالات المعلومات والاتصالات، علاوة على اهتمامه بمشكلة الانفجار السكاني

1: موفق ر مضان مساعد الأمين العام لشؤون الأمن القومي العربي في جامعة الدول العربية ، مؤتمر الأمن الإنساني في الدول العربية ، الأردن ، عمان، 2005 ، ص 4.

وقضايا البيئة، وقدم رؤية جديدة لمفهوم الأمن الذي لا يواجه أعداء تقليديين "دولا وأشخاصا"، بل يعمل على حشد مقوماته لمواجهة الأخطار التي تواجه البشرية جراء الأشياء أو الأحداث¹. يعد الأمن الثقافي فرعاً من فروع الأمن الإنساني الذي لا يقل أهمية عن بقية الفروع، و نظراً لأهميته و اهتمام دراستنا عليه ارتأينا أن نتطرق إلى تعريف الأمن الثقافي و الغزو الثقافي الذي يصاحب استخدامه مفهوم الأمن الثقافي في كل مرة يتم التطرف فيها إلى الأمن الثقافي.

المطلب الثالث: ماهية الأمن الثقافي:

يعتبر موضوع الأمن الثقافي من أهم الموضوعات الحيوية التي يطرحها الواقع العربي المعاصر، ذلك لأن العلاقة القائمة بين العالم العربي و بين الغرب علاقة جدلية، تأثر الغرب في العرب سياسياً و اجتماعياً و اقتصادياً و الأهم ثقافياً على مدى قرون من التفاعلات الحضارية المتبادلة.

1- تعريف الأمن الثقافي:

اقترن استعمال مفهوم الأمن الثقافي بميلاد ظاهرة العولمة في فجر عقد التسعينات من القرن الماضي. و هو اقتران ذو دلالة من وجهين: من حيث أن الثقافة ما عانت كثيراً مشكلات أمنها الذاتي حين كان نطاقها القومي مدار اشتغالها و فعاليتها، و من حيث أن العولمة نفسها ما صارت كذلك - أي عولمة- إلا حين حملت على ركاب ثقافي و أنتجت ثقافتها العابرة للحدود².

الوجهان معا يتضافران للتعبير عن حالة من التلازم بين العولمة و الثقافة على نحو لا يقبل الفك و يتجافي تماماً مع النظرة الاقتصادية - و التقنية- التبسيطية للعولمة. قد يوحي الحديث عن أمن ثقافي بأن في العبارة قدراً من التناقض و التجافي لا يستقيم معها معنى دقيق لها، ففيما تميل لفظة الثقافة إلى معنى يُرادف الإبداع و الانفتاح و التفاعل، تحيل لفظة الأمن إلى معنى يقارب الدفاع و يجانس الانكماش و التوقع. حين تبحث ثقافة عن أمنها، بهذا المعنى، تبحث عما يعزلها عن غيرها من الثقافات و بالتالي تسعى بنفسها نحو إفقار نفسها، بل نحو الانقلاب على ماهيتها كثقافة أو نحو انتحار بطيء يأخذها إلى حتفها³.

¹: علوى مصطفى، "ملاحظات حول مفهوم الأمن"، مرجع سبق ذكره، ص 125 - 132 .
²: عبد الإله بلقزيز، "في مفهوم الأمن الثقافي"، جريدة الوطن، الإمارات، العدد 1530، 3 / 6 / 2009.
³: .: عبد الإله بلقزيز، "في مفهوم الأمن الثقافي"، مرجع سبق ذكره.

يتأسس مفهوم الأمن الثقافي المنشود على وجهين، من وجه أول يكتسب المفهوم معنى بنائياً، تراكمياً، إن حسبنا الأمن مرادفاً في الدلالة لتحقيق الإشباع الذاتي من الحاجات الثقافية. أمن ثقافة بهذا المعنى، هو قدرتها على توفير حاجاتها على الإنتاج و التراكم و مغالبة الندرة و الخصاصة و الحاجة، ورفع خطر الخوف من العجز و فقدان القيم الثقافية و الرمزية التي تجيب عن مطالب المجتمع و الفكر و الوجدان و الذوق. إن دافعيته في هذه الحال، إيجابية، و تمثل نداء عميقاً ينشد التطور و التقدم و الإبداع، ولا يدعو إلى الارتكاس. يصدق على الأمن الثقافي، بهذا الحساب، ما يصدق على الأمن الاقتصادي و الأمن الغذائي و الأمن المائي¹.

إن مصطلح الأمن الثقافي مرتبط بجملة أشكال من الأمن العام، إنه امتداد للأمن الاقتصادي و الأمن السياسي و الأمن العسكري و أمن المياه..... و غيرها من الأمونات، فالعلاقة مترابطة بين جميع أنواع الأمن المذكورة، بل لا يمكن الفصل بينها إلا في البحث و الدراسة، ذلك لأن توفر أحدهما مرتبط بتوفر الآخر، و في كل جانب ترد فيه كلمة الأمن إنما يراد منها تحقيق قدر ما من المنفعة و القوة لتحقيق نوع من الطمأنينة، فالعلاقة ترابطية بين كل أشكال الأمن المطلوبة السالفة الذكر، لأن تحقيق الأمن الاقتصادي يتطلب تحقيق التنمية الاقتصادية و التكامل الاقتصادي، و هذا يحتاج مجتمع مستقر يعيش الأمن السياسي، و إن تحقيق الأمن السياسي مقرون بمجتمع تتحقق فيه حرية الرأي و حرية التفكير و حرية التعبير، شريطة أن تمارس هذه الحرية وفق الأسس القومية و الوطنية، وأن يكون مرام تلك الممارسة لخدمة المصلحة العامة، و هذا المجتمع يجب أن يخلو من الاتجاهات العنيفة و المتطرفة المزعزعة للاستقرار. كما أن الأمن العسكري يتطلب تحقيق التوازن الاستراتيجي و البحث عن سبل مواجهة الآلة العسكرية المعادية، و نقول أن الأمن العسكري محقق عندما ينال المواطن قرير العين، و حدود بلاده آمنة، و يكون ذلك بتحقيق توازن عسكري لمواجهة كل أنواع التهديد. و أمن المياه أمر متعلق باستمرار التدفق الحر للمياه النابعة من مناطق مجاورة، و يكون هذا الأمن متحققاً عندما لا يكون هناك احتكار لهذه الثروة².

جميع هذه الأنواع من الأمن يفرض استراتيجيات إنتاجية و عقلانية في إدارة الموارد المادية من أجل حماية حق جماعي في التنمية و الغذاء و إشباع الحاجات، لا أحد يتهم دولة بالانكفاء حين ترسم سياساتها على مقتضى إستراتيجية الأمن الاقتصادي و الغذائي لأن دعوتها إلى الأمن على هذا

¹ : عبد الإله بلقزيز، "في مفهوم الأمن الثقافي"، مرجع سبق ذكره.

² : رفعت شميس، "الأمن الثقافي العربي"، مجلة أقلام ثقافية، سوريا (بدون ذكر العدد و السنة)، ص 1.

المستوى مشروعة، و لأن الأمن الاقتصادي و الغذائي وحده يحميها من التبعية و فقدان القرار، أو يجد من ذلك، و يعزز استقلالها الوطني و استقلال إرادتها. و ليس من باب التعسف في المقارنة أن نقول إن أمن ثقافة ما هو ما يحميها من التبعية، والتبعية ليست الانفتاح على الآخر و الانتهاك منه و الثقاف، كما أنها ليست في الاقتصاد و الغذاء التعاون مع الآخرين و الاستثمار المشترك و تبادل المنافع، وإنما هي الارتكان للآخر و العيش على منتوجه، والتوقف عن إنتاج ما يشبع الحاجات و السقوط في نزعة استهلاك ما لا تنتج، ناهيك بالذلل لمن تستهلك إنتاجه و الانتظام في بنيتها¹. إذن بون متسع بين الاقتصاد و الغذاء و التقانة و الثقافة هو عينه البون بين السيد و العبد، بين من يملك و من لا يملك، بين من يوفر أمن حاجاته و بين المستباح أمنه، بين من يفرض شروطه و من ينصاع لشروط القوي. هذا وجه أول لمفهوم الأمن الثقافي، و صفناه بالقول إن المفهوم يكتسب فيه معنى بنائياً و تراكمياً، والأمن هنا يرادف الإنتاج في هذه الحال و لا منطوي على أية دلالة سلبية من قبيل الدفاع الإنكفائي على نحو ما قد يظن أو ما قد توحي به عبارة الأمن². على أن حمل عبارة الأمن على معنى الدفاع و هو المشهور المقرر بقوة أحكام اللغة و التداول و الاصطلاح ليس مما يجوز فيه الطعن والإنكار بدهاءة في حال الثقافة، لأن في القول بأمن ثقافة بهذا المعنى الدفاعي ما يبرره في عالمنا المعاصر وفي الجاري من تحولاته و تحديات حقائقه الجديدة، و هذا ما ينطوي عليه المفهوم الثاني للأمن الثقافي، حيث يتصل هذا الوجه الثاني بمعنى دفاعي صرف على نحو ما يكونه أي أمن إستراتيجي آخر يدخل في نطاق الأمن القومي³. مثلما قد يتعرض أمن بلد لخطر العدوان أو التهديد بالعدوان فيسارع إلى تعبئة قواه العسكرية و السياسية و الاقتصادية لرد ذلك العدوان إن وقع أو درء خطر وقوعه إن أوشك إن يحل، قد يتعرض أمن ثقافة ما لخطر الاستباحة و العنف الرمزي من مصدر من مصادر التهديد الخارجي فيحمل المجتمع الثقافي على استنفار قواه و دفاعاته الذاتية لصون أمنه و مجاله الرمزي السيادي من خطر العدوان. و كما أن الدفاع عن سيادة الدولة و أمن المجتمع حق مشروع حين يراد بها إلحاق الضرر. إذ العلاقة بين الثقافات تنتظمها الديناميات عينها التي تنتظم العلاقة بين المجتمعات، و بين الدول، بعضها البعض: ديناميات التعايش و التجاور و التفاعل الإيجابي و الاعتماد المتبادل، ثم ديناميات الصراع و الاحتكاك العدواني و الصدام. حين تترجح كفة الأولى، تنفتح المجتمعات و الدول و الثقافات على بعضها من دون هواجس أو تحوطات متوجسة. أما حين يميل الميزان إلى كفة التناقض

¹ : عبد الإله بلقزيز، "في مفهوم الأمن الثقافي"، مرجع سبق ذكره.

² : رفعت شمس، "الأمن الثقافي العربي"، مرجع سبق ذكره، ص 2.

³ : عبد الإله بلقزيز، "في مفهوم الأمن الثقافي"، مرجع سبق ذكره.

و الصراع، ينكفي كل منها على نفسه و يتموقع في خندق دفاعي مستنفرا لديه حاسة البقاء و الأمن¹.

تأتي أهمية الأمن الثقافي من كونه يرتبط بكل أشكال الأمن، وهذا الارتباط يجعل من هذا المصطلح ذا صفة القدم فهو ليس جديدا إلا بلفظه، كما يجعله من الأهمية لدرجة أن عدم تحقيقه يخلق زعزعة و انحلال بكل أشكال الأمن، وهذا المصطلح لا يقف عند حد تسليح العقول في مواجهة الغزو الثقافي الذي بات هاجسا بعد حصول ثورة المعلوماتية و تدفق المعلومات دون أن تتمكن الرقابة من النيل منها، فهي لا تعرف حدودا إقليمية، وكذلك مصطلح الأمن الثقافي لا يقف عند حد المحافظة على الثقافة المحلية من التشويه و التداخل مع ثقافات الشعوب الأخرى، إذ أن انتقال الثقافات و انتشارها و تأثير بعضها في بعضها الآخر أمر أكدته التاريخ، ولا يمكن نكرانه، فلا يمكن بأي حال من الأحوال إغلاق ثقافة ما عن نفسها.

إذن يعد الأمن الثقافي أحد جوانب الأمن القومي، فهو يتقدم على الأمن الاجتماعي و العسكري و السياسي و الاقتصادي، فإذا تحقق الأمن الثقافي فإنه يمكن تحقيق الأمن و الحماية في كثير من المجالات.

يمكن القول أن الأمن الثقافي يعد نوعا من الأمن الذي يحقق الحفاظ على الذاتية الثقافية و على مقومات الثقافة و تأصيلها و تطويرها لتساير مستجدات العصر.

2- معايير الأمن الثقافي:

إن الأمن الثقافي يعني توفير الثقافة الصالحة للناس حتى يتمكنوا من خلالها أن يعيشوا حياتهم المعاصرة بشكل سليم و إيجابي و هو يعني بناء قوة الوجود الثقافي الذاتية، التي لا تقوى على المقاومة و الصمود فحسب، و إنما على الاندفاع و الملاحقة و الفعل المؤثر، و لكي يتحقق هذا يجب أن يعتمد الأمن الثقافي على عنصرين أساسيين:

أ- الاعتزاز بالذات الثقافية الحضارية: لأن الذات الثقافية بمثابة الإطار أو الوعاء الذي يستوعب منتج المثقف، لذلك فإن منتج المثقف ينبغي أن ينطلق من الخطوط العريضة و روح الثقافة الذاتية، بما تمثله هذه الثقافة الذاتية من رموز و أفكار و قيم. و الاعتزاز بالثقافة الذاتية لا يعني أن تغلق الأبواب على ما هو ليس في الأيدي و تتحكم بها قوى

¹ : رفعت شميس، "الأمن الثقافي العربي"، مرجع سبق ذكره.

أخرى خارجة، و إنما يعني أنه في البدء ينبغي تحقيق الذات الثقافية و الحضارية، و جعلها حاضرة في الحركة الاجتماعية و الثقافية. و الانطلاق من هذا الحضور للتفاعل مع الثقافات الأخرى. و مشكلتنا المعاصرة ليست في الثقافات الأخرى بل في الممارسات التي تخنق الذات الثقافية و التضيق عليها، لهذا فإن تجاوز الآثار السيئة و الخطيرة للثقافات الغازية لمجتمعاتنا و شعوبنا، هو في أن نطلق الحرية لثقافتنا الذاتية بأن تعبّر عن نفسها بأي طريقة شاءت، إن إعطاء المجال للثقافة الذاتية رموزا و أفكارا هو الخيار الاستراتيجي الذي تتمكن من خلاله تحقيق مقولة الأمن الثقافي¹.

ب- الانفتاح و الحوار مع الثقافات المعاصرة: لأن الثقافة هي عبارة عن عملية مستمرة لا تتوقف عند حد أدنى تكفي بتوفيره للناس، و إنما هي تهيئ الأرضية لعملية انطلاق ثقافي، تأخذ من الموروث الثقافي و الانفتاح على الثقافة المعاصرة نقطتي انطلاق و ارتكاز في جهدها الثقافي الراهن. فالأمن الثقافي لا يعني بأي شكل من الأشكال تحت متاريس الماضي عن الثقافة المعاصرة، بل يعني الاعتزاز بالذات الحضارية مع هضم معطيات الآخر الحضاري. لأن الانطواء و الانغلاق عن العصر و ثقافته و منجزاته هو إفقار للوجود الذاتي بحيث نضحى و كأننا نعيش في القرون الوسطى السالفة، بعيدون كل البعد عن إنجازات الإنسان المعاصر و آثار العلم و حسناته. و بالتالي فإن أي مجتمع لا يتمكن من صيانة أمنه الثقافي و استمرارية فعله الجماعي إلا بالاعتزاز بالذات الموصول بالانفتاح على منجزات العصر و كل هذه الأمور تحفزنا للبحث عن الذات الثقافية و إبراز مضامينها و تطلعاتها، و تربية المواطن على ضوئها و هداها. وعن هذا الطريق يمكننا الحصول على الحد الأدنى من الأمن الثقافي المطلوب في عصر تكنولوجيا الاتصالات و الأقمار الصناعية².

و هنا تجدر الإشارة إلى التفريق بين الأمن الثقافي و الثقافة الأمنية، و التي هي مجموعة من الأنشطة التي تستهدف خلق الوعي الأمني، أما الأمن الثقافي فالمقصود به هو بيان الأسس و القواعد المتوفرة في ثقافة ما، لمنع الاحتراق الثقافي و الغزو الفكري.

¹ : محمد محفوظ، "في معنى الأمن الثقافي"، جريدة الرياض، العدد 59، سبتمبر 2006.
² : المرجع نفسه.

إن الأمن الثقافي لا يعني زيادة الرقابة على الثقافة بكل آلياتها و وسائلها، و لا تعني الخضوع إلى مقتضيات السائد وغياب الإبداع، وإنما تعني ضرورة التعاطي و التواصل مع قضايا الثقافات الإنسانية الأخرى، التي تنطلق من إطار مرجعي و حضاري.

3- الفرق بين الأمن الثقافي و الغزو الثقافي:

قبل تعريف الغزو الثقافي تجدر الإشارة إلى تعريف مصطلح الغزو، والمقصود به الاجتياح العسكري الذي قد ينجم عنه الاحتلال و قد تعرضت دول المغرب العربي كسائر معظم البلدان العربية عبر تاريخها الطويل إلى الكثير من الحملات و الغزوات التي استهدفت النيل من الخيرات و إركاء الشعب، و قد ترافق مع كل جميع أشكال الغزوات و الحملات محاولات الغزو الثقافي، فالثقافة العربية بصفة عامة تلك التي تخص دول المغرب العربي أو باقي الدول العربية كانت و لاتزال الهدف الذي تصوب له السهام السامة بغية تذويب الشخصية العربية و مصادرة الانتماء العربي ، و إذا كان الاجتياح العسكري يهدف إلى الاستيلاء على منابع الخيرات فإن الاجتياح الثقافي يهدف إلى النيل من الهوية و بالتالي من الروح و الفكر، و لا ننسى محاولات التتريك التي سعى إليها العثمانيون. و هناك علاقة وطيدة بين الاجتياح العسكري و الغزو الثقافي فقد يسبق الاجتياح العسكري غزوا ثقافيا أو العكس، و قد لا يكون الهدف من الاجتياح غزوا ثقافيا بل يكون وسيلة له، كما أنه و في حال فشل الاجتياح العسكري يتم اللجوء إلى الغزو الثقافي و نستذكر هنا قول ملك فرنسا لويس التاسع الذي قاد الحملة الصليبية السابعة عام 1249 م و قد وقع أسيرا إلى أن مكنته فدية كبيرة من التحرر من الأسر شريطة ألا يعاود الكرة و يحمل السلاح و مما قاله إثر خروجه من سجنه في المنصورة: " لقد تكسرت الرماح و السيوف .. فلنبداً حرب الكلمة" و إذا كان من شأن الرصاصة أن تقتل رجلا واحداً فإن الكلمة قد تقتل جيلا بكامله¹.

لاتزال مساعي الغرب قائمة لحد الساعة للولوج للعقل العربي باستخدام ما يتسنى له من الفرص، و باستخدام وسائل عديدة من وسائل الإعلام، التعاون على المستوى التعليمي و الثقافي..... إلخ، كل هذه الوسائل تلعب دورا كبيرا في توجيه الغزو الثقافي، و هذا بطبيعة الحال أدى إلى ظهور ما يسمى بالأمن الثقافي.

¹ : رفعت شمس، "الامن الثقافي العربي"، مرجع سبق ذكره، ص2.

مما سبق نرى أن مصطلح الأمن الثقافي أكثر شمولية من تعبير الغزو الثقافي لأن هذا الأخير يبدو في ظاهره دعوة إلى الوقوف في وجه كل ثقافة أجنبية و محاربتها باعتبارها نوعاً من الغزو يجب التصدي له، و هو بذلك يغفل الاتصال و التبادل بين الثقافات، و لا يلتفت إلى الخصب الفكري الناتج عن الأخذ و العطاء و الحوار بين الثقافات¹. أما الأمن الثقافي يهتم بالثقافة الأصلية و أدواتها و وسائلها و مؤسساتها و مدى تحقيق هذه المؤسسات و الوسائل للأهداف المرغوبة في إطار الحفاظ على الهوية الثقافية و النهوض بالثقافة، و من هنا فالأمن الثقافي دعوة إلى التعامل مع الثقافات الأجنبية من موقف قوة لا نشعر معه بالدونية و الوهن، و لا نقف في خندق الدفاع ضد الغزو الثقافي فنحصر في بئر العزلة الضيقة و العداة للثقافات الإنسانية، فليس المقصود بالأمن الثقافي إغلاق النوافذ على الثقافات الأخرى، كما لا يعني الاحتفاظ بجميع القيم السائدة، و إنما الأمن الثقافي يكمن في المحافظة على الهوية و حمايتها من عوامل ضعف الشعور بالانتماء²، بمعنى حماية العقل من المؤثرات الأجنبية الضارة، و تأمين خبرته الثقافية الأصلية من التشويش و التضليل، و كل ذلك من أجل الحفاظ على الشخصية العربية لدول المغرب العربي بسماها الأصلية و ثقافتها العريقة التي تكونت على قرون عديدة استندت خلالها على معطيات الحضارة العربية الإسلامية³.

المطلب الرابع: أهمية تحقيق الأمن الثقافي

الأمن الثقافي ضرورة للحفاظ على مستويات الثقافة في أبعادها و مجالاتها و مظاهرها المتعددة، و الوقوف ضد التيارات الهدامة التي تؤدي إلى تذبذب الأفكار، و إعاقة عملية التنمية.

فالفرد لا بد أن يتسلح بخصائص و مهارات معينة تعينه على التعايش الإيجابي مع تحديات القرن الحادي والعشرين، منها أن يكون الفرد واعياً بحضارته، و قادراً على النظرة الموضوعية تجاه الثقافات الأخرى، و أن يكون قادراً على الجمع بين الأصالة و المعاصرة متمسكاً بهويته، معتزلاً بثقافته، و أن يعمل على تنميتها و تطويرها، و يكون قادراً على توجيه اهتماماته نحو المشكلات التي تواجهه.

¹ : محمود محمود النجيري، الأمن الثقافي العربي: التحديات و افاق المستقبل، المركز العربي للدراسات الامنية و التدريب، الرياض، 1991، ص 14-15.

² : رفعت شمس، "الأمن الثقافي العربي"، مرجع سبق ذكره، ص 3.

³ : محمود محمود النجيري، الأمن الثقافي العربي، مرجع سبق، ص 16.

حيث يتطلب ذلك الإعداد الجيد للأفراد ليكونوا قادرين على استيعاب الانفجار المعرفي، والتمكن من المعلومات والتكامل معها، وذلك باتفاق عمليات صناعة المعرفة، وتوليدها بسرعة وبدقة، حتى يكونوا قادرين على الحياة في عصر حضارة المعلومات.

إنّ الأمن الثقافي يجعل الفرد مشاركاً وإيجابياً وفعالاً، ويجعله قادراً على مواجهة التغيرات التي تطرأ على المجتمع، ومتابعاً لكافة التطورات العلمية والتكنولوجية، وقادراً على التكيف مع مجتمعه وحاجاته وطموحاته، ويمكنه من القدرة على توظيف أفكاره على نحو فعّال يقوده نحو تحقيق أفضل مستويات الأمن والرفاهية والتقدم لوطنه ولأمته. ومما يؤكد ذلك ما توصلت إليه نتائج بعض الدراسات والبحوث التي أثبتت ضرورة وأهمية تحقيق الأمن الثقافي، ومن هذه البحوث والدراسات على سبيل المثال¹:

أشارت دراسة جمال عليان 2005 إلى ضرورة الحفاظ على التراث الثقافي والهوية الوطنية في ظل تحديات العولمة، حتى يتم تحقيق الأمن في جميع مجالات الحياة، وخاصة الأمن الثقافي للوقوف ضد الغزو والهيمنة الثقافية.

كما أوصت دراسة جمعة سعيد تهامي 2004 بالإعداد الثقافي لطلاب كليات التربية، وضرورة ربط موضوعات الإعداد الثقافي بالتحديات الثقافية المعاصرة من شبكة الإنترنت و الانفتاح الإعلامي وغياب الوعي الديني، وذلك حتى يتحقق الأمن الثقافي ، ويتم الحفاظ على الهوية الوطنية.

كما أشارت دراسة إريك نيمث Erik Nemeth 2006 إلى ضرورة تحقيق الأمن الثقافي لدى الشباب وذلك للقضاء على التطرف والإرهاب والعنف المنتشر في جميع دول العالم.

كما أشارت دراسة بيتر كاتزنستن Peter Katzensten 1996 إلى أهمية تحقيق الأمن الثقافي من خلال المحافظة على الثقافة والهوية الوطنية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأنه الأساس في تحقيق الأمن القومي الشامل في عصر العولمة.

¹ :أبعاد الأمن الثقافي لدى الشباب، في:

من خلال عرض تلك الدراسات السابقة يتضح أنّ أهمية تحقيق الأمن الثقافي تتمثل في الجوانب التالية¹:

1- الحفاظ على الذاتية الثقافية من خلال القيم والمعايير التي تحيط بمجتمع واستقراره وتميزه عن باقي المجتمعات الأخرى.

2- تحقيق الأمن الثقافي يُسهم في بناء المواطن الصالح، ويحميه من كل التيارات الوافدة والأفكار الهدامة، ومن التطرف والإرهاب والعنف السياسي، ويجعله قادراً على المشاركة الفعالة في تنمية المجتمع.

3- تحقيق الأمن الثقافي يأتي على رأس العوامل التي تحمي الأفراد من السلوك الاجتماعي غير المرغوب فيه مثل أفلام الجريمة، العنف، الجنس وغير ذلك، وكذلك السلوكيات الغريبة الفاسدة والهدامة.

4- يؤدي تحقيق الأمن الثقافي إلى حماية العادات والتقاليد المتوارثة، والتي تمتد بدورها إلى القيم الإنسانية ذات الطابع الديني والاجتماعي.

5- يستطيع الفرد من خلال الأمن الثقافي أن يدرك الكثير من المفاهيم الواردة من الثقافات الأخرى، ويعمل على الارتقاء بها بما يتناسب مع المجتمع وظروفه في ضوء النظام العالمي الجديد.

6- تحقيق الأمن الثقافي يُسهم في تحقيق التنمية الاقتصادية للمجتمع، فالفرد الواعي يشجع استخدام الإنتاج المحلي بدلاً من الترويج للصناعات الغربية التي تسبب إضراراً بالاقتصاد المحلي.

¹ أبعاد الأمن الثقافي لدى الشباب، مرجع سبق ذكره.

المبحث الثالث: البيئة الأمنية لمنطقة المغرب العربي

المطلب الأول: ماهية منطقة المغرب العربي

1- التعريف بمنطقة المغرب العربي

توصف منطقة المغرب العربي بشمال إفريقيا، لكونها تقع في الجزء الشمالي من القارة الإفريقية المواجهة للقارة الأوروبية، والتي يفصلها عنها البحر الأبيض المتوسط، وقد ظهر هذا المصطلح أثناء الحرب العالمية الأولى، عند الانتداب الفرنسي للمغرب سنة 1912 الذي جاء بعد الانتداب على تونس سنة 1881 و احتلال الجزائر سنة 1830، فأصبحت بذلك دول شمال إفريقيا تحت السيطرة الفرنسية تشكل إقليماً جغرافياً سياسياً وثقافياً أكثر وضوحاً وتميزاً من السابق كما أن هذه التسمية يفضلها الأوروبيون لأنها تهدف إلى إنكار عروبة هذه الدول، وكأنها جسم غريب عن الأمة العربية و بالتالي إهمال الإرث الحضاري لدول المنطقة و امتدادها الثقافي العروبي الإسلامي¹.

يعد المغرب مصطلحاً عربياً يترجم على أنه "الغرب" أو "بلاد الغروب" تاريخياً أُطلق أول الأمر على تلك الأقاليم الواقعة إلى غرب وادي النيل حتى الساحل الأطلسي لشمال إفريقيا. وفي سياق نظام الدولة الحديث يغطي هذا التعريف الشامل خمس دول: ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، وموريتانيا (التي لا تطل على البحر الأبيض المتوسط). وقد استخدمت الأبحاث الفرانكفونية مصطلح "المغرب" بشكل حصري بوصفه ينطبق على الأقاليم الفرنسية السابقة الثلاثة للمغرب والجزائر وتونس. وهذه الاختلافات في التعاريف تبين على نحو جيد مدى اعتبارية مفهوم الإقليم والإقليمية.

وبصرف النظر عن تعريف المغرب فهو متميز تماماً من حيث السياسة الجغرافية والتاريخ عن البلدان العربية الأخرى. وفي الواقع لقد كان شمال إفريقيا قبل الأزمنة العربية غارقاً في المنازعات بين روما و قرطاجة وبين بيزنطة وفارس. وبعد توسع الإسلام خضعت المنطقة للنفوذ العربي والعثماني. وقد أعيد النفوذ من جهة البحر الأبيض المتوسط عبر الاستعمار وتأسيس مجتمعات المستوطنين. وقد حفزت الحرب العالمية 1939 - 1945 إزالة الاستعمار وأنتجت، بالنسبة للجزائر على الأقل، حركة تمرد كلاسيكية بوصفها أداة للتعبير عن مناهضة الاستعمار.

¹ :أحميدة أمحمد السنوسي، الاتحاد المغاربي دراسة في الجغرافيا الإقليمية و الاجتماعية و السياسية، طرابلس، منشورات جامعة الفاتح، 1999، ص23-24.

إن جميع بلدان المغرب الخمسة منهمكة في عملية بناء المؤسسات. ففي ربيع 1958 دعت الدول الفرانكفونية الثلاث إلى مغرب موحد، وتواصلت محاولات مترددة نوعاً ما لإيجاد إطار للتعاون منذ ذلك الوقت. وفي نوفمبر 1989 شكلت الدول الخمس اتحاد دول المغرب العربي (UMA - Union du Maghreb Arabe) (اتحاد المغرب العربي). وهذا الانحياز هو رد للبعد المتوسطي لسياسة المغرب العربي بقدر ما هو للسياسة العربية. إن الحاجة بشكل خاص إلى إيجاد هيكل لرد منسق للجماعة الأوروبية/الاتحاد الأوروبي قد أدت إلى هذه المحاولة الأخيرة.

لكن في دراستنا هذه سوف نركز على الدول المغاربية الثلاث: الجزائر، تونس و المغرب الأقصى، نظراً لتمائل هذه الدول من حيث الخصوصية الإستراتيجية ووحدة التاريخ الاستعماري حيث تتشارك هذه الدول الثلاث في نفس الدول المستعمرة و نفس الحقبة الاستعمارية.

2- الأهمية الإستراتيجية لمنطقة المغرب العربي

تحتل منطقة المغرب العربي موقعا جغرافيا و إستراتيجيا هاما، و هي نقطة التقاء القارات الثلاث: أوروبا، إفريقيا و آسيا، و نقطة تواصل بين المحيط الأطلسي و الهندي و مهد الحضارات الثلاث و يقدر سكان المنطقة بأكثر من 100 مليون نسمة، يتوزعون على رقعة جغرافية تزيد مساحتها على ستة ملايين من الكيلومترات المربعة¹، و سواحلها لا تبعد الكثير عن أوروبا حوالي 16 كلم بين جبل طارق و السواحل الأوربية، و تحتوي المنطقة على موارد و ثروات باطنية هامة، خاصة النفط و الغاز الطبيعي، إذ تضم ثلثي الاحتياطات العالمية من النفط و المتواجد بالجزائر و ليبيا، و الفوسفات في المغرب الأقصى، و تحتزن الجزائر حوالي 3.7 تريليون م³ من احتياطي الغاز الطبيعي مما يضعها في المرتبة السادسة عالميا في هذا المجال و هو ما يوازي نحو 6% من مجموع احتياطي الأوبك.

لقد عززت إطلالة دول المغرب العربي على البحر الأبيض المتوسط من مكانتها، و للبحر المتوسط أهمية كبرى بالنسبة لأوروبا بضمه مضائق مائة هامة كمضيق جبل طارق و قناة السويس و المضائق التركية، و لذا يعتبر البحر المتوسط شريان الحياة الاقتصادية للضفة الشمالية و الجنوبية للحوض.

¹ :مصطفى الفيلاي، المغرب العربي الكبير، الطبعة الثانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1989، ص 21.

قد جعلت هذه الأهمية منطقة المغرب العربي محط أطماع الدول الأوروبية التي راحت إلى محاولة السيطرة على هذه الرقعة منذ عهد خلت، عندما كانت بريطانيا تحاول بسط هيمنتها على المتوسط من خلال سيطرتها على جبل طارق و قبرص و مالطا، حتى أمريكا و منذ عام 1783 تولدت لديها الرغبة في السيطرة على المتوسط و ذلك من خلال التوقيع على عدة معاهدات تجارية مع الدول المغاربية. و في عام 1794 أرسلت لأول مرة في تاريخها باخرة حربية إلى البحر المتوسط و التي تعد الجذ الأكبر للأسطول السادس، و لقد حاول الفرنسيون آنذاك منع الأمريكيين لكنهم لم ينجحوا. و منذ عام 1963 أي منذ عهد كيندي كانت الجزائر بالنسبة للأمريكيين تمثل مفتاح شمال إفريقيا¹ نظرا لموقعها الإستراتيجي على منطقة جنوب المتوسط، و ما تملكه من ثروة نفطية و التي تشكل شريان الاقتصاد العالمي، إضافة إلى تصاعد المخاطر الأمنية في المنطقة².

تعد منطقة المغرب العربي ذات أهمية خاصة بالنسبة لفرنسا، فإلى جانب البعد الاقتصادي و السياسي و بعد التنافس الدولي الذي يرتبط بخصوصية علاقة فرنسا بهذه المنطقة هناك أيضا البعد أو العامل الجغرافي، بوضعه في سياق الإرث التاريخي المرتبط بالتاريخ الاستعماري الذي حكم علاقة فرنسا بدول المغرب العربي (الجزائر-تونس-المغرب الأقصى) طيلة أكثر من قرن³.

المطلب الثاني: مصادر التهديدات الأمنية في المغرب العربي

تشمل هذه المصادر مجموعتين من مصادر التهديد في المغرب العربي و هي المصادر الخارجية و المصادر الداخلية⁴.

1- مصادر التهديد الخارجية في المغرب العربي:

ويقصد بها مجموعة المتغيرات التي تنتج عن حركات و أزمات تقع خارج مجال الدولة و تشمل بالأساس خمس مصادر كبرى :

أ- السياسة الانفرادية للولايات المتحدة الأمريكية في العالم العربي والإسلامي (العراق وأفغانستان...) و التي تنتج حالة إحباط عند بعض شرائح المجتمع بشكل يغذي التطرف و ينتج معه احتمالات الإرهاب (كما ظهر في تفكيك شبكات تجنيد المغاربة و تونسيون للذهاب للعراق مثلا).

¹ :محمد لعقاب، "الصراع على المتوسط"، يومية الشروق، العدد 1133، 22\07\2004، ص15.

² :ناجي عبد النور، الأبعاد غير العسكرية للأمن في المتوسط: ظاهرة الهجرة غير القانونية في المغرب العربي، الملتقى الدولي، الجزائر و الأمن في المتوسط، جامعة قسنطينة، 29-30 أفريل 2008، ص117.

³ :Jean-François Troin et autres, Le Grand Maghreb (Algérie, Libye, Maroc, Mauritanie, Tunisie) mondialisation et construction des territoires, Paris: Armand Colin, 2006, p05.

⁴ :أمجد برقوق، التهديدات الأمنية في المغرب العربي، قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية، جامعة الجزائر، ص4.

ب- استمرار ثنائية التعامل مع مسألة الشرق الأوسط مع وجود انحياز واضح و فاضح لإسرائيل على حساب حق الشعب الفلسطيني في بناء دولته المستقلة و عاصمتها القدس الشريف، مما يخلق أيضا و باستمرار حالات من الإحباط قد تشكل أرضية خصبة لتغذية التطرف الديني في دول المغرب العربي.

ج- حالات الأزمات التنموية في دول الساحل و التي تنتج عنها حركات للهجرة السرية مع احتمال ارتباطها بالجريمة المنظمة و المتاجرة بالأسلحة الخفيفة.

د- بروز أزمات سياسية و إثنية في إفريقيا تنتج حركات من الانتقال السري و غير الشرعي للأشخاص.

هـ- انتشار وباء السيدا في إفريقيا مع احتمال انتقاله للشمال بفعل الهجرة السرية و بناء شبكات الدعارة و التجارة الجنسية.

2- مصادر التهديد الداخلية في المغرب العربي

تشكل الحركات الأزموية الداخلية أساس المعضلة الأمنية في المغرب العربي. من بين هذه المدخلات السببية يمكن ذكر مايلي:

أ- ضعف البنى الاقتصادية لتمييزها بالتبعية الإنتاجية (النفط في الجزائر، الزراعة و السياحة في تونس، الزراعة و السياحة و الموارد الطبيعية في المغرب) مما يخلق بالأساس ضعف في التخطيط الإستراتيجي للتنمية ، ضعف القدرة على تعبئة الموارد المالية و ذلك بالنظر لتذبذب أسعار المواد الطاقوية، الأولوية و الزراعية في الأسواق العالمية مع عدم الاستقرار الايجابي للمنتجات الصناعية المستوردة من خارج المنطقة.

ب- ضعف الأداء الديمقراطي في هذه الدول خاصة في تونس و المغرب لضعف التعددية، ضعف الشفافية، تراجع فلسفة الخدمة العامة مع غياب دولة الحق و القانون، و هذا ما يجعل من احتمال بروز التهديدات للاستقرار السياسي الداخلي جدية .

ج- ضعف التنشئة السياسية في هذه البلدان حسب منطق المواطنة و العصرية مع ترك المجال العام مفتوحا لاستخدام الدين الإسلامي (في الدول الثلاثة) و الأمازيغية (في المغرب و الجزائر) كأحصنة طروادة مما يضعف من فكرة "الانتماء المطلق" للوطن و احتمال بروز أشكال جديدة أو متجددة من التطرف الديني أو اللغوي.

د- ضعف التعاون البيئي لدول المغرب العربي على مستويات التنمية و التعامل مع ظاهرة اللاأمن (الجريمة المنظمة، مكافحة المتاجرة بالمخدرات ،.... إلخ)

هـ- تعثر عمليات تسوية قضية الصحراء الغربية مما ينتج تشنجات على مستوى العلاقات البينية في المنطقة.

المطلب الثالث: طبيعة التهديدات الأمنية في المغرب العربي

مع نهاية الحرب الباردة، ظهرت تهديدات جديدة يصعب تحديدها أو السيطرة عليها، فأخذ الأمن أبعادا جديدة فلم يعد يقتصر على الأمن العسكري فقط، بل تعداه إلى أمن سياسي، اقتصادي، اجتماعي، ثقافي و حتى بيئي، و قد وفرت العولمة بمختلف أبعادها الجو الملائم لانتشار هذه التهديدات لتمس بذلك جميع أقاليم العالم، و يعد المغرب العربي من بين أهم الأقاليم التي عرفت انعكاسات على أمنها بشكل شامل لجميع أبعاد الأمن.

1- البعد البيئي للتهديدات الأمنية المغاربية:

أ- مشكلة المياه:

إذا كانت المحروقات رهان القرن العشرين بحيث احتدم الصراع بين الدول من أجل السيطرة في منابعها، فإن المياه كانت و لا تزال و ستظل أكبر رهان للإنسانية في القرن الواحد و العشرين، باعتبارها موارد إستراتيجية من شأنه أن يدفع إلى بروز نزاعات دولية، و المغرب العربي يعد من المناطق التي تشكل فيه المصادر المائية هذا الاهتمام، حيث أصبحت الموارد المائية مصدر قلق للنخب الحاكمة نظرا للندرة التي تعرفها هذه المنطقة بسبب الجفاف و ضعف نسبة تساقط الأمطار فيها. و تشهد منطقة المغرب العربي محاولات لإحكام الرقابة على مصادر مياه الوديان

العابرة للحدود الجزائرية التونسية، كما يشكل النهر الاصطناعي الذي أنجزته ليبيا مصدر قلق للسلطات الجزائرية، لأن من شأنه أن يمتص المياه الجوفية للصحراء الجزائرية نتيجة الاستغلال المفرط لتلك الاحتياطات¹.

ب- مشكلة البيئة:

تعرف منطقة المغرب العربي تدهورا بيئيا ملحوظا نتج عنه تهديدا بيئيا مباشرا على هذه المنطقة، فنقص الموارد المائية و تراجع إنتاجية الأراضي الزراعية له تأثيره في عدم قدرة هذه الدول على تلبية الحاجات الاقتصادية والاجتماعية.

و يعد التلوث السبب الرئيسي للتدهور البيئي، حيث خلف أضرارا كثيرة أهمها، تقلص المساحات المزروعة، الجفاف و كنتيجة على ذلك انتشار الفقر و الأوبئة، و تعود أسباب التلوث الأولى إلى²:

● التقدم الصناعي و التكنولوجي الذي تعرفه دول الضفة الشمالية و الذي له تأثيره على دول المغرب العربي من خلال تصاعد الغازات الضارة للمصانع التي لوثت الهواء، و ألفت هذه المصانع بمخلفاتها في البحر الأبيض المتوسط الذي أهم ما يميزه عدم وجود فتحات كبيرة و كثيرة فيه تمكنه من التخلص من هذه النفايات. و كذا الحال بالنسبة للملوثات النووية، حيث أدت التجارب النووية سواء ما كان منها في اليابسة كما كان الشأن بالنسبة لفرنسا في الجزائر أو في البحر إلى تلوث البيئة.

● الطاقة التي تستخدمها شعوب هذه المنطقة، لها دورها السلبي على البيئة، حيث يصفها الأستاذ ابن شنهو بالخير الشرير، لأن مع الرفاهية المالية و المعيشية التي توفرها الطاقة إلا أن ضررها البيئي كبير و خطير.

كما أن دول المغرب العربي كغيرها من دول جنوب المتوسط، تتميز بالضعف و الهشاشة تبقى عرضة أكثر من غيرها للتقلبات المناخية و كل ما يترتب عن التدهور البيئي، فهي لا تملك مناعة ضد هذه المخاطر و التهديدات الجديدة.

¹ :ساسي جمال، مصادر التهديد الجديدة للأمن في المتوسط، الملتقى الدولي، الجزائر و الأمن في المتوسط، جامعة قسنطينة، 29-30 أبريل 2008، ص 154.

² :معلم يوسف، تأثير البيئة على الأمن في المتوسط، الملتقى الدولي، الجزائر و الأمن في المتوسط، جامعة قسنطينة، 29-30 أبريل 2008، ص 162، 163.

2- البعد السياسي للتهديدات الأمنية المغربية:

أ - تهديد الإرهاب:

لقد جاء في الموسوعة السياسية تعريف للإرهاب على أنه "استخدام العنف-غير القانوني-أو التهديد به، بأشكاله المختلفة كالاعتقال و التشويه و التعذيب و التخريب و النسف، بغية تحقيق هدف سياسي معين، مثل كسر روح المقاومة و الالتزام عند الأفراد، و هدم المعنويات عند الهيئات و المؤسسات أو كوسيلة من وسائل الحصول على معلومات أو مال، و بشكل عام استخدام الإكراه لإخضاع طرف مناوئ لمشيئة الجهة الإرهابية"¹.

لقد صنف الإرهاب في خانة التحديات الأمنية الكبرى بالنسبة لكل دولة خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر، و قد برزت هذه الظاهرة أكثر في نهاية الثمانينات و بداية التسعينات، حيث كان لمشاركة المغاربة في حرب أفغانستان دور في تأسيس الجماعات المسلحة السرية في بلدانهم الأصلية بعد عودتهم، لما كان لديها من التجربة و الخبرة الناتجة عن تلك المشاركة، والتي كان هدفها الإطاحة بأنظمة الحكم في بلدها (الجزائر، تونس، المغرب)، ثم وجهت نشاطها نحو دول شمال المتوسط حيث تعرضت بعض دوله إلى هجمات إرهابية، و عرضت بذلك دولها المغربية إلى تدهور علاقاتها الخارجية حيث أصبحت تشكل مصدر تهديد، كما حملها الإتحاد الأوروبي سبب حالة اللاأمن الناتجة في المتوسط، بسبب عدم قدرة دول المغرب العربي على ضمان أمنها الداخلي مما نتج عنه تهديد للأمن الأوروبي.

حيث أصبح الإرهاب ظاهرة عالمية عابرة للأوطان تتميز بالتشكل على المستويات العقائدية و العملياتية و على مستويات التعبير المادي لأعمالها في دول المغرب العربي و في الساحل الإفريقي مع وجود ارتباطات فكرية و مادية بل و حتى عضوية مع الإرهاب العالمي².

ب- السباق نحو التسليح:

لا يأخذنا فكرنا عند سماع هذه الصيغة، على أن السباق نحو التسليح يسير على شاكلة الدول الكبرى، كما كان الحال بين دول الحلفاء و دول المحور في الحروب العالمية، أو الولايات المتحدة الأمريكية و الإتحاد السوفيتي سابقا، لكن حسب تقرير التسليح في المغرب العربي الذي أصدرته قناة الجزيرة أكدت أن الأمم المتحدة أرسلت مؤخرا تحذيرا للبلدان المغربية من اشتداد

¹: إدريس لكريني، "مكافحة الإرهاب الدولي بين تحديات المخاطر الجماعية وواقع المقاربات الانفرادية"، مجلة المستقبل العربي، العدد 281، جويلية 2002، ص 38.

²: أمحمد برفوق، التهديدات الأمنية في المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص5.

سباق التسلح بينها، مما برهن على أن هذا السباق بلغ درجة تبعث على القلق و الانشغال، لانعكاساته في مستقبل العلاقات المغاربية-المغاربية و استتبعاته على الأمن و الاستقرار في المغرب العربي و شمال إفريقيا و الحوض الغربي للمتوسط عموماً، و تجدر الإشارة كون دول المغرب العربي صارت تحتل المرتبة العشرين بين الدول الأكثر تسليحاً في العالم¹.

من المفيد التوقف عند أبرز الصفقات التي تم إبرامها في السنوات الأخيرة لكي ندرك السرعة المتصاعدة لسباق التسلح المغاربي، حيث توجت زيارة العقيد معمر القذافي إلى موسكو يوم 2 نوفمبر 2009 بصفقة عسكرية قيمتها 2.2 مليار دولار لشراء 12 مقاتلة متطورة من طراز ميغ-29 Mig-29smt، و 12 أخرى من طراز سوخري و 30 أم كيو بالإضافة إلى دبابات و غواصتين تعمل بالنظام المزدوج الكهربائي و ديزل، و تعد هذه الصفقة من أكبر الصفقات العسكرية التي أبرمتها موسكو مع بلد عربي. كما عقد صفقة أخرى مع فرنسا إثر زيارة ساركوزي تضمنت تحديث طائرات عسكرية و مدنية و شراء خافرات سواحل و أجهزة رادارات².

قبل صفقة الأسلحة الليبية مع روسيا توصل الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة في ختام زيارة إلى موسكو عام 2007، إلى صفقة قيمتها 7.5 مليارات دولار لشراء 28 طائرة حربية من طراز سوخوي 30 أم كيو Su-30MK و 36 مقاتلة من طراز ميغ 29 MiG-29SMT و 16 طائرة تدريب من طراز ياك 130، بالإضافة لـ 300 دبابة من طراز تي 90 أس T-90S و رادارات و كميات أخرى من العتاد. و شملت الصفقة أيضاً ثمانية أنظمة صواريخ أرض جو من طراز تونغوسكي S-300 PMU Almaz-Antei و تجديد 250 دبابة جزائرية من طراز تي 72 و عدد غير معلوم من الصواريخ المضادة للدبابات من طراز ميتيس و كورنت، بالإضافة للقيام بأعمال صيانة للسفن الحربية الجزائرية روسية الصنع³.

تزامنت تلك الصفقة، وهي الأكبر التي حصدها الروس منذ انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، مع توقيع المغرب على صفقة لشراء 28 طائرة حربية أمريكية متطورة من طراز أف7. و الثابت أن

¹ رشيد خشانة، تقرير سباق التسلح في المغرب العربي، في :

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/624EDF0F-54.htm>

في 2010/02/12 على 11:07

² المرجع نفسه.

³ رشيد خشانة، تقرير سباق التسلح في المغرب العربي، مرجع سبق ذكره.

صفقة السلاح الروسي للجزائر شحذت السباق بين الجارين المتصارعين على الصحراء من أجل تكديس أحدث الأسلحة وأفضل العتاد¹.

أما التونسيون فيُنفقون على التسلح أقل مما يُنفق جيرانهم لسببين رئيسيين أولهما أن البلد ليس غنيا بالموارد الطبيعية مثل جاريه ليبيا والجزائر، وثانيهما أنه اختار منذ الاستقلال حصر القوات المسلحة في دور دفاعي بحت، مع الاعتماد على تحالفات مع القوى الغربية الكبرى لدرء أي خطر قد يأتي من الجيران. مع ذلك طورت تونس تعاونها العسكري مع إيطاليا أحد مُزوديها الرئيسيين بالسلاح إذ زار وزير الدفاع الإيطالي أرتورو باريزي تونس مؤخرا وركز محادثاته مع المسؤولين المحليين على سبل تعزيز الأمن في المتوسط ومكافحة الإرهاب. كما تُزود كل من فرنسا والولايات المتحدة تونس بأسلحة دفاعية².

3- البعد الاجتماعي للتهديدات الأمنية المغاربية:

أ - تهديد الهجرة السرية:

تعد الهجرة ظاهرة إنسانية عرفتها و تعرفها لأسباب مختلفة كل الشعوب، وللحجرة دور أساسي في تعارف الشعوب و اندماج ثقافتها و تقوية أواصرها، وتشكّل معلما من معالم الحضارة الإنسانية، مما يقتضي معالجة قضاياها برؤية شمولية تتجاوز الاعتبارات الاقتصادية و الأمنية الظرفية³. تعرف الهجرة السرية أو غير الشرعية بأنها: "انتقال فرد أو جماعة من مكان إلى آخر بطرق سرية مخالفة لقانون الهجرة كما هو متعارف عليه دوليا"⁴.

هنا يكمن الحديث عن الهجرة الداخلية و الخارجية، فالأولى تنتج بفعل الفقر و التهميش و التوزيع غير العادل داخل الدولة الواحدة، مما يؤدي إلى ظهور حركات الهجرة الداخلية و ما تنتج من أزمات على مستويات المدن الكبرى كالجريمة، الفساد الأخلاقي، المخدرات، الدعارة،... و غيرها من النتائج السلبية، التي تشكل تهديدا للأمن الوطني.

أما الهجرة الخارجية فتجدر الإشارة إليها في اتجاهين هما من و إلى، تكمن الأولى في الهجرة من الجنوب إلى الشمال، إن التفاوت الاجتماعي و الاقتصادي و الفقر و البطالة خاصة تعد من مسلمات هجرة الشباب المغاربي إلى شمال المتوسط، ينظر الإتحاد الأوربي إلى هذه الهجرة على أنها

¹: رشيد خشانة، تقرير سباق التسلح في المغرب العربي، مرجع سبق ذكره..

²: المرجع نفسه.

³: "الهجرة العربية عامة و المغاربية خاصة"، مجلة شؤون الأوسط، العدد 49، فيفري 1996، ص 87.

⁴: عبد اللطيف محمود، الهجرة و تهديد الأمن القومي العربي، القاهرة، مركز الحضارة العربية، 2003، ص 14.

تهدد الأمن الأوروبي، و يتناسى بذلك اليد العاملة التي توفرها هذه الفئة من المهاجرين حيث أنها تقوم بأعمال خطيرة بأجنس الأجور يرفض الكثير من شباب الإتحاد الأوروبي القيام بها، إضافة إلى هجرة الأدمغة التي لم تجد فرصتها في بلدها حيث تحظى بالاهتمام الأوروبي على غرار الدول الوافدة منها، وتشكل فارقا لديها من حيث الإضافة و خسارة فكرية و علمية بالنسبة لدولتها الأم.

أما الثانية فيقصد بها الهجرة السرية من الدول الإفريقية التي تجعل من المغرب العربي منطقة عبور نحو أوروبا، حيث تعتبر منطقة المغرب المنطقة الفاصلة بين وصول الأفارقة لأوروبا مع كل ما تخلفه من تداعيات سلبية على مستوى الإدارة الأمنية و الإنسانية لهذا المشكل خاصة مع ارتباط الهجرة السرية في أغلب الحالات مع الجريمة المنظمة¹، و جلب الأمراض المنتقلة خاصة منها السيدا.

ب- مشكلة الأقليات:

تعد مشكلة الأقليات من بين التهديدات الجديدة التي ظهرت بعد الحرب الباردة، والتي غالبا ما تكون سببا في نشوب نزاعات داخلية تؤدي إلى الاستقلال داخل الدولة الواحدة، لكن مشكل الأقليات لا يطرح بحدة في المغرب العربي، فلم تهتم بها المنطقة لعدة اعتبارات أهمها يتمثل في امتلاك المجتمع المغربي لأغلبية متجانسة، فالأقليات الموجودة بالمنطقة لا تشكل تهديدا مباشرا على هذه الدول، ولا تطالب بالاستقلال، فمطالبها تتلخص في إدراج لغتها في الدولة كالأمازيغية في الجزائر و المغرب، و هو ما يعرف بالتطرف اللغوي الذي من شأنه إنتاج أزمات على مستوى الهوية مثل أزمات الريف في المغرب. كما أنه توجد أكثر من فئة من الأقليات في الدولة الواحدة لكن حاملة و لا تقوم بأي نشاط لإخلال الاستقرار الداخلي كما هو الحال بالنسبة للطوارق في الجزائر، و الفضل في ذلك راجع إلى تجاهل النخبة لهذه الأقليات و عدم إدراجها ضمن أولوياتها بمنطق أن هذه الأقليات يجب أن تخضع لإرادة الأغلبية العربية والمسلمة.

ج - الجريمة المنظمة و المخدرات:

جاء في تعريف اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية للجريمة المنظمة على أنها: "جماعة ذات هيكل تنظيمي مؤلف من ثلاثة أشخاص أو أكثر، موجودة لفترة من الزمن و تعمل بصورة متضافرة بهدف ارتكاب واحد أو أكثر من الجرائم الخطيرة أو الأفعال المجرمة، من أجل الحصول بشكل مباشر على منفعة مالية أو منفعة مادية أخرى"²

¹ :أمحمد برفوق، التهديدات الأمنية في المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص 5.

² :غربي محمد، "الدفاع و الأمن إشكالية تحديد المفهومين من وجهة نظر جيوستراتيجية"، الملتقى الدولي الجزائر و الأمن في المتوسط: واقع و آفاق، جامعة قسنطينة، 29-30 افريل 2008، ص 275.

تعرف الجريمة المنظمة انتشارا في منطقة المغرب العربي، على مستويات تبييض الأموال، التهريب، المتاجرة بالأسلحة الخفيفة، على كل ما تحدته هذه الجرائم من تأثيرات سلبية على الأنسجة الاقتصادية و الاجتماعية لدول المغرب العربي خاصة و أن هنالك تداخل و تلاحق بين الشبكات الإجرامية الوطنية مع الجهوية أي بين دول المغرب العربي مع إفريقيا أو العالمية. تعد المتاجرة بالمخدرات أيضا من التهديدات التي تواجه المنطقة، حيث يعتبر المغرب الأقصى من بين كبار البلدان المنتجة و المصدرة لمختلف أنواع المخدرات كإنتاج القنب الهندي، كما أن بعض موانئ و مطارات و حدود هذه الدول منفذا لهذه المواد السامة القادمة من آسيا و أمريكا اللاتينية نحو أوروبا¹.

د- مشكلة الضغط الديمغرافي:

يرتبط هذا الخطر بعدة أبعاد، فالهوة الكبيرة بين الإمكانيات الاقتصادية و الاجتماعية و عدد السكان المتزايد أدى إلى خلل اجتماعي داخلي من أهم أسبابه الهجرة، و ارتفاع نسبة البطالة، لأن التزايد غير المدروس لعدد السكان يحتاج إلى أراضي زراعية أكثر و مبان و مساكن و خدمات و مناصب شغل و هذا ما لا يتوفر في دول المغرب العربي. و يمكن إجمال التحديات التي يطرحها التزايد السكاني في²:

● اقتصاديا:

* اختلال التوازن بين وتيرتي النمو السكاني و النمو الاقتصادي

* الخصائص الغذائية .

* غياب العدالة في توزيع الثروة.

● اجتماعيا:

* اختلال الأوضاع الاجتماعية بسبب سوء توزيع الثروات و اتساع الفوارق الاجتماعية.

* انتشار الفقر و سوء التغذية.

* ارتفاع عدد العاطلين.

¹ أمحمد برفوق، التهديدات الأمنية في المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص 6-7.

² المجال العالمي و التحديات الكبرى في:

4- البعد الثقافي للتهديدات الأمنية المغاربية:

يعد هذا البعد من أهم الأبعاد فيما يخص التهديدات الأمنية في المغرب العربي، و يتجلى في بعض الظواهر الموجودة في المنطقة و تتمثل في:

أ- التبعية للثقافة الغربية:

لقد ساهمت في تحقيق هذه التبعية العديد من القضايا أهمها:

- عدم تجانس الصفوة المثقفة مع سياقها الاجتماعي، فتكون متباينة مع مجتمعاتها اقتصاديا و ثقافيا، ومن ثم تتولد لديها اهتمامات و مشكلات غير تلك التي تختص بأفراد المجتمع، ومن الطبيعي أن يتعمق ذلك إذا كانت هذه الصفوة غربية التدريب و التأهيل¹.
- يتعرض أفراد الصفوة المغاربية إلى درجة محدودة متاحة لهم في مجال حرية التعبير و الامتيازات المادية و المعنوية، بالمقابل نجد أن كثيرا من المجتمعات الغربية تمنحهم هذه الامتيازات إذا عملوا لدى مؤسساتها، الأمر الذي يجعل هذه الصفوة مرتبطة بتوجهات المجتمعات الغربية بغض النظر عن علاقة هذه التوجهات بمصالح مجتمعاتهم.
- وسائل الاتصال التي ساهمت و بشكل كبير في تعريف الثقافة الغربية لشباب المغرب العربي الذي تأثر بنمط عيش الآخر، والذي يرى فيه التطور و التحضر المنشود لأي حياة كريمة، و يعد تسهيل الحصول على القنوات الغربية غير المشفرة من بين الوسائل التي تتبعها الدول الغربية لنقل ثقافتها بل لتقبلها و تبنيها.

ب- شيوع الثقافة الاستهلاكية:

إن الأدوات الإنتاجية التي تمطر المجتمع المغاربي من سلع جديدة ، بكميات هائلة و بطريقة جذابة في العرض تصعب عليه مقاومتها، ولكن هذا الاستهلاك لا يلائم هذه المجتمعات التي تعاني انخفاض الدخل، لكن تبقى هذه المجتمعات تشكل أكبر احتياطي للاستهلاك بالنسبة للدول الأوروبية، خصوصا أنها تقوم بقبول هذه التكنولوجيا دون محاكاتها، بل الاستمرار في الاستهلاك و التفرج بدلا من محاولة الإبداع الثقافي و العلمي و التكنولوجي.

¹ :محمد الملي، الأمن العربي:التحديات الراهنة و التطلعات المستقبلية، الطبعة الأولى، مركز الدراسات العربي/الأوربي، 1996، ص 118-119.

ج- تأثير العمالة الأجنبية:

لقد تعرضت ثقافة الدول المغاربية على عدة مراحل لمحاولات محوها من طرف الاستعمار الأوربي، وقد شكلت هذه الجهود خطرا مباشرا لكنها باءت بالفشل بعد المقاومة التي لقتها من طرف الشعوب، وما تمثله العمالة الأجنبية خطرا غير مباشرا و تدريجيا تظهر سلبياته بعد مرور زمن على وجودها في المغرب العربي، لكن الملاحظ أن العمالة الآسيوية تحتل النسبة الأكبر من مثلتها الأوربية، وهذا راجع لكونها تؤدي عملها بنوعية، و سوف يكون لها تأثيرها على المدى البعيد. كما أن العمالة المحلية التي تعمل بالخارج و خاصة بأوربا لها تأثيرها هي الأخرى، حيث نلاحظ أن المغتربين يستعملون مفردات أوربية كبديل لمفردات اللغة العربية في مختلف المجالات، و بما أن اللغة المعتمدة في جميع القطاعات هي اللغة الفرنسية فنلاحظ استعمالها أيضا من طرف السكان المحليين، حيث أفسح لها المجال كلغة عملية تستخدم في التفاعل و التخاطب اليومي، و هكذا تم تذويب اللغة العربية في هجين لغوي تدريجيا. شكّلت هذه التهديدات محاور رئيسية تحكم علاقات منطقة المغرب العربي بغيرها من الوحدات السياسية الدولية في عالم تسيره المصالح يعمل أساسا على احتواء التهديدات و تحقيق أقصى درجة من الأمن.

في نهاية الفصل يمكن القول أن العولمة الثقافية بوسائلها قد شكلت تحديا للأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي، مما ولد الحاجة لضمان هذا النوع من الأمن حتى يستمر وجود أمة تمثل ثقافة أصلية لمنطقة المغرب العربي القائمة على مقومات الدين و اللغة و العروبة.

الفصل الثاني:

مراحل تطور الأمن الثقافي في بلدان المغرب العربي

الفصل الثاني: مراحل تطور الأمن الثقافي في بلدان المغرب العربي

قبل التطرق إلى مسيرة فرنسا الاستعمارية ارتأينا التعرف على تاريخ فرنسا قبل تلك المرحلة، فكما قال نابليون بونابرت "لفهم حاضر الدول و التنبؤ بمستقبلها وحب معرفة ماضيها".
لم تعرف فرنسا تطور تقدمي واضح في الفترة التي سبقت (لويس 14)، بل كانت تعاني من عدة مشاكل اقتصادية و اجتماعية كانت السبب في قيام الثورة الفرنسية عام 1789 ، لتكون البوابة أمام سياسة خارجية جديدة لفرنسا لم تعرف لها مثل و هي عهد القنصلية (1799-1807)¹، و ذلك بتولي نابليون بونابرت زمام الحكم. فقد اثر بشكل كبير على السياسة الخارجية الفرنسية و أعطاهما بعدا عالميا اكثر توسعية²، ففي هاته الفترة كانت السياسة الفرنسية لا تتعدى الإقليم الأوروبي، فقد كانت تهدف أساسا للتخلص من عدوتي فرنسا في تلك المرحلة و هما النمسا و إنجلترا، بعد خروج بروسيا من الحرب بصلح بازل 1795 ليلة خروج باقي الحلفاء، ما عدا الأخيرتين³، و ابتداء من هاته الفترة بدأت تظهر معالم سياسة فرنسية توسعية، فبعد أن أحكمت سيطرتها على القارة الأوروبية و أمنت حدودها، امتد النفوذ الفرنسي إلى القارة الإفريقية لأن فرنسا كانت تسعى للحصول على أكبر قدر ممكن من المستعمرات لتأمين حدودها .

المبحث الأول: الواقع الثقافي المغربي مع مجيء الاستعمار الفرنسي:

بعد أن نجح الأسبان و البرتغال خلال القرن الخامس عشر ميلادي في القضاء على الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية، بدأت الأطماع الاستعمارية الأوربية تتسارع للذود بمنطقة المغرب العربي خاصة من طرف القوى الصاعدة آنذاك في أوربا، و أهمها: فرنسا، بريطانيا، إيطاليا، ألمانيا و النمسا، و قد عقدت عدة اتفاقيات و معاهدات ثنائية و متعددة الأطراف بين تلك الدول، من أجل الاتفاق حول تقسيم العالم الثالث إلى مناطق نفوذ استعمارية تابعة لها.
و هكذا فقد نالت فرنسا حصة الأسد في القارة الإفريقية عموما و في شمال إفريقيا و المنطقة المغاربية خصوصا، حيث قامت فرنسا بيسط نفوذها على الدول المغاربية باستثناء ليبيا التي احتلتها إيطاليا، و قد احتلت فرنسا تونس سنة 1881، و كانت قد بسطت نفوذها على الجزائر قبل ذلك

¹ : Jean Paul bertaud, La révolution française, Paris : librairie académique, pemim,2000.p 30

²: « chronologie de l'histoire de la France » :www .e-chronologie.org/france/france.php

³ : عبدالعزيز سليمان نوار، التاريخ الحديث لأوروبا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية 1789-1871 ، القاهرة، دار الفكر العربي، 2002، ص 115.

التاريخ في 1830، كما احتلت المغرب لاحقا و فرضت توقيع معاهدة الحماية على السلطان المغربي سنة 1912 بفاس.

وقد ارتأينا أنه لا بد من التطرق بل التشديد على الحقبة الاستعمارية التي مرت بها دول المغرب العربي الثلاث، لكون المرحلة حلقة في تكون و تطور التجربة التاريخية المغاربية و إشكالياتها المعاصرة. لكون الاستعمار ظاهرة تاريخية، متعددة الأبعاد و الأهداف.

المطلب الأول: البناء الثقافي المغاربي حسب الاستعمار الفرنسي:

كانت دول المغرب العربي في الفترة التي سبقت دخول الاستعمار الفرنسي إليها كغيرها من الدول تتميز بوجود بناء ثقافي معين اعتمد أساسا على التعليم الديني، و بقدم فرنسا حاولت جاهدة هدم هذا البناء و تعويضه بآخر من صنعها لكي يخدم تواجدها بالمنطقة.

حيث تميز الوضع الثقافي للمجتمع المغاربي في الفترة الاستعمارية بالانسجام مع الأوضاع التي فرضت عليه، وقد أولت فرنسا اهتمامها لصالح العناصر التالية:

أ- التعليم و اللغة العربية:

يأتي التعليم الكتاتبي التقليدي في مقدمة الأوضاع الثقافية التي كانت سائدة، فقد كان هذا النوع من التعليم الديني مسيطرا. شأنه شأن المنطقة العربية، في المشرق منذ زمن بعيد، و هذا النوع من التعليم أساسه تعليم ديني يقوم على تحفيظ القرآن و القراءة و الكتابة البسيطة، و لم ينفرد بهذا الأسلوب قطر في المغرب العربي أو حتى أقطار المغرب العربي فحسب، و إنما كان هذا الأسلوب السائد في الوطن العربي كله. إن الدور الفعلي الذي قدمه هذا النوع من التعليم عبر الزمن هو الحفاظ على اللغة العربية و تراثها الثقافي و إن كان في إطاره التقليدي غير المتطور¹.

و النوع الثاني من التعليم الأهلي الحديث الذي كان تحت إشراف المنظمات و الأحزاب الوطنية في فترة السيطرة الاستعمارية، و كانت مهمته الأساسية الحفاظ على اللغة العربية كتعبير عن الحفاظ على الشخصية الوطنية. و لقد ساهمت بشكل أساسي جمعية العلماء الجزائريين و حزب الشعب الجزائري و غيرهما من المنظمات الوطنية بدور هام في هذا الميدان².

¹: عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي: المغرب العربي-فلسطين-الخليج العربي دراسة تاريخية مقارنة، الكويت، عالم المعرفة، نوفمبر 1983، ص 76.
²: المرجع نفسه.

أما النوع الثالث من التعليم هو الذي كان سائدا في فترة الاستعمار الغربي لهذه المنطقة و هو التعليم التبشيري، وكان وسيلة هامة من وسائل نشاط الإرساليات المسيحية التبشيرية لنشر المسيحية و تحويل الناس عن دينهم¹.

أما أخيرا، النوع الرابع في فترة السيطرة الاستعمارية هو التعليم في المدارس التي افتتحتها السلطات الاستعمارية، وكانت هذه المدارس مقتصرة على أبناء المستوطنين الغربيين و أبناء الجاليات الأجنبية و كان دخولها ممنوعا على أبناء المواطنين إلا بشكل محدود جدا. و كانت مهمة هذه المدارس خدمة هؤلاء تماشيا مع السياسة الاستعمارية في تطبيق مبدأ الإدماج و تطبيق قانون التعليم الإلزامي لمواطني الدولة الاستعمارية². و يجعل التعليم الحديث محرما على أبناء المواطنين من جهة و محاربة التعليم الكتائبي و مدارس المنظمات الوطنية من جهة أخرى، فقد فسح المجال للاستعمار في شكله الثقافي بمحاولة جعل الثقافة الاستعمارية بديلا عن الثقافة الوطنية.

بالرغم من أن المدرسة التقليدية لم تكن تقدم علوما حديثة يعول عليها لإحداث هضبة ثقافية و حضارية، إلا أن الاستعمار كان يدرك دورها الهام في الحفاظ على اللغة العربية و التراث، من هنا جاء تركيزه عليها لأنها كانت عنصرا أساسيا في المقاومة الوطنية و الثقافية و الحضارية ضد الوجود الاستعماري. و بهذا الصدد كتب أحد القادة الفرنسيين تقريرا عن الأحوال في الجزائر عام 1864 قال فيه: "علينا أن نضع العقبات ما أمكننا ذلك في طريق المدارس التقليدية هنا، و هكذا نترع السلاح المعنوي و المادي للأهالي الوطنيين في الجزائر"³. فلم تكتفي فرنسا بتجريد الإنسان العربي في منطقة المغرب العربي من أرضه فقط، بل عملت جاهدة على إفساد العقول و إبقائها متخلفة، فقد بذلت جهودها للقضاء على الثقافة الوطنية بقطع الروافد التي كانت تغذيها و تنميها و منعتها من مواكبة حركة التاريخ. إضافة إلى الدور الرئيسي الذي كان يهدف إليه الاستعمار في نشر الجهل و التخلف كان يسعى إلى تكوين نخبة متأثرة بالثقافة الغربية مفرنسة و تابعة فكريا للغرب، تتبنى النموذج الأجنبي و تتقمص شخصيته و تعمل بشكل مباشر أو غير مباشر لخدمة سياساته⁴.

¹ : عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، مرجع سبق ذكره، ص 77.

² : عبد المالك خلف التميمي، "قضية التعريب في المغرب العربي"، *المجلة العربية للعلوم الإنسانية (الكريت)*، العدد 1، المجلد الأول، 1981، ص 119-120.

³ : بنازلي معوض، "الشخصية العربية للجزائر بين الثقافة الفرنسية و السياسة الثقافية العربية"، *مجلة المستقبل العربي (بيروت)*، العدد 17 يوليو، 1980، ص 101.

⁴ : أحمد طالب الإبراهيمي، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962-1972، ترجمة حنفي بن عيسى، الجزائر 1972، ص 14-15-17.

و أول تركيز للثقافة الاستعمارية كان على اللغة العربية، فلم تسلم من تأثير الظروف السياسية و الاقتصادية بل استهدفت بشكل مباشر و غير مباشر، فقد تركز عمل الاستعمار في الميدان الثقافي على تعليم اللغة الفرنسية، و منع الجزائريين من تعلم اللغة العربية فقد كان على الطفل الجزائري يتعلم اللغة الفرنسية كلغة قومية، لأن الاستعمار كان يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، و قد استطاعت هذه السياسة أن تطبع بعض العقول المحلية بطابع الاستعمار، التي حاولت عرقلة عملية التعريب الجارية في المنطقة¹.

و قد نجح الاستيطان الاستعماري في رفع نسبة الأميين في المنطقة و نشر الجهل و الشعوذة و الخرافات و واجهت الشعوب المغاربية تحديا حضاريا أدى إلى عرقلة التعليم في أوساط المواطنين، و ارتفعت نسبة الأمية إلى أكثر من 90%².

ب- سياسة الاستيطان:

حيث كانت الجهود الاستعمارية تعمل على إيجاد مجتمع مستوطن من أبناء الدولة المستعمرة في المنطقة يكون له تأثير ثقافي إلى جانب الدور الاقتصادي الذي يمارسه لصالح الاقتصاد الرأسمالي الاستعماري.

حيث تعد سياسة الاستيطان التي شرعت فيها فرنسا بعد احتلالها للمنطقة خاصة بالجزائر و التي تمثلت في تهجير أكبر عدد ممكن و بطريقة مستمرة من المستوطنين الفرنسيين و الأوربيين و منحهم الأراضي الصالحة للزراعة التي كانت تابعة للجزائريين، حيث وصل عدد المستوطنين سنة 1911: 921 931 و يعد هذا العدد كبيرا مقارنة بعدد الجزائريين آنذاك حوالي 4 750 000، ذات تأثير ثقافي أكثر منه سياسي حيث أن وجود مجتمع أجنبي داخل المجتمع المحلي لمدة قرن و نصف القرن تقريبا قد أثر بطريق مباشر و غير مباشر في ثقافة الشعب خاصة إذا أخذنا بالاعتبار أن سياسة الاستعمار الثقافي و القضاء على الشخصية الوطنية للشعب العربي في المنطقة كان مخططا لها و من ضمن الأهداف الاستعمارية التي سعت إليها فرنسا و طبقتها في المنطقة³.

¹ محمد مضايف، في الثورة و التعريب، الطبعة الثانية، الجزائر، 1981، ص 50-51.

² عبد الرحمن سلامة، "ابن الدوايمة" التعريب في الجزائر ماضيا و حاضرا و مستقبلا، دمشق، 1976، ص 22.

³ عبد الله العروي، المغرب العربي محاولة في التركيب، ترجمة ذوقان ترقوط، بيروت، 1977، ص 355.

ج- محاربة الصحافة:

بذل الجهود في محاربة الصحافة الوطنية و القضاء عليها مثل جريدة "المنتقد" التي كان يرأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، و جريدة "الجزائر" للأستاذ محمد السعيد الزاهري، و جريدة "ميخراب" للأستاذ إبراهيم أبو اليقظان، و ذلك من أجل تغطية الحقيقة و عدم تنوير الشعوب بما يحصل و بغرض إسكات صوت الحق الذي يتكلم اللغة العربية، و لم يقتصر فعل الاستعمار التخريبي للشخصية العربية في المغرب العربي عند هذا الحد بل تعداه إلى نهب التراث الثقافي العربي الذي يعثر عليه في المكتبات المغاربية من مخطوطات و وثائق و كتب و غيرها.

د- القضاء على الثقافة:

إن الاستعمار مدرك أن شعبا بلا ثقافة شعب ميت، و أن الاحتلال الحقيقي لا يتم إلا عندما يقضي على ثقافة الشعب المعتدى عليه، فانطلاقا من هذه القناعة عمدت السلطات الاستعمارية، إلى تجهيل الجماهير، و تزييف التراث الوطني و طمس معالم الثقافة و مصادرها، فبادرت إلى صنع ثقافة جديدة لا علاقة لها بواقعنا، و مثقفين من نوع جديد زودتهم بالقيم و الأخلاق الاستعمارية¹.

المطلب الثاني: إستراتيجية الاستعمار الثقافية في المغرب العربي

لقد اعتمد التواجد الفرنسي في المناطق المغاربية التي احتلها، على القمع و استخدام القوة العسكرية لفرض تبعيته على المنطقة، من أجل دعم الوجود الفرنسي بالمنطقة و السيطرة على الهياكل و البنى الاقتصادية بالدول المغاربية و توظيفها لصالح الرأسمالية الغربية التي تمثلها الشركات الفرنسية الأجنبية، لكن لم يقتصر عمل قمع الشعوب على السالف ذكره فقط بل أخطر من ذلك عمل الاستعمار على ضرب كل مكونات الهوية و الثقافة و التقاليد و المظاهر للشعوب المغاربية من خلال الوسائل التي تندرج ضمن الآليات التالية:

لقد قامت فرنسا بصياغة إستراتيجية للدخول بالتدريج بلدان المغرب العربي، و من أجل بناء هذه الإستراتيجية وظفت كل إمكاناتها العسكرية و الفكرية، من رحالة و مستكشفين و قساوسة و مؤرخين و جنود و أطباء، ورجالات قانون و علماء اجتماع.

¹ : محمد العربي الزبير، تاريخ الجزائر المعاصر (1954-1962)، دمشق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، الجزء الثاني، 1999، ص 12.

لقد تخللت نظرة فرنسا إلى المغرب العربي، على الأقل منذ 1860 حين أصبح للاستعمار بهذه المنطقة شكل واضح و محدد .و اعتمد ثلاث منطلقات تعتبر محددات جوهرية لإستراتيجية فرنسا الرامية في أفق تفكيك هوية المغرب العربي:

أ- منطلق التشكيك في مكانة الإسلام و دوره في صهر مكونات المجتمعات المغربية
و ربطها بالشرق العربي:

إن الانطلاق من كون التشكيك في مكانة الإسلام و قيمته الاجتماعية الحضارية في وجدان المغاربة و تفكيرهم الجمعي، تبرره طبيعة العلاقة التي سادت الغرب الأوربي بالدوائر المتاخمة له و منها تحديدا منطقة المغرب العربي، و هي علاقة تحدد مضمونها منذ وصية الملكة إيزابيلا الداعية إلى القضاء على الإسلام كشرط لاستقرار المسيحية و تطور مجتمعاتها¹.

بهذا المعنى، ندرك مكانة الإسلام ضمن الصراع بين الغرب المسيحي عامة و المغرب العربي، و بين هذا الأخير و فرنسا بشكل خاص، وهو صراع نخال مظهره الديني محمدا من بين عوامل متعددة مرتبطة بالمدارات الجديدة للتاريخ العالمي، كما تبلورت مع النهضة الأوروبية المؤسسة على أرضية نمط الإنتاج الرأسمالي، المرسخة بالثورات الصناعية و الفكرية، و المعززة لاحقا بشيوع فكرة الاستعمار².

إن المساس بالإسلام، كمقوم جوهرية في تكوين هوية المغاربة و شخصيتهم، لم يكن الغرض منه إحداث شروخ في جسد المجتمعات المغربية فحسب، بل استهدف أيضا التشكيك في انتمائها القومي و الحضاري، و ذلك بالإجهاد من أجل خلق شقوق بين مغرب العالم العربي و مشرقه. لذا، سنعاين إقرارا ملموسا لهذه التزعة غداة استكمال احتلال بلاد المغرب، و بداية التفكير في اقتسام تركة الخلافة العثمانية، التي وهن عودها منذ أواخر القرن التاسع عشر. فبالعودة إلى تقرير كامبل بانرمان الصادر عن ممثلي الدول الاستعمارية الأوروبية عام 1907، نقرأ تشديدا على هذا المطمح: "...إن البحر الأبيض المتوسط هو الشريان الحيوي للاستعمار، لأنه الجسر الذي يصل الشرق بالغرب و الممر الطبيعي إلى القارتين الآسيوية و الإفريقية و ملتقى طرق العالم... يكمن الخطر المهدد للعالم في هذا البحر. ففي حوضه مهد الأديان و الحضارات و على شواطئه الجنوبية و الشرقية

¹: Chateaubriand;Mémoire d'outre-tombe;Paris:La Pléade;1951;tome 2;P 931.

²:E.Pouard Decard;Le Principe de Bismarck et l'expansion de la France en Afrique du nord;Paris:A.Pedone;1918.

يعيش شعب واحد، له من وحدة تاريخيه و دينه و لغته و آماله كل مقومات التجمع و الترابط و الإتحاد و تتوافر له في ثرواته الطبيعية و كثرة تناسله كل أسباب القوة و التحرر و النهوض. و يكمن الخطر على كيان الإمبراطوريات الاستعمارية في تحرر هذه المنطقة و تثقيف شعوبها، و تطويرها و توحيد اتجاهاتها و تجمعها و اتحادها حول عقيدة واحدة، و لذا فإن على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار وضع هذه المنطقة، الجزأ المتأخر، و على إبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك و جهل". و كوسيلة لإنجاز هذا الهدف، يوصي التقرير بـ "ضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي، عن طريق إقامة حاجز بشري قوي و غريب على الجسر البري الذي يربط آسيا بإفريقيا، و يربطهما معا بالبحر المتوسط، بحيث تقوم في هذه المنطقة، بالقرب من قناة السويس، قوة صديقة للاستعمار و عدوة لسكان المنطقة"

1

ب- الحكم على المغاربة بالعقم السياسي و العجز عن تأسيس دول قائمة على فلسفات سياسية،

اجتماعية و حضارية:

لقد ترتب على نظرة الاستعمار إلى مكانة الإسلام و قيمته الحضارية، اعتقاد مجحف قوامه الجزم باستحالة بروز دول مغربية قادرة على تجسيد وحدة مكونات مجتمعاتها، سياسيا و اقتصاديا و ثقافيا. و من ثم كان سيل الأحكام القاضية بـ فوضوية المغاربة، و نزوعهم نحو التنافر و الانقسام، و اعتماد العنف و التمرد وسائل للتعامل، و التفاعل و الاستمرارية، و هي رؤية لم يتخلص من تعسفها و ضحالة قيمة نتائجها العلمية حتى المعاصرون من الباحثين الذين اتخذوا المغرب العربي و قضاياها فضاء لكتاباتهم.

- فالمغرب العربي، الذي حرّمته جغرافيته من التوفر على " مركز مستقطب لمجمل أقاليمه، لم يرتق قط إلى تحقيق وحدته السياسية"، لذا فالفرق بعيد بين الدول الأوروبية و بين ما يسمى بالدولة المغربية، ذلك أن الدولة الأوروبية موحدة مرمزة ثابتة لأنها تمثل مصالح جميع طبقات الأمة و تسعى لخدمتها. و الأمة من جهتها واعية بوحدها موالية لحكامها، أما المخزن الذي يمثل الدولة في المغرب، فهو جهاز طفيلي لا غير، فرض نفسه على الأهالي في البداية بالسيف و لا تبقى سيطرته إلا بالسيف².

¹ : إلياس مرقص، الماركسية اللينينية و التطور العالمي و العربي في برنامج الحزب الشيوعي اللبناني و في نقدنا لهذا البرنامج، بيروت، دار الحقيقة، 1970، ص 386.

² : أحمد مالك، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، الطبعة الثانية، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994، ص 119.

- لقد كان ريمون توماسي Raymond Thomassy منسجما مع منطق الاحتلال، حين ألح على فرنسا، و باستمرار، على أن عليها أن تبادر إلى التعرف إلى ساحة المعركة حيث تنتظرها مصائر تزداد مجدا كلما كانت أقل دموية، و انتصارات تزداد رسوخا كلما نيلت بأسلحة أكثر سلمية، ليضيف بأكثر جرأة و شفافية ممكنة، أن العلم هو أحد هذه الأسلحة و أول سلاح ينبغي توظيفه، لأنه هو الذي سيعمل على تعبيد الأرضية التي يتعين الزحف إليها.

ج- التشكيك في الوحدة التاريخية، الاجتماعية و الإثنية للمغرب العربي:

حيث اعتمدت الإستراتيجية الاستعمارية العلم أداة لتعميق الصدع و تفكيك الوحدة الوطنية لبلدان المغرب العربي كما نصح بذلك لادريت دو لشاريير فرنسا لحظة شروعها في احتلال المغرب الأقصى.

و بالبحث في أصول خطاب الاحتلال، يواجها موضوع طالما تردد في الكتابات الاستعمارية إن لم نجزم بكونه قد مثل البعد المركزي في حقل الإجهاد من أجل تبرير مشروع الاستعمار، إنه: التشكيك في وحدة مكونات المجتمعات المغربية. فكما اختلق خطاب الاستعمار تقابلا تاريخيا بين الإسلام و المسيحية و تنافيا بين حضور مفهوم الدولة لدى أوروبا و غيابه بالمغرب العربي، ساهم بإصرار في ترسيخ ثنائية العرب - البربر، المخزن - السبية. و بالتالي النظر إلى المغرب العربي، كوحدات اجتماعية / إثنية، متقابلة إلى حد التناحر بل منفصلة إلى درجة التناقض .

لقد شكل المساس بهوية المغاربة و بمكوناتها الاجتماعية و الثقافية و الإثنية و بشخصيتهم التاريخية، مدخلا أساسيا و مستهدفا مركزيا في إستراتيجية الاحتلال الفرنسي، كأداة لتثبيت حركته و ترسيخ قيمه، لذا فقد تراوحت إستراتيجية الاحتلال بين عدة نظريات و مشاريع استعمارية، بين سياسات التجنيس و الاندماج و السياسات البربرية.

1- المخطط التعليمي الفرنسي:

إذا كان التعليم و التربية يضطلعان بدور خطير و حاسم في ترسيخ القيم و الخصوصيات التاريخية للشعوب، فإن الاستعمار لعب اللعبة الأصح أجل اختراق الإنسان المغربي في كل من الجزائر و تونس

و المغرب الأقصى و المس بقيمه التاريخية، حيث سعى الاستعمار بكل الوسائل إلى تغيير بنية التعليم و التربية كجزء من مخطط واسع للفصل بين الإنسان و مقوماته الحضارية بهذه الدول. هذا المعنى، نعتقد أن العمل من أجل اختراق الإنسان المغربي و المس بقيمه التاريخية، قد شكل مقوما أساسيا من مقومات تفكير الاستعمار الفرنسي و ممارسات بناته و دعائه، المعطى الذي تبرره طبيعة المشاريع التربوية و التعليمية المعتمدة في الجزائر و في تونس و المغرب الأقصى، والتي في فلسفتها و مراميها العامة، كانت تروم تكوين نخبة قادرة على استيعاب شروط الاستعمار، بل مؤهلة للدفاع عن صيانه و استمراره.

أ- طبيعة المشاريع التربوية و التعليمية المعتمدة في الجزائر:

إن المراوحة التي وسمت الممارسة الفرنسية في حقل التخطيط لسياسات الاستيطان و احتلال الأرض بالجزائر، هي ذاتها التي حكمت منطلقاتها في مجال تغريب الإنسان و اختراق قيمه و ثقافته¹. فعلى امتداد الفترة الفاصلة بين الاستعمار الرسمي 1830 و احتلال تونس 1881، لم يرتق الوجود الفرنسي إلى حد صياغة مبادئ ثابتة لسياسته التعليمية و الثقافية، و إن كانت منطلقاته واضحة من حيث فلسفتها الاستعمارية، و أبعادها العميقة في مجال تدمير شخصية الجزائر، و إعاقه تطور نظمها الثقافية و المعرفية². تعد الجزائر البلد المثال في مضمار التعرض لمشاريع طمس الهوية و الشخصية التاريخية، كما نلمس ذلك من القراءة الأولى للصورة التي استخلصها محمد فريد خلال زيارته للجزائر في بداية القرن عام 1901، حيث كتب عن حركة التعليم يقول: "هجرت ربوع العلم، و خربت دور الكتب، و صارت الديار مرتعا للجهل و الجهلاء، و كادت تدرس معالم اللغة العربية الفصحى، و تطرقت إلى اللغة العامية الكلمات الأجنبية، بل أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة التخاطب في العواصم مثل وهران و الجزائر و قسنطينة و عنابة و غيرها... "ليضيف: "إن حالة التعليم في القطر الجزائري سيئة جدا، و لو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل العربية في جميع المعاملات، بل ربما لن تدرس العربية بالمره مع مضي الزمن، فلا الحكومة تسعى في حفظها و لا تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس"³.

¹: Colonna Fany; Le Système d'enseignement de l'Algérie coloniale; Archives européennes de sociologie ; 1972; p 195.

²: عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث: دراسة سوسولوجية، ترجمة فيصل عباس، مراجعة خليل أحمد خليل، السلسلة التاريخية، بيروت، دار الحداثة، 1982، ص ص 76-77.

³: أنور الجندي، الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة، الدار القومية، 1965، ص 133.

التحرر، العقلانية و التعلم، مفاهيم طالما تخللت خطاب الاستعمار حول ذاته، وحول علاقته بالآخر، ذاك المستعمر غدا موضوعا للإنقاذ و الترقى و التمدين هذه هي الأطروحة التي اعتمدها فرنسا في الجزائر دون غيرها من دول المغرب العربي، مبعدة كل قيمة سياسية أو إيدولوجية لإستراتيجيتها في الاستعمار و الاحتلال، حيث يقول ألفرد رامبو: "لقد تم الاحتلال الأول للجزائر بقوة السلاح، و انتهى عام 1871 بتزع السلاح من القبائل، و يتضمن الثاني قبول إدارتنا و عدالتنا من قبل أهل البلد، أما الثالث فسيتم من خلال المدرسة"¹. ومن أجل تحقيق ذلك اعتمدت سياسة فرنسا على :

- محاربة التعليم باللغة العربية و تجميد استعمالها، و جعل اللغة الفرنسية اللغة الرسمية ليس اقتصارا على قطاع التعليم فقط بل في جميع المعاملات السياسية و الإدارية.
- تشجيع تعليم البربر باللغة الفرنسية، من خلال ما أصدره والي فرنسا الأميرال كيدون سنة 1871 أوامره إلى الآباء البيض و هم أعضاء منظمة تبشيرية فرنسية كانت تعمل من أجل تنصير البربر، قائلا بذلك: "إنكم إذا سعيتم إلى استمالة الأهالي بواسطة التعليم و بما تسدون إليهم من إحسان تكونون بعملكم هذا قد قدمتم خدمة جلييلة لفرنسا؛ فليس في وسع فرنسا أن تنجب من الأطفال ما يكفيها لتعمير الجزائر، ولذلك فمن الضروري الاستعاضة عن ذلك بفرنسة مليونين من أبناء البربر الخاضعين لسلطتنا. واصلوا عملكم بحنكة ودرية وحيطة، ولكم مني التأييد، و في إمكانكم أن تعتمدوا علينا كل الاعتماد"².
- تحويل المساجد إلى كنائس لما كانت تعنيه للشعب الجزائري من مكان للتدريس الإسلامي، حيث أفرغتها من محتواها الثوري الذي وجدت من أجله، وحوّلها إلى شبه كنائس، و ذلك إذا سلمت من الهدم و لم تحول ماديا إلى مقرات لمؤسسات أخرى دينية أو اقتصادية أو عسكرية أو سياسة³.
- فرنسة المحيط حيث تم كتابة أسماء الشوارع و الأحياء و المدن بأسماء شخصيات فرنسية.
- تشويه التاريخ الوطني الجزائري و محاولة غرس التاريخ الفرنسي.
- محاولة اقتلاع الجزائر من واقع الانتماء العربي الإسلامي، أولا بمنح الجنسية الفرنسية للجزائريين، و ثانيا بالإدعاء بأن الجزائر أصلها روماني و ليس عربي إسلامي أمازيغي.

¹ :عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سبق ذكره، ص 77.

² :محمد عابد الجابري، التعليم بالمغرب العربي، توزيع المركز الثقافي العربي، 1989، ص 109.

³ :محمد العربي الزبيبي، تاريخ الجزائر المعاصر (1954-1962)، مرجع سبق ذكره، ص 12.

و كانت تهدف بذلك إلى فرنسة المجتمع و نحو اللغة العربية من المجتمع الجزائري، بإلحاق أكبر عدد ممكن من الجزائريين بالمدارس الفرنسية.

و لكن تجدر الإشارة إلى الرؤية الفرنسية الجوهريّة التي صاغت فرنسا سياستها التعليمية بالجزائر و فقها على أنّها ليست سطحية بل كانت تحمل في طياتها فرضية مقاطعة الجزائريين للتعليم الفرنسي المقترح، لتبرر ضعف معدلات التمدرس و محدودية نتائج الجهاز المدرسي الاستعماري، لأن قادة فرنسا و بناء إستراتيجيتها لم يكونوا على استعداد لإشاعة التعليم و التوسيع من مجالاته و عيا منهم خطورة ذلك على و عي النخبة الجزائرية و تغير الذهنيات و أيضاً تقديراً منهم للنفقات التي يشترطها تعليم من هذا الحجم و النوع¹.

ب- مشاريع التعليم الفرنسي بالمغرب الأقصى:

يمكن إجمال محاور التخطيط التعليمي الفرنسي بالمغرب في:

♦ التعليم الانتقائي الطبقي:

و يقصد به التمييز بين طبقات المجتمع في تلقي أنماط من التعليم لا تكون بالضرورة ذات توجه واحد، بل تتميز عن بعضها في الأهداف و الوسائل، و القصد من ذلك خلق نخبة مثقفة فرنسيا تفوض إليها على المدى المتوسط و البعيد صلاحية تنفيذ مخططات فرنسا السياسية و الاقتصادية و الثقافية، بمقابل شريحة متعلمة من ذوي النفوذ المتوسط و خاصة على المستوى الاجتماعي، و تبقى الجماهير البدوية المبعثرة في أنحاء البلاد التي ليس من الضروري تعليمها و تثقيفها إلاّ بقدر ما يسمح به محيطها الفلاحي الرعوي، و ينفصل عن كل هذا و ذاك طائفة اليهود و الأوربيون الذين يجب الحفاظ لهم على نمط خاص من التعليم يساير كليا النظام الأوربي، و قد حدد هاردي Hardy الخطوط العريضة لهذا التصور في خطابه بمكناس عام 1920 حيث قال فيه: " منذ 1912م دخل المغرب في حماية فرنسا، و قد أصبح في الواقع أرضاً فرنسية رغم استمرار بعض المقاومة في تخومه، تلك المقاومة التي تعرفون أنتم وإخوانكم في السلاح مدى ضراوتها، فإنه يمكن القول إن الاحتلال العسكري لمجموع البلاد قد تم، ولكننا نعرف نحن الفرنسيين أن انتصار السلاح لا يعني النصر الكامل، إن القوة تبني الإمبراطوريات ولكنها ليست هي التي تضمن لها الاستمرار و الدوام، إن الرؤوس تنحني أمام المدافع، في حين تظل

¹ : أحمد مالكي، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص 148.

القلوب تغذي نار الحقد والرغبة والانتقام، يجب إخضاع النفوس بعد أن تم إخضاع الأبدان. إن كانت هذه المهمة أقل صخباً من الأولى فإنها صعبة مثلها، وهي تتطلب في الواقع وقتاً أطول¹.

◆ لغة التدريس:

لقد عرفت السياسة اللغوية في النظام الاستعماري الفرنسي تخطيطاً دقيقاً تمثل في تشجيع التلقين باللغة الفرنسية، و التقليل من مساحة التلقين باللغة العربية، و عدم اعتبار هذه الأخيرة لغة علم، مع الاحتفاظ بما تدريجياً كلغة للتواصل اليومي فقط، على أن يعمل الاستعمار بعد ذلك على الفصل بين العرب و البربر في استعمال اللغة العربية، عن طريق تشجيع استخدام اللهجات البربرية إلى جانب الفرنسية كلغة للتدريس. و هذا التوجه اللغوي كان القصد منه إضعاف الروابط القوية القائمة بين اللغة العربية و الدين باعتبارها لغة القرآن و بما دونت أغلب كصادر التراث و الثقافة الإسلامية².

و لم يخف المقيم العام بالمغرب رمز الاستعمار الشهير الجنرال ليوطي هذا التوجه، حين أصدر دوريته الشهيرة بتاريخ 1921/6/16 حول لغة التعليم بالمغرب، إذ يقول: "من الناحية اللغوية علينا أن نعمل مباشرة على الانتقال من البربرية إلى الفرنسية... فليس علينا أن نعلم العربية للسكان الذين امتنعوا دائماً عن تعلّمها، إن العربيّة عامل من عوامل نشر الإسلام، لأن هذه اللغة يتم تعلمها بواسطة القرآن بينما تقتضي مصلحتنا أن نطور البربر خارج نطاق الإسلام"³.

◆ تمزيق الهوية الوطنية:

لقد توخت الدولة المستعمرة من برنامجها هذا بإعلان الظهير البربري سنة 1930 الذي كان يهدف إلى النيل المباشر من الكيان المغربي و هويته العربية و الإسلامية، و ذلك بالفصل بين ما كانت سلطات الحماية تسميه بالعنصر العربي و العنصر البربري، فصلاً حضارياً شاملاً كان المقصود به فرنسة و تنصير القسم الأكبر من الشعب المغربي (البربر)⁴. و هكذا قررت فرنسا إنشاء ما سمته بالمدارس الفرنسية البربرية لتمزيق الهوية المغربية و إيجاد جيل تابع لفرنسا هجين الثقافة، مفتقد للهوية مستعد للتضحية من أجل فرنسا عند أول نداء، وقد أفصحت فرنسا بوضوح عن الهدف من إنشاء هذه المدارس، حيث يقول المسيو مارتى: "...إن الأمر يتعلق بمدارس فرنسية بربرية تضم صغار البربر يتلقون تعليماً فرنسياً محضاً و يسيطر عليها خصوصاً اتجاه مهني فلاحى. إن البرنامج الدراسي في هذه المدارس

¹ :محمد عابد الجابري، التعليم بالمغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص 17.

² :المرجع نفسه، ص 18.

³ :الحسن مادي، "السياسة التعليمية بالمغرب العربي و رهانات المستقبل"، منشورات مجلة علوم التربية، ص 22.

⁴ :محمد عابد الجابري، التعليم بالمغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص 21.

يشتمل على دراسة تطبيقية للغة الفرنسية، لغة الحديث والكلام، بالإضافة إلى مبادئ الكتابة والحساب البسيط، وتنف من دروس الجغرافيا والتاريخ، وقواعد النظافة ودروس الأشياء... إن المدرسة الفرنسية البربرية هي إذن مدرسة فرنسية بالمعلمين، بربرية بالتلاميذ، وليس هناك أي مجال لأي وسيط أجنبي. إن أي شكل من أشكال تعليم العربية، أو أي تدخل من جانب الفقيه، أو أي مظهر من المظاهر الإسلامية لن يجد مكانه في هذه المدارس، بل سيقصى منها جميع ذلك بكل صرامة¹. هكذا أصبح في المنظومة التربوية الفرانكفونية فقيه الكتاب، ومعلم القرآن، ومدرس العربية، كل ذلك وسيطاً أجنبياً كما عبر عنهم في النص، والحال أن الميدان الخاضع لتلك المنظومة هو وطن المسلمين وأبناء المسلمين.

♦ احتواء النظام التعليمي السائد:

بعد هذا التصور التعليمي الذي خطه المستعمر، يبقى الإشكال قائماً في كيفية التعامل مع النظام التربوي والتعليمي السائد في البلد، وخاصة نظام التعليم بجامعة القرويين، ولم يكن التخطيط لمواجهة هذا الإشكال بعيداً عن بال المستعمر، ويتجلى ذلك واضحاً في ما كتب الميسيو مارتي من توجيهات إلى الحماية الفرنسية بالمغرب في كتابه: «مغرب الغد» الصادر سنة 1925م حين يقول: "إنه على الرغم من أن القرويين تجتاز أزمة خانقة فإنها لن تموت، بل لا بد أن تتطور ذاتياً بتأثير الأفكار الواردة من المشرق، وفي هذه الحالة سينقلب الأمر ضد الحماية وتصبح عاجزة عن التحكم في الأحداث"². فتم تأسيس معهد عال تحت اسم المدرسة العليا الفرنسية البربرية سنة 1914م ثم تحول سنة 1920م إلى معهد الدراسات المغربية العليا حيث احتلت دراسة اللهجات البربرية و الإثنوغرافيا والفلكلور المغربي مكان الصدارة فيه، وقد تحول هذا المعهد إلى كلية للآداب والعلوم الإنسانية غداة الاستقلال³.

كما أحدثت مديرية التعليم العمومي ابتداء من عام 1920 ثلاثة أنواع من المؤسسات التعليمية أسمتها: التعليم الأوروبي، التعليم الإسرائيلي، التعليم الإسلامي، معتمدة في تسييرها و تنظيمها مبادئ تماشى و النظرة التي حكمت تفكير الاستعمار و طبيعة تعامله مع حقل التعليم و مجالاته⁴.

إن الإصرار على ترسيخ ثنائيات بجسم المجتمع المغربي، باسم المحافظة على الموروث الوطني و صيانة قيمه، قد تجسد بشكل أكثر دقة و خطورة بمؤسسات التعليم، و ذلك بالنظر إلى ما لهذا القطاع من حساسية و فعالية في مضممار صيانة مقومات الهوية و تعبئة طاقاتها النضالية. فبقدر ما أولى

¹ : محمد عابد الجابري، التعليم بالمغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص 22.

² : المرجع نفسه، ص 19.

³ : المرجع نفسه، ص 22.

⁴ : المرجع نفسه.

الاستعمار أهميته الخاصة لتشجيع و تنظيم التعليم الأوروبي، عمل على التقليل من قيمة التعليم الإسلامي، من خلال إهماله و مضايقاته، بل و محاربة انتشاره و شيوع قيمه، وعيا منه مدى التأثير الذي يمكن أن ينجم عن تعليم يربط الأمة بتراتها، و يلحم الإنسان بأصول انتمائه الحضاري و التاريخي، لذلك وصل عدد تلاميذ التعليم الأوربي سنة 1952 إلى 75000 تلميذ، بينما لم تتجاوز نسبة المتدربين بالتعليم الإسلامي 16170¹.

ج- خصوصية التعليم بتونس في فترة الاستعمار الفرنسي:

دخل التعليم الفرنسي البلاد التونسية قبل الحماية عن طريق البعثات التبشيرية المسيحية بعد أن توافدت على تونس في العصر الحديث جاليات أوروبية متزايدة شكلت في القرن التاسع عشر مجموعة ديموغرافية ذات وزن اقتصادي واجتماعي وسياسي على جانب من الأهمية. وقد أصبحت هذه المجموعات ورقة سياسية هامة منذ ظهور التنافس الفرنسي الإيطالي على تونس، فعملت حكومات البلدين على تشجيع إنشاء المدارس التي تعلم لغتها وتنشر فكرها تيسيرا لوضع اليد على مقدرات البلاد وثرواتها².

تسارع نسق تطور التعليم الأوروبي في تونس بشكل دفع سلطات الحماية إلى إحداث إدارة التعليم العمومي سنة 1883 للإشراف بالدرجة الأولى على مختلف المدارس الفرنسية، وقد بلغ عددها آنذاك 24 مدرسة تسيّرهما جمعيات دينية مسيحية. كانت المدارس الفرنسية بمراحلها الابتدائية والثانوية مفتوحة في المقام الأول أمام الأطفال الفرنسيين وبقية الأوروبيين والأطفال اليهود وأمام بعض الأطفال التونسيين من ذوي الأعيان³.

وبالتوازي مع هذا النمط التعليمي النخبوي، سعت إدارة الاحتلال إلى إحداث نوع من المدارس سمّته: المدارس الفرنسية-العربية، وهي مدارس تعليمها مزدوج اللغة مهني الآفاق خصصته للأطفال التونسيين العرب دون غيرهم وفتحت مؤسساته الأولى سنة 1905 بالعاصمة. وبالتوازي مع هذين النمطين: النمط التعليمي "الخالص" الموجه إلى الأطفال الفرنسيين وأبناء الجاليات الأوروبية (اليهود والإيطاليين والمالطيين) والنمط "المختلط" الموجه إلى أبناء التونسيين وغرضه التغلغل لغويا وثقافيا في

¹: أحمد مالكي، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص 151.

²: بلقاسم بن سالم، التعليم العصري ونظام التوجيه المدرسي في تونس، تونس، المطبعة العصرية، فيفري 1988، ص 19.

³: المرجع نفسه، ص 20.

الفصل الثاني: مراحل تطور الأمن الثقافي في بلدان المغرب العربي

الناشئة من أجل إرساء قيم الولاء للدولة الحامية، نجد أنماط تربوية أخرى ظلت إلى زمن معين مهمشة ولا تنتمي إلى إطار إشراف إداري حكومي ونذكر منها: التعليم الزيتوني والتعليم الصادقي ومدارس القرآن العصرية والكتاتيب ويمكن الانتهاء إلى القول إن المنظومة التربوية في تونس إبان الاحتلال كانت موزعة بين القطاع الخاص والقطاع العام. ونقصد بالقطاع الخاص تلك المبادرات الخاصة التي يقوم بها البعض سواء كانوا من الجاليات الموجودة في البلاد أو من الأهالي من أجل إنشاء مدارس تحمل سماتهم وانتماءاتهم الدينية والعرقية. وبالفعل نعرش على فسيفساء من المدارس الابتدائية خاصة تحمل جنسية مؤسسيها وديانتهم، فنجد مدارس إسلامية وأخرى إسرائيلية وفرنسية لائكية أو مسيحية وإيطالية، وكل منها يتجه إلى جمهور معين ويستعمل لغة وبرامج تتماشى ووظيفته وتستجيب لأهدافه¹.

أما في القطاع العام فتختلف المدارس وتتنوع لغة ومحتوى لاختلاف غاياتها. فلغة البلاغ الرئيسية هي الفرنسية مع تخصيص وقت معين للغة التلاميذ الأم إن كانوا غير فرنسيين. وقد أفضى ذلك تدريجياً إلى إيجاد نوعين من المدارس: مدارس تكاد لا تستعمل الفرنسية وأخرى مزدوجة. وتبرز الإحصائيات الرسمية بوضوح هذا التباين المزدوج اللغوي-القومي. ولناخذ عينة من وضع التعليم سنة 1954 وهي السنة الدراسية التي أمضيت خلالها الاتفاقية الثقافية بين تونس وفرنسا.

و هذا جدول يوضح توزيع التلاميذ حسب أصلهم اللغوي و القومي²:

أصل التلاميذ	مدارس فرنسية	مدارس فرنسية-عربية	مدار قرآنية-عصرية	المجموع
تونسيون-عرب	4.525	125.030	989.34	174.544
فرنسيون	29.010	467	-	29.477
يهود	12.184	223	-	12.407
إيطاليون	2.87	74	-	3.061
مالطيون	285	5	-	290
آخرون	290	60	-	350
المجموع	59.281	125.859	34.989	220.129

¹ : بلقاسم بن سالم، التعليم العصري و نظام التوجيه المدرسي في تونس، مرجع سبق ذكره، ص 21.
² : المرجع نفسه، ص 23.

إن تصنيف المدارس حسب اصل التلاميذ القومي والديني شديد الوضوح: فحضور الأطفال الأوروبيين واليهود بالمدارس الفرنسية بنسبة تفوق 98% ووجود الأطفال التونسيين العرب بالمدارس الفرنسية والمدارس القرآنية العصرية بنسبة تفوق 99% معناه وجود شبكتين من المدارس إحدهما مخصصة للتونسيين والأخرى لغيرهم.

يمكن القول إن تكريس التمايز الثقافي والقومي والديني عبر الآليات التربوية لا يفسر لنا حالة التعدد والتباين و "التشرذم" في المنظومة التعليمية فحسب بل تكشف لنا إستراتيجية انتقائية في التدرج التعليمي والمعرفي وفي نوعية التعليم المخصص لهذه الفئة وتلك. وعلى سبيل المثال لا الحصر اقتصر التعليم الزيتوني التقليدي على علوم القرآن والحديث والفقهاء واللغة، وكان المتخرجون منه بدرجة الأهلية موزعين إما في مجالات التعليم العربي الابتدائي والثانوي أو في قطاع العدلية (عدول أشهاد وقضاة شرعيين). ولم يكن الحال أفضل بالنسبة إلى المدارس العربية-الفرنسية إذ كان تعليمها مزدوج اللغة مهني الآفاق خصصته السلطة الاستعمارية للأطفال التونسيين العرب دون غيرهم، وفتحت مؤسساته الأولى بالعاصمة سنة 1905¹.

هذا، و في مقارنة حالة تونس، ما يستوقف الانتباه، سيما أن المسألة التعليمية في بعدها الثقافي الفكري قد حظيت بمكانة متميزة، إن لم نقل خاصة، ضمن الصحوة التي واكبت حركات الدعوة إلى الإصلاح و تحديث تنظيمات الدولة، تحديدا منذ أواسط القرن التاسع عشر، فبغض النظر عن الشروط التاريخية و المجتمعية التي حكمت مفهوم الإصلاح و تحكمت في نتائجه، يمكن أن نلاحظ مدى التشديد على أولوية التعليم و أهمية إشاعته و توسيع مجالاته للنهوض بالمجتمع و تعبئة طاقاته قبل أن يسبق إلى ذلك المستعمر، فقد أولت النخبة التونسية أهمية لإصلاح قطاع التعليم. التي شكل التعليم و إصلاح نظمه هاجسها الأول، بل و مدخلها المركزي لكل عملية تستهدف الارتقاء بالأمة إلى عتبة الترقى و التقدم.

لقد تم التعرف على الحقيقة التاريخية في تونس، و المتمثلة في التمسك بإصلاح التعليم و تطوير نظمه لحظة الإحساس بقوة الآخر و ضعف الذات، حيث جاء في تصريح الماريشال ليوطي في 17 أفريل 1921 بالدار البيضاء يقول فيه: " علينا ألا ننسى فنحن في بلد ابن خلدون الذي جاء إلى فارس في سن

¹ :شارل أندري جوليان، المعمرون الفرنسيون و حركة الشباب التونسي، تعريب محمد المزالي و البشير بن سلامة، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ص 71.

العشرين، و بلد ابن رشد،و لا يقل خلفهما قيمة عنهما...و نحن لا نعرف كثيرا، أيضا ما تخفيه عنا بيوت فاس و الرباط و مراكش القديمة،من الرجال الذين جعلوا منها ملاذا للقراءات و الفكر و البحث،إنني أكتشفهم من جديد في كل مرحلة هم متعلقون بمكتباتهم، و بفكر متفتح على ما يجري في العالم، و يرغبون بجرارة في أن تساهم بلادهم في الحركة الفكرية..."¹.

إن اعترافا بهذه الدرجة من العمق و الوضوح، لم يجنب الاستعمار أن يقتضي تراكمه من ممارسات في الجزائر، انسجاما مع الأسس التي حكمت إستراتيجيته في الاحتلال ووعيا منه ما يمكن لمؤسسات التعليم و نظم المعرفة أن تساهم به في حقل تكوين الأهالي و فرز أشكال و عيهم بخطورة الاستعمار على هويتهم و شخصيتهم التاريخية، لذا مشت تجربة الاستعمار في كل من تونس و كذا المغرب الأقصى،في اتجاه تعطيل المؤسسات التي أفرزتها حركة الإصلاح،حيث عملت على خلق تعليم وظيفي، يرسخ قيم التغريب و الأوربانية Européanisation ، دون أن يحترم مبادئ التعليم الأهلي الوطني أو في أدنى الحدود يحافظ و يصون نموها ضمن بنية الاحتلال و مؤسساته².

إن الإقرار بمحدودية النظم التعليمية و الثقافية على امتداد الحقبة الاستعمارية، و بالدول الثلاث، لا يجنبنا تأكيد الطابع النخبوي للسياسات التعليمية المعتمدة يومئذ، سيما أن العمل على خلق شروخ اجتماعية، ثقافية و إثنية بداخل المجتمعات المغاربية، قد شكل ثابتا بممارسة الاستعمار الفرنسي و قناعة بتفكير قاداته.حيث اعتقد ليوطي أنه بالاتصال مع الأوروبيين و الجزائريين و التونسيين سيتكون بسرعة جيل من الشباب الطموح،يكون نفسه بنفسه،يتعلم الفرنسية، و ما إن يحس بقيمته و قوته حتى يتساءل عن سر بقائه بعيدا عن تسيير الشؤون العامة و بواسطة المدارس يمكن تكوين نخبة قادرة على المشاركة و إعداد موظفي الحماية³، إنها النخبة الاجتماعية و الثقافية المصفاة بحسب تعبير بول مارتي و تكوين نخبة فرنسية تخدم مصالح فرنسا في الدول الثلاث.

فبالجزائر، حيث مثل الاستعمار نموذجا خاصا من حيث القسوة و عمق التأثير، تمكنت فرنسا من تحطيم كل الفئات التي صانت،لمدة طويلة تلاحم و وحدة النسيج الاجتماعي الجزائري،لترتب أوضاعا اجتماعية و ثقافية، سمحت ببروز مؤشرات تكون نخبة داعية إلى الانفتاح على مكتسبات العصر و شروط تقدمه، متمسكة بأصول انتمائها القومي تاريخيا و حضاريا (و المتمثلة في الاتجاهات الأولى للحركة الوطنية الجزائرية، كحركة الجزائر الفتاة و جمعية نجم شمال إفريقيا).

¹ : محمد عابد الجابري، التعليم بالمغرب العربي ، مرجع سبق ذكره، ص 22.

² : Laroui Abdellah;Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain;1830-1912;pp 285-288.

³ : Marty;Le Maroc de demain;Paris:Comité de l'Afrique française;1925;p85.

أما بتونس، و على الرغم من التوازن الذي يمكن معاينته بين النخب التقليدية و الحديثة على امتداد الأربيعينية الأولى من إقامة مؤسسة الحماية، مؤشرات عدة مع نهاية الحرب العالمية الأولى، أبرزت ظهور نخبة مكونة من خريجي الزيتونة و المدارس المعاصرة التي مثلت دورا مركزيا في تأطير و توجيه العمل الوطني، تحديدا مع بداية عقد الثلاثينات.

ضمن هذا السياق، تبدو التجربة المغربية حالة متميزة، من حيث كونها البلد الوحيد الذي ظل مظهريا محافظا على مؤسساته التقليدية، بل وقع الاعتراف بها رسميا كما أشرنا سابقا. و بالتالي تم نسبيا الإبقاء على نخبته السياسية و الثقافية، تارة بالتعايش معها، و تارة بإلحاقها بدوائر المخزن، المؤسسة التي ظلت قائمة، كما أقرت بذلك مقتضيات عقد الحماية في 1912/3/30.

إن الإقرار بمحافظة المغرب الأقصى على بعض مؤسساته التقليدية و مبادئه في مضمار التنظيم و الحكم، لا يلغي سعي الاستعمار إلى خلق نخبة متشعبة بفلسفته، متمثلة لقيمه الفكرية و الحضارية.

2- الإدماج، التجنيس و السياسات البربرية:

أ- سياسات الإدماج بالجزائر:

لقد شكلت الجزائر الإطار الأكثر تجريبية لجل المفاهيم التي صاغتها فرنسا لتعزيز حركتها الاستعمارية مقارنة بتونس و المغرب، فلطالما احتلت مكانة خاصة في الأجندة الاستعمارية، بدليل تمسك فرنسا بالجزائر و جعلها جزء لا يتجزأ من فرنسا. و تأسيسا على هذه الاعتبارات، قدمت الجزائر كواحدة من المقاطعات الفرنسية لما وراء البحار، و ابتداء من عام 1848 تم اعتبار الجزائر رسميا مجرد امتداد للتراب الفرنسي، الشيء الذي يفسر لماذا هي على هذه الدرجة من الاهتمامات الاستعمارية¹.

تمثلت دعوة فرنسا في إلحاق الجزائر بها، من خلال إرادتها المصرة على توفير البنى الأساسية لتأصيل و توظيف مفهوم الإدماج اقتصاديا و اجتماعيا و ثقافيا. و يعد نابليون أول من أصدر قرار الإدماج بالجزائر، حيث تم التركيز على إحداث شقوق داخل القوى المكونة للمجتمع الجزائري، حيث عمل المرشال راندون على تفويض سلطة رجال القبائل و بالمقابل تقديم امتيازات مالية إلى بعضهم من رجال الإدارة من آغات و قواد و شيوخ، و اقتناعا منه بالدور الذي تزاوله الزوايا و رؤسائهم، فقد

¹ أحمد المالكي، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص157.

جهد من أجل استمالة الطرقيين و مراقبة إيطاراتهم الدينية، و إدراكا منه لمكانة التعليم و الثقافة الإسلامية في حياة الشعب الجزائري، فقد عزل المشرفين على المدارس القرآنية في القبائل، مؤسسا على غرارها ثلاث مدارس في كل من قسنطينة و بليدة و تلمسان، متمتعة بنظام تعليمي تابع من حيث مناهجه و مضمونه لنظيره الفرنسي، عسى أن تخرج أطر مؤهلة لأن تضمن نوعا من الولاء لفرنسا¹.

و قد اعتمدت سياسة الإدماج التي اعتمدها نابليون على المزوجة بين الاعتراف بصلاحيات القانون الإسلامي و ترسيم إمكانية الحصول على المواطنة الفرنسية كما جاء في قرار 1856².

حيث بقي القضاء الإسلامي تحت الوزارة الحربية و تم الفصل بين القانون الجنائي و المدني و جعل القضايا الجنائية متعلقة بالجزائريين من اختصاص المحاكم الفرنسية ثم إخضاع القضاء المدني إلى المراقبة الاستعمارية. إن الإحصائيات المتعلقة بالتجنيس بالجنسية الفرنسية بينت خلال عشر سنوات (1865-1875) بجنس 371 جزائريا الذين تخلو عن أحوالهم الشخصية و الإسلامية من أصل 2.462.336 جزائري عام 1876 و الذين تم تجنيسهم جملة واحدة هم يهود الجزائر وفق مرسوم أدولف كريميو مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية اليهودية و لقد كانت سياسة الدمج تعني في الواقع دمج المعمرين مع الفرنسيين بفرنسا في نفس الحقوق السياسية و الاقتصادية و غيرها و تأمين الحصانة القانونية لهم ثم إطلاق أيديهم في حكم الجزائر و أصبحت الفكرة السائدة في 1870-1898 أنه لا يمكن اعتبار الجزائريين كالفرنسيين بل أن سياسة الاستسلام و الخضوع هي التي يجب أن تفرض عليهم³.

لم يكن من اليسير أن تقنن الجمهورية الثالثة نظرتها لإخضاع الجزائر و إدماجها بفرنسا دون تقديم خسائر في حجم خطورة مشاريعها، كما لم يكن من السهل على السياسات الجديدة للإدماج أن تغدو واقعا فعليا دون أن تزيد من استنهاض و عي المجتمع الجزائري بضرورة الدفاع عن كيانه المستقل و شخصيته العربية الإسلامية، إنها الردود التي عبّرت عنها و بلورتها ثورات كل من أولاد سيدي الشيخ 1861، و استكملها المقراني 1864، و بعدها بومرزاق 1872 و بوعمامة 1881⁴.

¹ أحمد المالكى، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، مرجع سبق ذكره ، ص 168.

² المرجع نفسه، ص 169.

³ منتدى الطلبة الجزائريين للعلوم السياسية و الإعلام و الحقوق و العلوم الإنسانية، سياسة الإدماج الاستعماري و أثرها على وضعية الأحوال الشخصية للجزائريين : www.montada30.dz

⁴ André Nouschi, La Naissance du nationalisme algérien, 1914-1954, paris :Minuit, 1962, p 429.

ب- سياسات التجنيس بتونس:

اعتمدت فرنسا للدخول إلى تونس الإطار القانوني المتمثل في الحماية Protectorat، فكما حدد مدلولها الماريشال ليوطي غداة احتلال فرنسا المغرب الأقصى، هي "ذلك الوضع الذي يسمح للدولة بالاحتفاظ بمؤسساتها، بحكومتها، بإدارة شؤونها بنفسها بأجهزتها الخاصة، تحت رقابة عادية لقوة أوربية، هذه التي بحلولها البلد المحمي بالنسبة للتمثيل الخارجي، تتكفل عامة بإدارة الجيش، المالية، و توجيه التنمية الاقتصادية. إن الذي يتحكم و يميز هذا المفهوم هو شكل المراقبة المناقض و المتعارض مع صيغة الإدارة المباشرة"¹.

لم تنجو تونس هي الأخرى من مساعي فرنسا للمساس بهويتها، وعلى خلاف الجزائر فقد عمدت فرنسا إلى تطبيق سياسة التجنيس بما أن تونس تخضع للحماية الفرنسية، و ذلك من خلال مراسيم التجنيس و الكتابات التي أصدرتها فرنسا بهذا الصدد، ففي جوان 1972 جاء في نشرة إفريقيا الفرنسية أن: "يعد تجنيس غير الفرنسيين ضرورة مطلقة، بغرض تحقيق نوع من المساواة إزاء الإيطاليين، أو قصد إسعاف مجموعتنا الوطنية بأن تقوم بدورها التمديني، بل لأجل أن نقاوم بنجاح نمو حركة الدستوريين أو أي تيار آخر يستهدف القذف بنا إلى البحر..." و ما يمكن استخلاصه أن التجنيس لم يكن فقط أكثر من أداة لاستمالة الطوائف المتعايشة بتونس لصالح السياسة الفرنسية، و أيضا مدخلا عمليا للمساس بهوية التونسيين و معنوياتهم، فكما ارتبط مشروع الإدماج بالجزائر باسم كريميو، فموضوع التجنيس غالبا ما يرد إلى إميل مورينو، هذا الذي مثل دورا مهما خلال العشرينيات و بداية الثلاثينات من هذا القرن، و ذلك باستصداره عدة مراسيم تقنن و تنظم باسمه مادة التجنيس، و قد كان قانون التجنيس هدت موجهها إلى نخبة الشعب التونسي، تلك الشريحة المجتمعية التي باستكمالها تكوينها بالمؤسسات الفرنسية و تشبعها بقيم أجهزتها المدرسية، أصبحت مؤهلة بتقدير الاستعمار، لأن تدمج ضمن علاقات المجتمع الفرنسي و مكوناته الثقافية و الفكرية.

إن الاستعمار الفرنسي، و هو مصر على اعتماد التجنيس أداة لتوظيف جزء من قناعاته ضمن إستراتيجيته بالمغرب العربي، لم يقف عند إصدار مراسيم تنظيمية لهذا الغرض، بل ساعد على تأسيس أجهزة لرعاية مصالح المتجنسين التونسيين و صيانة حقوقهم، و من ذلك "عصبة المسلمين الفرنسيين"، إذ أن من أهدافها الأساسية كما هو وارد في الفصل الثاني: إقامة تضامن و وثيق بين

¹ : Guernier,,Eugène Léonard,L'Afrique champ d'expansion de l'Europe,Paris :A.Colin ,1938 , P 175.

المسلمين من ذوي الجنسية الفرنسية، مع مساعدة أولئك الذين هم في حاجة إلى سند معنوي و مادي، وكذا تنمية حب الوطن بين أعضاء العصابة، أيضا تدريب و تعليم الفرنسيين الجدد على الممارسة المتعقبة الحذرة، والأمنية لحقوقهم الاجتماعية و السياسية، والهدف الأخير يتمثل في القيام بحملة واسعة بجانب التونسيين قصد الزيادة كل سنة في عدد المنخرطين بالعصابة¹.

و على غرار تونس شهدت الجزائر هي الأخرى إضافة إلى سياسة الإدماج، سياسة التّجنيس التي شهدت تصاعدا و تشجيعا من طرف فرنسا منذ نهاية العشرينات إلى نهاية الثلاثينات من القرن العشرين، على اختلاف أشكال الحملة بين الجزائر و تونس و اختلاف ردود الأفعال. و هذا راجع أساس إلى طبيعة الاستعمار في البلدين، ففي تونس استمد الاستعمار شرعيته من معاهدة باردو التي تنص على الحماية مع الاعتراف بالشخصية القانونية التونسية و لو بشكل صوري فقط. أما في الجزائر فقد اعتمد الاستعمار على السيطرة و الهيمنة بكسر شوكة الدولة و الشعب الجزائريين.

و لكي يتمكن الاستعمار من إضعاف المستعمر و التقليل من نضالته، كان طبيعيا أن يبحث عن أي موطن قادر أن يسعفه على استنفاد أهدافه و إنحاز مهامه في الاستعمار. و حيث أن المغرب العربي لم يبق له مع نهاية القرن التاسع عشر، لكي يجدد ذاته و يستنهض وعي مكوناته الاجتماعية، سوى تلك الأطر التي ترمز إلى تراثه و هويته و شخصيته التاريخية، فإن فرنسا، تقديرا منها لمكانة هذا الموروث و فعاليته في شحذ إيديولوجيا المقاومة لدى شعوب المغرب العربي، قد أصرت بكل ما أوتيت من وسائل، على اختراقه لكسر آخر مصدر ظل قادرا على أن يجدد استمرارية التواصل بين المغاربة و تاريخهم، خصوصا بعد أن بات مؤكدا أن إدماجهم ضمن آليات المنظومة الرأسمالية قد أصبح أمرا مؤكدا².

ج-السياسات البربرية بالمغرب الأقصى:

لقد حدد شارل أندريه، أسس ميلاد السياسة البربرية بقوله: "بدافع المصلحة السياسية لدى البعض، و باقتناع لدى آخرين، وبنوع من المثالية عند بعض ضباط الشؤون الأهلية، شرع يتشكل تصور عن المجتمع المغربي، يقيم تعارضا بين البربري الطيب و العربي الضال الشرير..."³، تلك التي (السياسة

¹ :Emile Morinaud , « Encore un mot sur la croisade des naturalisations en Tunisie », La Dépêche tunisienne,9 Novembre 1926,p113-115.

² :أحمد مالكي، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص 187.

³ :Charles-André Julien,Le Maroc face aux impérialismes,1915-1956,paris :Jeune Afrique,1978,p99.

البربرية) بدأت باحتشام ثم أخذت صبغة علنية بالظهير الصادر في 16 ماي 1930 الذي لم يكن مجرد مصادفة بل لقد تم لتنفيذ مشروع فصل البربر عن العرب في المغرب¹.

تعد السياسة البربرية بالمغرب الأقصى تنفيذا لشعار قديم بثقافة الغرب و قيمه ألا وهو مقولة "فرق تسد"، وهناك ثلاث خلاصات مركزية حكمت السياق الفكري و الإيديولوجي، الذي ضمنه صيغت السياسات البربرية بالمغرب الأقصى على وجه خاص، و بالمغرب العربي عموما:

أولها الإقرار بوجود تناقض سديمي بين العرب و البربر.

ثانيهما أنه بناء على هذا الاختلاف في التكوين التاريخي للعرقين، هناك دعوة لتفضيل الجنس البربري على نظيره العربي، و ذلك لقابليته بتقدير الاستعمار على التطور المدني و الحضاري.

ثالثهما و أخيرا، استعداد البربر و اكتسابهم لأهلية الاندماج بالمجتمع الفرنسي سياسيا و اجتماعيا و ثقافيا.

حيث جاء في رسالة بعث بها ماسينيون إلى إحدى السلطات الأسقفية يشرح فيها هدف السياسة البربرية بتاريخ 9 مارس 1951، يقول فيها: "لقد كانت فعلا بالنسبة إلى القضية البربرية مشكلة وعي ديني و علمي في الوقت ذاته... التي من المستلزم عليها أن تلغي اللغة العربية و الإسلام بشمالنا الإفريقي لصالح اللغة الفرنسية و الديانة المسيحية، و ذلك على مرحلتين: 1- بعث هذا التكوين الرسوبي اللغوي و العرقي القديم للبربر، 2- الإدماج بواسطة اللغة و القانون، فكفرنسي مسيحي، و ككل الغزاة المبتدئين، كنت مناصرا لهذه الأطروحة، بل و آمنت بالإدماج الفرنسي المسيحي للقبائل عبر الحركة البربرية..."².

سبقت الإشارة إلى أن التجربة الاستعمارية بالجزائر تعد المرجعية الأولى و الأساسية لدخول الاستعمار أقطار المغرب العربي، و ترسيخ وجوده، و بالضرورة سيعتمد السياسات ذاتها التي قام بها في الجزائر و المقصود بذلك هنا السياسة البربرية، و يعد ليوطي من المقيمين العامين القلائل الذين أصلوا مؤسسات الاستعمار بالمغرب الأقصى، قد عايش السنوات الأخيرة من تجربة سياسة القبائل بالجزائر حين كان يزاول مسؤولية القيادة العسكرية بمنطقة عين الصفراء في الحدود الجزائرية المغربية. حيث تعلم من الإخفاقات التي تخللت سياسة القبائل في الجزائر بل متمثلا بمصادر تعثرها، حيث اعتمد سياسة

¹ :شارل أندريه جوليان، إفريقيا الشمالية تسير: القوميات الإسلامية و السيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم و آخرون، مراجعة فريد السوداني، تونس، الدار التونسية للنشر، الجزائر، و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1976، ص 170.

² :Charles André Julien, op .cit, p 158.

التمييز العرقي كمدخل لتعميق ضعف المغرب و مؤسساته، إدراكا منه بأنها الأداة القادرة على إنحياز مثل هذا المشروع.

فالهدف الرئيسي للاحتلال من وراء هذه السياسة تمثل في القضاء على أي احتمال تكوين وحدة وطنية إثنية و مذهبية بين مكونات المجتمع المغربي، و أن العنصر البربري الذي لم يفعل الإسلام في إيمانه و معتقداته هو المؤهل لأن يندمج بالحضارة الوافدة و يتفاعل معها¹.

ووعيا منهم بأهمية اللغة، عمد الاحتلال على تشجيع احتفاظ البربر باللغة البربرية و التعامل بها معهم بدلا من اللغة العربية، و من أجل فصل الكتلة البربرية عن المغرب لغة و عادات و تقاليد، قامت بإحداث المدرسة الفرنسية-البربرية التي عرفها و حدد وظيفتها بول مارتيني بقوله: "إن المدرسة الفرنسية البربرية هي مدرسة فرنسية بتعليمها و حياتها، بربرية بتلاميذها و بيئتها..."². و لم يتوقف مجهود فرنسا عند هذه المدرسة فقط، حيث بحلول عام 1930، تكون قد أحدثت عشرون مدرسة تؤطر سبعمائة تلميذ.

المطلب الثالث: موقف الشعوب المغربية من السياسة الفرنسية قبل الاستقلال:

لم يكن ليكتب النجاح للثورات المسلحة التي قادتها شعوب المغرب العربي، لو لم تصاحبها ثورات فكرية إصلاحية، هيأت الجماهير للقيام بالجهاد، و ساعدت في الحفاظ على هوية و عقيدة شعوب المغرب العربي. و ذلك من خلال (جامعة الزيتونة، والقرويين، وجمعية العلماء المسلمين، و عمل الزوايا، و علماء و رجال الإصلاح...)، إذ كان عمل الحركات الوطنية و الفكرية الإصلاحية جوهريا و أساسيا، و بدونها لم يكن ليحدث الاستقلال، لو نجح الاستعمار الفرنسي في القضاء تماما على الهوية العربية الإسلامية، و أحلّ الثقافة الفرنسية و العقيدة المسيحية محلها، لحدث لدولنا ما حدث للأندلس، و لشعوبنا ما حدث للهنود الحمر³.

1- موقف الشعب المغربي من السياسة الاستعمارية:

يملك الشعب المغربي هوية إسلامية ضاربة في أعماق التاريخ، فلم يكن مثل هذه التدابير الاستعمارية التي لا تنفصل في العموم عن الأهداف العامة للاستعمار الفرنسي أن تجد مكاناً مريحاً لها في المجتمع المغربي؛ إذ كانت مقاومة هذا المخطط جزءاً لا يتجزأ من مقاومة الاستعمار بكافة أشكاله.

¹: أحمد المالكي، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص 209.

²: علال الفاسي، "الحركات الاستقلالية في المغرب العربي"، مؤتمر طنجة لوحدة المغرب العربي، ص 142.

³: ميلود حميدات، "المقاومة الفكرية الإصلاحية للمشاريع الاستعمارية في المغرب العربي"، مجلة الفكر الحر، العدد 73، أكتوبر 2010.

ويمكننا أن نجمل مظاهر هذا الرفض في تجليات أساسية تتفرع عنها جزئيات تجد أثرها في مظاهر الحياة العامة، وتتمثل هذه التجليات الأساسية في:

- زيادة تمسك المغاربة باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، ووسيلة التفقه في الدين، ووسيلة لإظهار التماسك والتلاحم الوطني في وجه المستعمر. وبذلك أصبحت المطالبة بجعل اللغة العربية لغة التعليم والإدارة، ولغة كل المغاربة بدون استثناء؛ مطلباً شعبياً، ترفع حوله الشعارات في كل المناسبات الوطنية، بل من المبادئ الأساسية التي ترى فيها الحركة الوطنية مظهراً من مظاهر الاستقلال، وهذا ما أجهض مشروع المدارس الفرنسية البربرية، ومن ثم المشروع اللغوي الذي كانت فرنسا تأمل تحقيقه بالمغرب¹.

- إجهاض الظهير البربري في مهده عن طريق قيام الحركة الوطنية المنظمة التي خاضت المعارك العسكرية والثقافية ضد المستعمر، بعد أن كانت المقاومة قبل صدور الظهير البربري مقتصرة على ما يشبه حروب العصابات المتقطعة، في أنحاء البلد، بحيث لا يربطها عقد ناظم، ولا تخضع لتصور مشترك، ولا تحمل مشروعاً ثقافياً واجتماعياً يحول دون المسخ الثقافي للبلد. حيث قاومت سياسة التجزئة (فرق تسد) وتصدت الحركة الإصلاحية في المغرب لمحاولات الاستعمار المحمومة، لإثارة الفتنة بين أفراد الأمة الواحدة، وقد برز موقف الحركة الإصلاحية من خلال رفض الظهير البربري 1930 في المغرب عن طريق الانتفاضة والمظاهرات التي قام بها الشعب المغربي (عربا وبربرا) لرفض هذا المشروع، وتواصلت مقاومة سياسية (فرق تسد) عن طريق الحركة الوطنية بزعامة علال الفاسي (1907-1974) زعيم الحركة الإصلاحية الإسلامية في المغرب.

- وضع مبادئ أساسية لإعادة هيكلة وتحديث النظام التربوي والتعليمي بالمغرب تواجه المخطط الاستعماري، وتتمثل هذه المبادئ في اعتماد مبدأ التوحيد توحيد أنماط التعليم، في مواجهة مخطط الفصل، وتعدد أنماط التعليم تحت عنوان التعليم الانتقائي الطبقي، واعتماد مبدأ التعريب في مواجهة السياسة اللغوية في النظام التعليمي بالمغرب التي كانت تحاول إضعاف اللغة العربية وتشجيع اللهجات البربرية، كخطوة لتعميم استعمال اللغة الفرنسية.

¹ الحسن مادي، "السياسة التعليمية بالمغرب العربي و رهانات المستقبل"، مرجع سبق ذكره، ص22.

- إنشاء مدارس وطنية أهلية، سميت بالمدارس الحرة، والتي لقيت تشجيعاً وتمويلاً من طرف الأهالي. وقد افتُتحت أربعون مدرسة في ظرف سنة واحدة وهو رقم قياسي في شمال إفريقيا، بل حتى في عالم المستعمرات، وتجددت في القرى حملة 1930م حول التمدرس وسارت بوتيرة سريعة، وأعيد فتح معظم المدارس التي أقفلت في سنة 1937م، وفتحت مدارس جديدة في بعض المداشر، هذه الظاهرة قلما شوهد لها مثل قبل هذا التاريخ¹ هذا بالإضافة إلى التعليم الممارس في المدارس العتيقة والمساجد والزوايا.

2- الموقف الجزائري من السياسة الاستعمارية:

إن الأحوال في الجزائر تختلف عن مثيلتها في كل من تونس و المغرب، و هذا الاختلاف سيظهر حتما في ردود الأفعال حيث لا تكون بنفس الدرجة، لأن الاستعمار في كل من تونس و المغرب يستمد شرعيته من معاهدة الحماية مع الحفاظ على هيكل الدولة و لو شكليا فقط، أما في الجزائر فقد كان الاستعمار يستمد شرعيته من قوة المنتصر الذي سعى إلى سحق شخصية الشعب المهزوم واستئصالها إلى ابد الأبدين.

إن أول سياسة ركزت عليها فرنسا تذيب اللغة العربية في اللغة الفرنسية من خلال استبدال التعليم الفرنسي مكان العربي و الإسلامي الذي كان يتم في المساجد، كغاية لتجهيل الشعب الجزائري و إنتاج نخبة منه تعلمت بالفرنسية و تشبعت بالثقافة الفرنسية، لكن الشباب الواعي و الذي كون الحركات الوطنية التحررية و الفكرية الإصلاحية لم يكن يجهل حقيقة و مساعي الاستعمار المدمرة تماما للشخصية العربية و الإسلامية للشعب الجزائري.

و قد اختلفت ردود الأفعال بين مؤيدين و معارضين و وسطيين، من دعاة للإدماج و دعاة للمساواة و دعاة الإصلاح و دعاة الاستقلال التام.

و تعد جبهة التحرير الوطني إحدى هذه الحركات التي كانت تسعى إلى الاستقلال الكلي عن فرنسا، فلم تكن تجهل هذا المسعى الاستعماري، و من ثمة، فإنها إلى جانب الكفاح المسلح، كانت تنظم في الأرياف خاصة و في أوساط المجاهدين بصفة عامة، حملات متواصلة لمحو الأمية، و تغيير الدّهنيات الجامدة و ارفع مستوى الوعي لدى الفلاحين و العمال، كما أنها كانت تعمل جاهدة على دعم الأخلاق الثورية المرتكزة على قيمنا العربية الإسلامية، تلك القيم التي سيكون منها المنطلق لبلورة

¹،جون جيمس، "حركة المدارس الحرة بالمغرب"، مجلة أبحاث، العدد 17، 1988، ص 61.

عناصر الشخصية الوطنية، و لتكوين الإنسان الجزائري الجديد القادر على الإسهام بفعالية في معركة البناء و التشييد من أجل استرجاع السيادة الوطنية و إقامة الدولة القومية المستقلة¹. و بالحديث عن الحركات الإصلاحية التي كان لها صدى و ثقل في الجزائر أثناء الاحتلال نذكر أهمها جمعية العلماء المسلمين و التي مثلت دعاء الإصلاح، لما قدمته من وعي و كفاح فكري داخل و خارج الوطن.

في الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، احتفل بها الفرنسيون معتقدين أنهم سيطروا على الجزائر أرضا وشعبا إلى الأبد، تأسست جمعية العلماء المسلمين في 5 ماي 1931 برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889-1940)، وعضوية ثلثة من علماء الجزائر الأحرار، الذين شاهدوا ما وصلت إليه أمتهم من انحطاط فكري وأخلاقي، من جراء العدوان الاستعماري الفرنسي². لقد كان التمايز عبر الدين هو آخر مظهر تلجأ إليه الشخصية الوطنية لتأكيد اختلافها عن المستعمر، و آخر معقل تلوذ به لتصون استمراريتها. و هنا كان الدين مدعوا لأن يقول القول الفصل في الموضوع.

كانت تعمل حول ثلاث محاور:

المحور الأول: ديني و يتضمن:

* محاربة الطرقية أي تطهير الدين من البدع و الخرافات

* دعوة الشعب الجزائري إلى الحفاظ على شعائر و أخلاق و أحكام دينه الإسلامي.

المحور الثاني: ثقافي اجتماعي و يتضمن:

* تأسيس المدارس العربية الحرة لتربية و تعليم النشء.

* إنشاء النوادي الثقافية لنشر الوعي في أوساط الشباب و العمال.

* محاربة الآفات الاجتماعية مثل تعاطي المخدرات.

المحور الثالث: سياسي و يتضمن:

* تحقيق استقلال الجزائر

* العمل في سبيل الوحدة العربية الإسلامية

* مقاومة سياسة التجنيس و التنديد بالاستعمار.

¹ محمد العربي الزبيبي، تاريخ الجزائر المعاصر (1945-1962)، مرجع سبق ذكره، ص11.
² بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس و بناء قاعدة الثورة الجزائرية، الطبعة الثانية، بيروت، دار النفائس، 1983، ص 114-115.

حيث تصدت جمعية العلماء المسلمين بشدة لسياسة التّجنيس والإدماج، وبلغ رد الجمعية ذروته في الفتوى التي أصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس، واعتبر فيها التّجنيس بالجنسية الفرنسية، ردةً عن الدين الإسلامي¹.

كما تصدى الشيخ عبد الحميد بن باديس الصنهاجي لسياسة القبائل الاستعمارية هذه السياسة الأخرى التي أراد من ورائها الاستعمار التفرقة بين أبناء الوطن الواحد مستغلين بذلك التاريخ البربري للجزائر، بقوله أيضا: " إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام، منذ بضعة عشر قرنا ثم بدأت تلك القرون تمزج بينها في الشدة والرخاء، وتؤلف بينهم في العسر واليسر، وتوحدهم في السراء والضراء، حتى كوّنت منهم في أحقاب بعيدة، عنصرا مسلما أمه الجزائر وأبوه الإسلام"².
لا تنفي هذه الاتجاهات أن هناك من يدعو للمساواة، وقد انقسم هذا التيار إلى قسمين³:

أ- جماعة من المثقفين ثقافة فرنسية: وقد دعا هذا الاتجاه الذي كان من أبرز شخصياته ابن التهامي إلى المساواة حتى وإن كانت على حساب مقومات الهوية الجزائرية، وهذا الاتجاه هو الذي أصبح يعرف فيما بعد بالاتجاه الإدماجي.

ب- جماعة النخبة الإصلاحية: التي التفت حول الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر الذي عمل كضابط في الجيش الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى 1914-1918، وعاد بعد نهايتها إلى الجزائر ليدافع عن حقوق شعبه و قد كانت هذه الجماعة تدعو إلى المساواة في ظل احترام مقومات الشعب الجزائري و قد اختار هذا التيار لنضاله الصحافة و الخطب و المجالس المنتخبة و الاتصالات و وسائل لذلك.

كما ظهر كذلك دعاة الإدماج، و هي استمرار لدعاة المساواة حتى وإن كان ذلك على حساب الهوية الوطنية، مثلت هذا الاتجاه جماعة النخبة الليبرالية التي دعت إلى دمج الجزائر عن طريق التّجنيس الجماعي بقطع النظر عن القضية الدينية، و نادوا بالتعليم الفرنسي، وإتباع طريقة الحياة الفرنسية و بالمساواة التامة بالفرنسيين كما كانوا يسعون إلى تحقيق إصلاحات اجتماعية و سياسية

¹ : نشرت هذه الفتوى الجريئة في جريدة البصائر، لسان جمعية العلماء المسلمين، العدد95، سنة 1938، ص2.

² : جريدة البصائر، السنة الأولى، العدد 3، 13 جانفي 1936.

³ : الحركة الوطنية في:

بسيطة لا تتلاءم مع واقع الجزائر القومي، وكان من بين أعضاء هذا الاتجاه الدكتور ابن التهامي، ابن جلول ربيع أزناتي، الصحافي معروف بومدين، والصيدلي فرحات عباس¹. لقد ظهرت هذه الحركات ما بين 1919-1939، كتيارات مدافعة عن حقوق الشعب الجزائري، اندثر بعضها كحركة المساواة و تحول فكر أخرى كدعاة الإدماج الذين انقلبوا فيما بعد نحو الاستقلال، وأصبحت الجزائر في الثلاثينات و ما بعدها في ركاب نجم شمال إفريقيا و حزب الشعب الجزائري اللذين دعيا إلى الاستقلال، وجمعية العلماء المسلمين التي ركزت على المضمون الثقافي و الاجتماعي للشخصية الجزائرية.

3- الموقف التونسي من السياسة الاستعمارية:

كان التجاوب بين أقطار المغرب العربي، زمن الاستعمار، كبيرا على الرغم من الحواجز التي كان قد أقامها الاستعمار نفسه بين كل من المغرب والجزائر وتونس. و من ثم كانت الأحداث المهمة التي تقع في أحد الأقطار الثلاثة يتردد صداها في القطر الجاور. ولم تشذ عن هذه القاعدة معركة التّجنيس، بل لقد جسمت المعركة ضد التّجنيس مظهرا رائعا من مظاهر التجاوب بين تونس والجزائر؛ لأن الفتوى التي صدرت عن جمعية العلماء المسلمين، والتي تنص على تكفير التّجنيس، كانت في الحقيقة استجابة لنداء ورد من تونس طالبا رأي الحركة الإصلاحية الدينية في الجزائر في هذه القضية بصورة تزيل اللبس وترفع الغموض وتدحض باليقين كل شك². ذلك أن كلا من تونس والجزائر شهدت تصاعد الحملة من أجل انتشار التّجنيس بالجنسية الفرنسية والتشجيع عليه منذ نهاية العشرينات إلى نهاية الثلاثينات من القرن العشرين، على الرغم من اختلاف أشكال الحملة هنا وهناك، واختلاف ردود الفعل هنا وهناك.

وهذا الوجود المتميز للشخصية التونسية هو الذي يفسر اختلاف رد الفعل ضد التّجنيس في تونس عنه في الجزائر؛ لأن المظاهر المتميزة لهذه الشخصية عبر مؤسسات عديدة، مهما كانت فعاليتها محدودة، من شأنه أن يجنب عن رجل الدين في تونس خطورة التّجنيس بالجنسية الفرنسية. فالكيان التونسي كان قائما، وهياته المختلفة من إدارية وسياسية ودينية موجودة. ومن هنا لم تظهر خطورة التّجنيس إلا للسياسيين الذين كانوا محتكين بالشعب. وهذا ما جعل رد الفعل ضد التّجنيس في تونس

¹ : الحركة الوطنية في:

www.onfed.com

مرجع سبق ذكره

² :محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس، الطبعة الثانية، تونس، دار سراس للنشر، 1993، ص 102.

يصدر عن الحزب الدستوري، في الوقت الذي صدرت خلال أبريل 1933 فتوى دينية بتونس سايرت رغبة الإدارة الاستعمارية. فقد نصت هذه الفتوى على أن المتجنس بالجنسية الفرنسية من أبناء تونس يعتبر باقيا على إسلامه، ومن ثم يجوز دفنه في مقابر المسلمين¹.

أما النخبة المنحدرة من الطبقة الحاكمة قديما انكبت على نوع من النقد الذاتي للمجتمع، لكي تشخص المرض و تقدم على العلاج، فكان عهد الإصلاح الثقافي و قد قامت به أساسا الصحافة من ذلك جريدة الحاضرة و قد تأسست في 1888 و الزهرة 1890، وكذا التعليم مدرسة الخلدونية التي فتحت أبوابها سنة 1896، و تعهدت بأن تقدم لطلبة جامع الزيتونة ما يكمل ثقافتهم المعاصرة من علوم و تاريخ و جغرافيا...²، و كذلك إصلاح قطاع التعليم و نظمه و توسيع مجالاته و تعبئة طاقاته، و تعد حركة الشباب التونسي من أبرز من أجمع على رفض اقتراح غلاة المعمرين الداعي إلى إرجاع الأهالي إلى كتابتهم مشددة على إبراز عيوب التعليم التقليدي و خاصة الكتابات، كما أجمعوا على ضرورة ألا يكون تعليم الأهالي مختلفا عن غيرهم من أوروبيين و يهود و ألا يعزلوا في مدارس خاصة بهم³، و تشجيع ما يسمى بالتعليم الحر أي التعليم القرآني، كما قامت حركة تونس الفتاة بالدعوة إلى إصلاح النظام التعليمي في جامعة الزيتونة لصيانة هوية تونس العربية الإسلامية، فقامت بموجب ذلك فرنسا بتقريب التعليم القرآني العصري من أحد أنماط التعليم الحكومي و هو التعليم الفرنسي-العربي، تمت هذه الخطوة في جوان 1938 عندما قررت إدارة الاستعمار تدعيم المدارس القرآنية العصرية ماليا و وضعها تحت إشرافها الإداري، ثم سحب برنامج المدارس الابتدائية الفرنسية العربية عام 1953، و في 1956 تقرر تأميم المدارس القرآنية العصرية حيث تطبق بها الأوقات و البرامج و القانون المدرسي و الرخص و العطل المتبعة بالمدارس الحكومية⁴، و هكذا بدأ التعليم في تونس يتجه من التعدد إلى الثنائية: تعليم فرنسي موجه أساسا للأوروبيين و اليهود، و تعليم مزدوج فرنسي-عربي موجه للتونسيين العرب، ثم سرعان ما انتقلت حركية التعليم التونسي من الثنائية إلى التوحيد منذ جوان 1955 و ساعد ذلك على خروج التعليم الفرنسي نهائيا من ساحة التعليم العمومي التونسي و دخول التعليم الزيتوني تحت نظر وزارة المعارف في أوائل 1956.

¹ : محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس، مرجع سبق ذكره، ص 119.
² : المرجع نفسه، ص 115.

³ : Khairallah Ben Mustapha , L'enseignement primaire des indigènes en Tunisie, La Tunisie actualité, spéciale, 1973, p111.

⁴ : الرائد الرسمي التونسي، عدد 95، نوفمبر 1956، ص 2228.

نخلص في الأخير أن المقاومة الفكرية الإصلاحية للغزو الفكري قد نجحت إلى حد كبير، إذ رغم عدم تكافؤ الوسائل والإمكانيات بينها وبين الاستعمار الفرنسي، وطبيعة الظروف التي ظهرت فيها، إذ كانت شعوب المغرب العربي تعاني الفقر والجهل، والأمية والانحطاط، إلا أنها نجحت في حماية الشخصية العربية الإسلامية من الزوال، وهيأتها لتقوم بالثورة والكفاح المسلح لتحقيق استقلال المغرب العربي¹.

ويبقى الدور الآن على أبناء الاستقلال من مفكرين ومثقفين ورجال سياسة، وحركة وطنية بصورة عامة لمواصلة مقاومة آثار الغزو الفكري، وتبني مشاريع سياسية وثقافية واقتصادية لاستعادة الهوية والشخصية العربية الإسلامية، لمواصلة الطريق الذي عبده شهداء المغرب العربي، وأناره علماءه ومصلحوه ليسترجع المغرب العربي وحدته، وعقيدته ولغته واستقلاله التام.

المبحث الثاني: واقع الأمن الثقافي المغربي بعد الاستقلال:

بعد أن فشل الاستعمار الفرنسي في محاولات الاستيلاء على دول المغرب العربي الثلاث عسكريا و سياسيا، حيث نتج عن فشل هذه المحاولات استقلال هذه الدول و خروج فرنسا منها نحو بلدها، لم تعلن هذه الأخيرة استسلامها و قناعتها بخسارة هذه الدول إلى الأبد، بل صممت على احتوائها و مراقبتها من وراء البحر المتوسط، حيث سعت إلى انتهاج أسلوب منظم يعمل على إخراج شعوب هذه الدول من مسارها الحضاري و الثقافي العربي الإسلامي و يسوقها في إطار من التبعية و الاستيعاب لثقافتها و حضارتها.

إن الاستعمار في جوهره واحد، ولكن أساليبه تعددت و تلونت بتطور الظروف في القرن العشرين، من الاستعمار إلى الحماية إلى الانتداب إلى الاستقلال السياسي الممنوح فالاستعمار الجديد.

المطلب الأول: بناء الدولة الوطنية في بلدان المغرب العربي

لقد تحصلت دول المغرب العربي الثلاث على استقلالها بعد أن دمرها الاستعمار و جعلها دولا متخلفة تعاني شعوبها الفقر و المرض و الإهانة، و بعد أن حطمت ثقافتها و هويتها العربية الإسلامية. تحصلت كلا من تونس و المغرب الأقصى على استقلالهما سنة 1956 في خضم اشتعال

¹ ميلود حميدات، "المقاومة الفكرية الإصلاحية للمشاريع الاستعمارية في المغرب العربي"، مرجع سبق ذكره.

الثورة الجزائرية، حيث كان الغرض من منحهما الاستقلال التفرغ للجزائر حتى لا تضيق من فرنسا. استمر الكفاح في الجزائر إلى غاية الستينات، حينها تحصلت بدورها على الاستقلال بعد 7 سنوات من النضال.

و سنحاول في هذا المطلب الحديث كيف حاول قادة و ساسة الثورة توجيه بلدهم المستقلة بما كانوا يؤمنون به من قناعة إيديولوجية و اقتصادية بعد استرجاع السيادة لكل من الجزائر، تونس و المغرب الأقصى.

أولا : تكوين الجمهورية الجزائرية:

في 19 مارس 1962 أعلن عن اتفاق وقف القتال فوضع بهذا حدا لحرب إبادة طويلة ضد الشعب الجزائري مارسها الاستعمار الفرنسي بكل وحشية. وقد انتهت هذه الحرب باتفاق إيفيان بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وفرنسا و بمقتضى هذا الاتفاق تحقق استقلال الجزائر على أساس احترام وحدتنا الترابية والشعبية.

وفي 01 جويلية 1962 وقع الاستفتاء الشعبي على تقرير المصير وكانت صيغة الاستفتاء هي نعم أم لا للاستقلال والتعاون وأعلنت عن النتائج في يوم 02 - 07 - 1962 فكانت 5.975.581 صوتوا بنعم من مجموع 5.992.115 ناخب.

وفي نهاية سبتمبر أقدمت الحكومة الجديدة على تعيين المرشحين للمجلس الوطني التأسيسي وكان عددهم 196 نائبا وفي أول اجتماع له أعلن عن قيام الجمهورية الجزائرية في 26 سبتمبر 1962، انتهت مهمة الهيئة التنفيذية المؤقتة وحلت محلها حكومة الجمهورية الجزائرية المنتهجة النهج الاشتراكي. عقد المجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس ليبيا مؤتمرا هاما ضم أعضاء الحكومة المؤقتة والقيادة العامة للجيش وقادة الولايات الست وبعض المسؤولين الذين تم الإفراج عنهم من سجون فرنسا. حدد هذا المؤتمر السياسة العامة للبلاد وحدد الوسائل التي بواسطتها يمكن علاج المشاكل التي واجهتها الجزائر غداة استقلالها. وتضمن الميثاق مجموعة من الاختيارات تظهر من خلال¹ :

1 - الاختيارات السياسية :

أ - محاربة الاستعمار ودعم حركات التحرر في كل العالم.

ب - دعم السلم والتعاون الدولي المتوازن والعادل.

¹ :استعادة السيادة الوطنية و بناء الدولة الجزائرية، في:

ج - تجسيد الوحدة المغاربية والإفريقية.

د - بناء دولة عصرية على أسس ديمقراطية في إطار مبادئ اشتراكية.

2 - الاختيارات الاقتصادية :

أ - محاربة التسلط الاحتكاري والإقطاعي.

ب - ضرورة بناء اقتصاد وطني متكامل وتحقيق الاستقلال الاقتصادي.

ج - تطبيق سياسة التخطيط.

د - مراجعة العلاقات الاقتصادية مع الخارج مع إحداث تغيير جذري على هياكل الحياة في

الريف وتصنيع البلاد.

ه - التأكيد على النظام الاشتراكي كوسيلة للتنمية الشاملة المتوازنة.

3 - الاختيارات الاجتماعية والثقافية :

أ - رفع مستوى معيشة السكان بالقضاء على البطالة، تحسين الوضعية الصعبة وتوفير السكن.

ب - استعادة الثقافة الوطنية وإعطاء اللغة العربية مكانتها.

ج - دعم الثقافة الوطنية على أسس علمية وثورية.

د - ترسيخ القيم الوطنية في إطارها الحضاري العربي الإسلامي.

ه - تأكيد التمسك باللغة العربية كعنصر أساسي للهوية الوطنية المتميزة.

و- توسيع وسائل التربية الجماهيرية و تعبئة كافة المنظمات الوطنية لمحاربة الأمية و تعليم القراءة

و الكتابة لكل المواطنين، في أقرب الآجال.

-المشاكل التي واجهتها الجزائر في بداية الاستقلال:

واجهت الجمهورية الجزائرية الفتية غداة استرجاعها للاستقلال الوطني مشاكل مختلفة في شتى

الميادين تظهر من خلال¹:

أ - المشاكل السياسية :

* اتفاقية إيفيان وما نصت عليه من بقاء بعض من الجيش الفرنسي مرابطا في بعض المغارات

والموانئ الإستراتيجية، مع بقاء المعمرين محتفظين بامتيازاتهم الاقتصادية والاجتماعية وهو ما يهدد

السياسة الوطنية.

¹ : تشكل الحكومة الجزائرية بعد الاستقلال، في:

* الصراعات الشخصية على السلطة بحيث تطورت من خلافات كلامية إلى استعمال السلاح والبلاد ما تزال لم تضم جراحها "أزمة صائفة 1962".

* الخلافات الحدودية بين الجزائر وجيرانها خاصة مع المغرب الأقصى في عام 1963.

ب - المشاكل الاجتماعية :

لقد أسفرت الحرب التحريرية عن استشهاد أكثر من مليون ونصف المليون شهيد وحوالي 03 ملايين من الذين كانوا في المحتشدات و100 ألف معتقل و300 ألف كانوا لاجئين خارج الوطن وخاصة في تونس والمغرب الأقصى وأكثر من 300 ألف يتيم من بينهم 30 ألف يتامى الأب والأم والآلاف من المعطوبين والآلاف من النازحين من الأرياف نحو المدن ناهيك عن الأرامل والمرضى والمشردين والعاطلين عن العمل... إلخ.

ج - المشاكل الاقتصادية :

قام الاستعمار الفرنسي بتدمير أكثر من 08 آلاف قرية وخرّب العديد من الطرق والجسور وأحرق الآلاف من الهكتارات من الغابات والأشجار المثمرة وقضى على الآلاف من المواشي وأتلف المزارع وقام بزرع الألغام في مساحات شاسعة من الأراضي.

وقام بتخريب الآلات الفلاحية والصناعية وتهريب رؤوس الأموال التي قاربت 100 مليار فرنك وتركت ديون قدرت بـ 20 مليار فرنك كما هاجر مليون إطار أوروبي الجزائر عام 1962.

د - المشاكل الثقافية :

وتتمثل في أمية السواد الأعظم من الشعب الجزائري بكل فئاته وقلّة الإطارات الفنية والمعلمين وقلّة المدارس ومراكز التعليم وعموما فرنسا لم تترك للشعب الجزائري ما تفتخر به بل الأدهى والأمر هو أحوال الجزائريين في عام 1830 كانت أحسن بكثير من عام 1962.

– الاهتمامات المستعجلة للجمهورية الجزائرية :

لم تبق الجزائر مكتوفة الأيدي حيال هذه المشاكل الخطيرة بل بذلت مجهودات جبارة من أجل الحيلولة دون استفحالها وانتهجت في ذلك الأساليب التالية¹ :

أ - إعادة بناء وترميم القرى التي خربها الاستعمار الفرنسي لتجميع السكان والحد من التزوح.

ب - التكفل بالأرامل وأبناء الشهداء والمعطوبين واليتامى وتوفير لهم كل الإمكانيات.

¹ :تطور تاريخ الجزائر، في:

- ج - توفير العلاج والمرافق الصحية لأبناء الشعب للقضاء على الأمراض والحد من الوفيات.
- د - استصلاح الأراضي الزراعية وإعادة تشجير الغابات والاهتمام بتربية المواشي.
- و - الانطلاق في سياسة التأميمات (الأراضي، البنوك، المناجم، المحروقات . . . إلخ).
- هـ - الاهتمام بالتعليم والثقافة الوطنية بتوفير الإمكانيات وإقامة علاقات تعاون مع الدول الشقيقة والصديقة.

هكذا بعد استعمار دام 132 سنة خرجت فرنسا من الجزائر ووجد الشعب الجزائري نفسه أمام تحديات جديدة تتمثل في ذبول الحرب ومخلفات الدمار والخراب. فاتخذت السلطات آنذاك إجراءات مستعجلة للحيلولة دون استفحال المشاكل ومخلفات المستعمر الفرنسي. فاهتمت بتطوير المجال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي، هذا الأخير الذي لا يقل أهمية عن بقية القطاعات، خاصة وأن الاستعمار الفرنسي قد عمل على القضاء على الهوية والثقافة العربية التي تتميز بها شعوب المغرب العربي. و عليه سوف نركز على المؤسسات التربوية والتعليمية وكيف نهضت بها الحكومة الجديدة.

النظام التربوي الجزائري بعد الاستقلال:

بعد الاستقلال مباشرة واجهت الجزائر مشاكل عديدة من التخلف، والجهل، والامية و منظومة تعليمية بعيدة كل البعد عن واقعها، و هكذا نصبت أول لجنة وطنية لإصلاح التعليم في 15.09.1962 و نشر تقريرها في نهاية سنة 1964. و كان من أهم التوصيات التي وردت في وثائق هذه اللجنة ما يلي¹:

- مضاعفة الساعات المخصصة للغة العربية في كل المراحل التعليمية و ذلك بإعادة النظر في لغة التدريس.
- بناء المدارس في كل ربوع الجزائر تعميما للتعليم و ديمقراطيته و من هنا برزت الأهداف الأساسية الثلاثة: التعريب- ديمقراطية التعليم- الاختيار العلمي و الفني.
- و كان الهدف الرئيسي يتجلى في:
- استعادة الأصالة و المحافظة على الشخصية الإسلامية العربية.

¹ النظام التربوي الجزائري بعد الاستقلال، في:

- نشر التعليم على نطاق واسع بين كل الجزائريين.
- الالتحاق بركب الدول المتقدمة في ميدان التكنولوجيا خاصة.
تمتاز هذه المرحلة أيضا بتنصيب اللجنة العليا لإصلاح التعليم سنة: 1963/1964 والتي أعادت النظر في مناهج التدريس الموروثة واستبدالها بأخرى وعلى إثر ذلك أنشئ المعهد التربوي الوطني لتأليف الكتب.

و قد اتبعت منهجية تعليمية في الأطوار الثلاث و هي¹:

- التعليم الابتدائي: فتحت المدارس لكل طفل بلغ سن التمدرس مما كرس ديمقراطية التعليم ومجانته، ومدته ست سنوات كاملة، وقد ارتفع عدد التلاميذ 7740800 في موسم 63/62 إلى 539493 عام 69/68.

- التعليم الثانوي: انقسم إلى طورين هما:

1: تعليم ثانوي طويل: من السنة السادسة إلى الثالثة تنتهي فيه الدراسة بشهادة تعليم الطور الأول ومن السنة الأولى ثانوي إلى السنة النهائية يتوج بشهادة البكالوريا للتعليم الثانوي سنة 1963 أو البكالوريا التقني سنة 1968 للتقنيين.

2: تعليم ثانوي قصير: ويمنح في إكماليات التعليم العام، و يتوج بالشهادة الابتدائية، و بعدها بشهادة التعليم العام.

أما تعداد تلاميذ طوري التعليم الثانوي (القصير و الطويل) فظل ضئيلا إلى حد بعيد:

-التعليم العام: 36.324 عام 1964 / 1965 إلى 53.158 عام 1968/1969.

-التعليم التقني: 33.259 عام 1964/1965 إلى 5.192 عام 1968/1969.

لقد كان عدد دور المعلمين غداة الاستقلال 6 فقط ليصل سنة 1970/1969 إلى 21 دارا، إن النقص في عدد المعلمين جعل التوظيف كليا للممرنين و المساعدين، وعلى الرغم من ذلك كان لا بد من اللجوء إلى انتداب متعاونين من دول عربية عديدة كمصر وسوريا والعراق وكذا من دول أخرى أوروبية كفرنسا وإنجلترا ومن آسيا. فشكل الأجانب ست وثلاثون بالمائة من مجمل معلمي الابتدائي خلال السنوات الأولى للاستقلال حتى استقر في حدود خمسة عشر بالمائة في نهاية الستينات.

¹ : النظام التربوي الجزائري بعد الاستقلال، في:

أما التعليم العالي فكانت البداية بعد الاستقلال بجامعة واحدة و مدرستين للتعليم العالي، و كان الانطلاق في الإصلاح الجامعي في بناء جامعات جديدة و كان البدء بجامعتي باب الزوار و قسنطينة. شكل التعليم أحد الأولويات الأساسية في السياسة التنموية الشاملة التي اتبعتها الدولة مباشرة بعد حصولها على استقلالها في 5 جويلية 1962. فالدستور الجزائري الصادر سنة 1963 و الموثق و النصوص الأساسية المرجعية التي تستمد منها السياسة التعليمية اعتبرت التعليم العنصر الأساسي لأي تغيير اقتصادي و اجتماعي.

الأمر رقم 35 76 المؤرخ في 16 أبريل 1976 أول نص تشريعي على هذا المستوى، وضع المعالم و الأسس القانونية للنظام التعليمي الجزائري و شكل الإطار التشريعي لسياسة التربية التي تركز على¹:

- تأصيل الروح الوطنية و الهوية الثقافية لدى الشعب الجزائري و نشر قيمه الروحية و تقاليد الحضارية و اختياراته الأساسية.
- تثقيف الأمة، بتعميم التعليم و القضاء على الأمية و فتح باب التكوين أمام جميع المواطنين على اختلاف أعمارهم و مستوياتهم الاجتماعية.
- تكريس مبادئ التعريب و الديمقراطية و التوجيه العلمي و التقني.
- ضمان الحق في التعليم و مجانيته و إلزاميته.

و قد شرع في تطبيق أحكام هذا الأمر ابتداء من السنة الدراسية 1980-1981، و ما يزال إلى حد الآن يشكل الإطار المرجعي لأي مشروع يستهدف إدخال تحسينات و تحويلات على النظام التعليمي في الجزائر.

ثانيا : تشكيل حكومة تونس المستقلة:

دخلت تونس بعد حصولها على الاستقلال مرحلة بناء الدولة و استكمال السيادة، حيث تحقق الاستقلال عن فرنسا في 20 مارس 1956 و أصبحت تونس ملكية دستورية على رأسها باي تونس محمد الثامن الأمين ملكاً على البلاد. غير أن رئيس الوزراء الحبيب بورقيبة ألغى الملكية في 1957 و أسس حكومة جديدة بزعامة حزب الدستور الجديد، وقد كلف الحبيب

¹ السياسة العامة للتربية في الجزائر، في:

بورقيبة برئاسة الدولة في انتظار الإعلان عن الدستور وقد جرت أولى الانتخابات الرئاسية والتشريعية اعتمادا على الدستور الجديد يوم 8 نوفمبر 1959 فازت فيها الجبهة القومية برئاسة الحبيب بورقيبة الذي منح سلطات واسعة في إطار نظام جمهوري رئاسي. لقد ارتكزت الجمهورية التونسية الجديدة على المستويات التالية¹:

1- المستوى السياسي :

الإدارة : من خلال بعث إطار إداري جديد منذ جوان 1956 تمثل في إنشاء الولايات والمعتمديات والاستغناء عن خدمات الموظفين الفرنسيين (12000 موظف بين 1956 و 1960) وتعويضهم بموظفين تونسيين .

السياسة الخارجية : وذلك بالانخراط في منظمة الأمم المتحدة يوم 12 نوفمبر 1956 وفي جامعة الدول العربية يوم 1 أكتوبر 1958 ويعتبر تولى المنجي سليم لرئاسة الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم 20 سبتمبر دليلا على إشعاع تونس دوليا .

الأمن والقضاء : وذلك ببعث وحدات الشرطة والحرس الوطني يوم 18 أبريل 1956 كما بعثت نواة الجيش الوطني يوم 24 جوان 1956 لضمان سلامة البلاد ووحدها كما تم حذف المحاكم الفرنسية وتعويضها بمحاكم تونسية بداية من 1 جويلية 1957.

2- المستوى الاقتصادي :

السعي إلى الحد من التبعية الاقتصادية وذلك بتأميم القطاعات الحيوية بين 1956 و 1960 وقد شمل السكك الحديدية والمواني وإنتاج وتوزيع المياه والكهرباء والغاز. مع بعث دواوين وشركات جديدة منها شركة فسفاط قفصة وديوان الصناعات التقليدية وديوان الصيد البحري وديوان المناجم وديوان الأراضي الدولية وديوان الزيت ... أيضا الاستقلال النقدي أي الجهاز البنكي بإحداث البنك المركزي التونسي في 18 سبتمبر 1958 وبعث وحدة نقدية تونسية وهي الدينار في 18 أكتوبر 1958

¹ :تونس ما بعد الاستقلال، في:

وكذلك الانخراط في صندوق النقد الدولي والبنك العالمي في أبريل 1958 كما بعثت 3 بنوك شبه حكومية مثل الشركة التونسية للبنك والبنك القومي الفلاحي والشركة القومية للتمويل مهمتها تمويل المشاريع الاقتصادية الكبرى وتقليص هيمنة البنوك الفرنسية بالسماح لفروع بنكية أجنبية أخرى بالتركز. إضافة إلى ذلك تم إلغاء الوحدة الجمركية مع فرنسا يوم 20 أوت 1959 وإنشاء دواوين دولية للقيام بالتوريد والتصدير كديوان التجارة وديوان الحبوب وديوان الزيت.

و قد استكملت تونس سيادتها عندما تحقق ما يلي¹:

3- الجلاء العسكري : رفضت فرنسا مطلب الحبيب بورقيبة المتمثل في جلاء القوات الفرنسية عن التراب التونسي في جوان 1956 وذلك لحماية مصالحها المتبقية بتونس ومحاصرة الثورة الجزائرية حيث تعددت الاعتداءات الفرنسية على القرى التونسية المحاذية للحدود مع الجزائر منها أحداث ساقية سيدي يوسف يوم 8 فيفري 1958 خلفت 68 شهيدا تونسيا وجزائريا أغلبهم من الأطفال قوبل باحتجاج شديد من قبل الحكومة التونسية حيث نشبت بين القوات التونسية والفرنسية معركة رمادة بالجنوب في ماي 1958 كما قبلت فرنسا بعد الشكوى التونسية الى مجلس الأمن إجلاء قواتها عن التراب التونسي باستثناء قاعدة بترت التي جددت فيها معركة الجلاء خلال جويلية 1961 أوقعت ضحايا تونسيين لعدم تكافؤ موازين القوى لكن أمام الصمود الشعبي ومساعي السياسة الخارجية وتعاطف الأقطار العربية والآسيوية والإفريقية رضخت فرنسا للأمر الواقع وأجلت قواتها من القاعدة في 15 أكتوبر 1963 .

4- الجلاء الزراعي: قدرت مساحة الأراضي التي استقر بها المعمرون الفرنسيون بـ 850000 هكتار سنة 1956 وهي أكثر أراضي البلاد خصوبة تم السعي إلى استرجاعها على مرحلتين الأولى تمثلت في شراء جزء من هذه الأراضي باتفاق مع فرنسا وضم أراضي المعمرين الفارين بعد أحداث بترت إلى أملاك الدولة . والثانية تمثلت في إصدار قانون 12 ماي 1964 القاضي بتأميم ما تبقى من أراضي المعمرين الأوربيين بتونس قوبل برد فرنسي تمثل في إلغاء المساعدات التي التزمت بتقديمها إلى تونس والامتناع عن شراء فوائض الإنتاج الفلاحي ولم تستأنف هذه المساعدات إلا سنة 1968.

¹ :بناء الدولة الوطنية في تونس، في:

5- تحديث المجتمع التونسي:

تمت هذه العملية من خلال تطوير التعليم و توحيدده، حيث لم يكن قبل الاستقلال التعليم موحدًا حيث تنوعت البرامج و المدارس كما رأينا سابقًا، و عليه صدر قانون 4 نوفمبر 1957 الذي نص على توحيد التعليم و تعصيره و مجانيته و نشره كما ألغيت المرحلتان الابتدائية و الثانوية من التعليم الزيتوني و أصبحت مرحلته العليا من مشمولات كلية الشريعة و أصول الدين التابعة للجامعة التونسية التي تأسست في مارس 1960 كما رصدت ميزانية ضخمة للتعليم قدرت بربع ميزانية الدولة مما ساهم في تراجع نسب الأمية و تثقف السكان¹.

لقد تسارع نسق التوحيد بشكل غير مسبوق، حيث سقط من التعليم طرفاه: التعليم الفرنسي الصرف و التعليم العربي الصرف و توحد التعليم الحكومي كله في الازدواجية. وبذلك أصبحت الازدواجية اللغوية و الثقافية هي الخيار الرسمي التعليمي و الثقافي و الإداري للدولة التونسية الناشئة. و يمكن القول أن إصلاح 1958 ظل الإطار التشريعي و المرجعي لجميع الإصلاحات اللاحقة. و لهذا يجدر بنا الوقوف الآن على مزايا إصلاح 1958².

أبرز هذه التغيرات هو توحيد التعليم الابتدائي في صنف و حيد تدوم مدته ستة سنوات، و ينتهي بالإحراز على شهادة انتهاء الدراسات الابتدائية أو باللاحق بالتعليم الإعدادي أو الثانوي. أما على مستوى التعليم الثانوي فقد أسفر الإصلاح على ظهور صنفين يدوم إحدهما ثلاثة سنوات و سمي بالتعليم الإعدادي و يدوم الآخر ستة سنوات و هو التعليم الثانوي. كما تفرّع التعليم الثانوي إلى سنة مشتركة تفتتح على ثلاثة فروع هي: فرع التعليم الفني و فرع التعليم الاقتصادي و فرع التعليم العام³.

تمت المراجعة الأولى لإصلاح 1958 سنة 1967 و لم تتوقف عمليا إلا في أواسط السبعينات مارة بطورين سمي أولهما إصلاحا و استمر من 1967 إلى 1969 و سمي الثاني إصلاح الإصلاح. ففي الإصلاح الأول الغي التعليم الإعدادي ذو الثلاث شعب و الثلاث سنوات في أكتوبر 1967 و وقع تعويضه بتعليم مهني يدوم أربعة سنوات و يشتمل بدوره على ثلاثة شعب صناعية و تجارية و فلاحية⁴.

¹ بناء الدولة الجديدة و تحديث المجتمع في تونس، في:

كما أضيفت سنة سابعة للشعب الطويلة بعد أن كانت في إصلاح 1958 ستة سنوات. وتم في نفس الفترة إلحاق التعليم الفلاحي بكتابة الدولة للتربية، وإخراج شعبة الترشيح من الفرع العام. أما في "إصلاح الإصلاح" تم انفصال التعليم المهني عن التعليم العام، وانقسام التعليم الثانوي إلى مرحلتين: الأولى مشتركة وتدوم ثلاثة سنوات وتنتهي بمؤهل تقني، والثانية أربعة سنوات وتنتهي باجتياز امتحان البكالوريا¹.

تدرج إصلاحات 1967 إلى 1970 في إطار نزعة توحيد هياكل الإشراف بما يتماشى وسياسات التخطيط التي بدأت الدولة التونسية الناشئة في انتهاجها منذ 1962 فمركزية التخطيط الاقتصادي والاجتماعي باتت تقتضي تجميع هياكل تكوين الإطارات تحت إشراف موحد حتى يتيسر تنسيق التكوين مع احتياجات المخطط العام. ويرجع إلحاق التعليم الفلاحي بالذات بوزارة التربية إلى أهمية القطاع الفلاحي في التخطيط الاقتصادي العام وإلى إرادة تدعيم القطاع التعاضدي بتوفير الإطار اللازم لتسييره، لذلك ارتبطت عملية الإلحاق بالتجربة التعاضدية في القطاع الفلاحي وانتهت بانتهائها. ففي شهر ماي 1970 ألحقت المدارس الفلاحية بوزارة الفلاحة. ومنذ ذلك الحين اتضحت معالم المنظومة التعليمية التونسية واستقرت على ما تبدو عليه الآن مع بعض التعديلات الجزئية².

وهكذا يمكن أن نخلص إلى الملاحظات التالية: بعد حالة التشتت والتمايز القومي والديني والاقتصادي التي اتسم بها الوضع التعليمي في تونس إبان الحماية، برزت حتمية التوحيد بانتهاء أسباب الفرقة والتشتت، فجاء إصلاح 1958 ليضع الإطار التشريعي والإداري والتنظيمي لنظام التعليم التونسي الموحد. وقد هيأ هذا الإصلاح لإصلاحات 1967 - 1969 التي اتخذت محتوى اجتماعيا وتربويا وسياسيا واضح المعالم.

¹ :تطور التعليم في تونس من التعدد إلى التوحيد، في:

ثالثا : بناء الدولة المغربية بعد الاستقلال:

بعد حصول المغرب على الاستقلال سنة 1956 و استكمال وحدته الترابية عمل على تأسيس دعائم الدولة بمختلف قطاعاتها. حيث بادر محمد الخامس ببناء الدولة المغربية الحديثة مرتكزا على مجموعة من القرارات من بينها¹:

1- على المستوى السياسي و العسكري:لقد بين خطاب العرش لسنة 1955 نوع النظام

السياسي الذي ستتبناه الدولة المغربية بعد الاستقلال، و الذي يتمثل في نظام ديمقراطي في إطار ملكية دستورية تقوم على مبدأ الانتخاب و فصل السلطات و كذا الاعتراف بالحريات الفردية و الجماعية لترسيخ الديمقراطية، وضعت مجموعة من القوانين:قانون الحريات العامة في نوفمبر 1958، قانون الانتخابات في سبتمبر من نفس السنة، و القانون الأساسي للمملكة سنة 1961 و تكوين أول حكومة مغربية، و تقسيم البلاد إلى عمالات و أقاليم و جهات.

دخل المغرب المرحلة الدستورية بالتصويت على أول دستور للمملكة سنة 1962، و الذي رسخ نظام الملكية الدستورية و لدواعي خاصة بالتطور السياسي للبلاد تم تعديله سنة 1970 و 1972، حيث تم إقرار إمارة المؤمنين و تعزيز سلطات الملك.

عمل المغرب على تكريس السيادة المغربية، باعتبارها من أهم مقومات الدولة، بمطالته بجلاء القوات الأجنبية من القواعد المغربية، و ذلك ما تم بالفعل ما بين سنتي 1961 و 1963.

أما عسكريا فقد تم تأسيس القوات المسلحة الملكية و قوات الأمن

2- على المستوى الاقتصادي: إقامة نظام جمركي و سك عملة مغربية و خلق وزارة للمالية و

تأسيس عدة أبناء منها بنك المغرب.فيما يخص التوجه الاقتصادي فقد اختار المغرب التوجه الليبرالي، لكن مع لعب الدولة دورا كبيرا في الاقتصاد من خلال تنظيمه و توجيهه، و بسبب غياب الرأسمال الأجنبي و ضعف الاستثمارات المحلية في أواخر الستينيات و بداية السبعينات ازدادت الاستثمارات العمومية كما تم تشجيع الخواص المغاربة من خلال قرار مغربة الاقتصاد الوطني لسنة 1973، نهجت الدولة خلال هذه الفترة سياسة المخططات الاقتصادية، التي وضعت لها أهداف محددة و متنوعة، لكن التوجه العام للسياسة الاقتصادية يبقى هو إعطاء الأولوية للقطاع الفلاحي.

¹ المراحل الكبرى لبناء المغرب بعد الاستقلال، في:

3- على المستوى القضائي: بعد حصول المغرب على الاستقلال بادرت الحركة الوطنية إلى إعادة

النظر في التنظيم الاستعماري للقضاء خاصة ما كان يسمى المحاكم العرفية حيث تم إلغاؤها. قسمت الظواهر التي صدرت خلال هذه المرحلة القضاء إلى محاكم عادية سنة 1956م، محاكم عصرية، محكم الشغل ظهير 29 أفريل 1957 م، ثم المجلس الأعلى 27 أوت 1957م. وانتظمت هذه المحاكم في عدة هيئات قضائية، وهي كالتالي¹:

- محاكم الحكام المفوضين (قضاء فردي)
- محاكم إقليمية (تأخذ بنظام القضاء الجماعي)
- المحكمة العليا
- محاكم القضاء الشرعي: تتكون من محاكم ابتدائية واستئنافية ومحكمة عليا للنقض.

4- على المستوى الاجتماعي و الثقافي: لقد عملت الحكومة الجديدة على توفير السكن

و التشغيل و العلاج و التعليم للقضاء على الأمية و تقوية التماسك الاجتماعي. و سنتطرق بتعمق للتعرف على النظام التربوي و التعليمي المغربي غداة الاستقلال.

السياسة التعليمية المغربية في ظل الاستقلال:

لقد شغلت قضية التعليم بالمغرب اهتمام الحكومة الجديدة منذ فجر الاستقلال نظرا لما أقدم عليه المستعمر من اهتمام ملحوظ لتهديم المرتكزات الثقافية من دين و لغة و انتماء اثني . ارتكز النظام التعليمي المغربي غداة الاستقلال على أربعة مبادئ أساسية و هي: التعميم، التوحيد، التعريب و المغربية².

لقد احتل مطلب تعميم التعليم مكانة أولية بين المطالب الملحة التي عبّرت عنها الحركة الوطنية المغربية، لاسيما أن الحماية لم تفلح سوى في إرساء نظام مدرسي نخبوي وموالم لها بشكل علني. بعد الاستقلال، جرفت فورة من الحماس الشعبي المناصرة للتعليم جميع الشرائح الاجتماعية. فوثيقة الاستقلال تم توقيعها يوم 2 مارس 1956، وفي أكتوبر من السنة نفسها، التحق بالمدرسة عدد من الأطفال يضاعف بخمس مرات نظيره الذي لم تفلح الحماية في القيام به في ظرف سنة واحدة من قبل³.

¹ :محمد بن حساين، تاريخ التنظيم القضائي المغربي، الطبعة الأولى، الرباط، 2006، ص 19.
² :أمال الحسين، "الأسس الأيديولوجية و السياسية للسياسة التعليمية التطبيقية بالمغرب"، في:

كما تم تعريب جزء من حصص التعليم العمومي، كانت مخصصة من قبل للغة الفرنسية، كما تم تنظيم تداريب بيداغوجية للمعلمين قصد تمكينهم من تدريس المواد العلمية باللغة العربية. لتكوين هيئة التدريس، كان لابد من التعاون مع مصر والعراق، فتكلفت الأولى بإعدادية في مدينة الرباط وأطرت شعبة لتكوين أساتذة الرياضيات والعلوم باللغة العربية، للسلك الأول من التعليم الثانوي، فيما أسست الثانية معهدا في مدينة الدار البيضاء موجها لتكوين أساتذة التاريخ والجغرافيا. كما المجلس الوطني الأعلى للتربية الوطنية، في 20 أكتوبر 1962، أن تكون اللغة العربية هي لغة التعليم بالمدرسة بما هي نموذج وطني مغربي، وذلك في المواد الأدبية والاجتماعية والعلمية والرياضيات على السواء. و أكد في الوقت ذاته على ضرورة اعتبار اللغات الأجنبية وتعليمها، بوصفها لغات ثانوية، لدعم اللغة العربية.

المطلب الثاني: دور العامل الخارجي في خلق الواقع الثقافي المغربي بعد الاستقلال

لم تتخلى فرنسا عن منطقة المغرب العربي حتى بعد الاستقلال التام عنها، ولم تكف يوما عن اعتبارها منطقة نفوذ لها بحكم الجذور التاريخية التي ربطتها قديما، وقد جندت لذلك العديد من الوسائل بكل الأبعاد لضمان بقاء هذا الارتباط ببلدان المغرب العربي الثلاث. و يعد البعد الثقافي من أهم الأبعاد التي ساعدت فرنسا على استمرار تواجدها بالمنطقة، ففرنسا ترتبط بالمنطقة المغاربية بصلات داخلية و خارجية وثيقة لا يمكن تجاوزها بسهولة و قد أكد الرئيس الفرنسي السابق " شارل ديغول" على أهمية العناصر الثقافية و الاجتماعية في تدعيم مكانة فرنسا في المنطقة المغاربية حين دعا الفرنسيين (مع استقلال الجزائر عام 1962) إلى الإبقاء على الفرانكفونية (ناطقة بالفرنسية) إن أرادوا الحفاظ على تدفق بترولها في قنواتهم و هيمنة سلعهم على سوقها فتسعى فرنسا على هيمنة النخب الناطقة بالفرنسية على مراكز القرار. انطلاقا من قاعدة " أن خير مكان يحافظ على مكانة فرنسا في المغرب العربي هم المغاربة الناطقون بالفرنسية و المؤمنون بما يسمى بقيم الحضارة الفرنسية و على رأسها العلمانية"¹.

اختلفت المدة الاستعمارية لكل من تونس، الجزائر و المغرب و يرجع ذلك إلى أسباب حمة حدث أن تم تناوؤها في المبحث السابق، و بعد أن حصلت هذه الدول على الاستقلال التام لم يمنع هذا فرنسا من البحث عن صيغة تجعل لها عين حارسة في منطقة المغرب العربي، حيث تمكنت فرنسا من

¹ : Moatassime Ahmed, Langage du Maghreb face aux enjeux culturels euro- méditerranéens, l'Harmattan, novembre 2006, p 57.

إقامة علاقات اقتصادية مع دول المغرب العربي، مما سهل عليها لأن تحتفظ بدورها الثقافي لنشر الثقافة و الحضارة الفرنسية في هذه الدول بعيدا عن منظور التسلط و الهيمنة في ظل الحوار بين الحضارات. حيث اتبعت مبدأ التعاون بعد الاستقلال، القائم على مبادئ التبعية، و قد ظهر ذلك من خلال ما نصت عليه الاتفاقيات الاقتصادية و المالية المبرمة بين فرنسا و دول المغرب الثلاث المستقلة على حق تملك الفرنسيين المقيمين فيها و حق حماية مكاسبهم. و هذا ما سهل من انتشار و تداول العملة الفرنسية و استخدامها كمرجعية نقدية مما يعود بفائدة على فرنسا. كما ركزت فرنسا منذ تأسيس السوق الأوروبية المشتركة على دعم الدول المغاربية المستقلة و تقديم العون المالي لها مقابل شروط تجعلها دائما تحت نظرها من أهمها تحديد قائمة المبادلات التجارية التي تنقص من قيمة المنتج المغاربي لحساب المنتج الفرنسي، هذا من الناحية الاقتصادية و المالية، أما من الناحية الثقافية فتعمل فرنسا بكل جهدها من أجل نشر ثقافتها و حضارتها في منطقة المغرب العربي من خلال الفرانكفونية و التبادل في مجال التعليم العالي أي على مستوى الجامعات و المعاهد و كذا على مستوى المراكز، و من خلال النشاطات الثقافية كالحفلات و المهرجانات و المعارض الفنية.

يعد الامتداد التاريخي بين فرنسا و دول المغرب العربي الثلاث المدخل الأساسي في ترسيخ سياستها الثقافية بالمنطقة، حيث تعد مرحلة الاحتلال ذات أهمية بالغة لأنها أنتجت نخب سياسية و اقتصادية فرانكفونية و هذا ما ساعد على بروز الواقع الثقافي للمنطقة حسب ما ترغب به فرنسا. و السبب في ذلك تبني فرنسا استراتيجية ثقافية استنادا لهاته العوامل، فقد أدركت أن للهوية دور كبير في التغيير السياسي، فالفرد أساسا يتأثر في تشكيل هويته بالمجتمع الذي يعيش فيه أي المبادئ، المعتقدات، اللغة و هي التي تشكل هويته التي تظهر من خلال اتخاذ القرارات على المستوى الدولي¹. حيث عملت على جعل الهوية المغاربية، هوية فرنسية فقد حرصت منذ الاستعمار على نشر لغتها و جعلها أولى من اللغات الوطنية مما أدى إلى تشويه الهوية الأصلية، و هو ما يثبت أن اللغة احد أهم المعايير الهوياتية، فقد اعتمدت فرنسا في سياستها على تزويد هاته البلدان بالمعلمين و الخبراء و الفنيين

¹: Jean jaque roche. Op.cit.pp40

الفصل الثاني: مراحل تطور الأمن الثقافي في بلدان المغرب العربي

و تقديم المنح الدراسية في المعاهد و الجامعات الفرنسية لربط هاته الدول نفسيا و ثقافيا و اقتصاديا بفرنسا. في محاولة لإتباعها بها و تعذر انفكاكها عنها¹.

و قد اعتمدت فرنسا لنجاح سياستها الثقافية على الأسس التالية:

اللغة (نشر الفرانكفونية): و ذلك من خلال نشر اللغة الفرنسية على حساب اللغات الوطنية

(العربية). من خلال دعم التقارب الفرنسي المغاربي من خلال منظمة الفرانكفونية هذه الحركة

الفكرية التي تهدف إلى دعم وجود و بقاء القيم الفرنسية في الدول التي كانت تستعمرها،

و ذلك من خلال دعم الوجود اللغوي الفرنسي .

القيم : و ذلك من خلال المحاولة في تغيير مبادئ و قيم و طرق تفكير شعوب هاته المجتمعات

و قبول النموذج الفرنسي و القيم الفرنسية و ذلك عن طريق المساعد في التأطير و التكوين

و البعثات العلمية و دعم الأدوات الإعلامية.

الدين : يبقى هذا من خلال المحاولات الخجلة و المستترة الفرنسية للتصير و ذلك خصوصا في

دول المغرب العربي.

تعد مرحلة الاستعمار المنطلق الأساسي للسياسة الثقافية الفرنسية في المغرب العربي و التي هدفت

أساسا إلى صبغ المنطقة و جعلها منطقة ذات ثقافة فرنسية، وواصلت فرنسا سياستها الثقافية حتى بعد

استقلال هاته الدول، فقد كان التعاون الثقافي و التقني بين فرنسا و الدول المغاربية حيث كانت

الفرصة سانحة في بدايتها إذ كانت هذه الدول تعاني الضعف و همّ بناء دولة جديدة.

عملت فرنسا على صياغة سياستها الثقافية في شكل تعاون و تبادل بين الحضارتين و هو ما

اصطلح عليه تسمية التعاون الفرنسي- المغرب العربي. فعملت على ضبطه في شكل اتفاقات قانونية إلا

أنها مجحفة في حق دول المغرب العربي، فكانت تحجب حقيقة الهجوم الذي تمارسه الثقافة الفرنسية

السائدة على البناء الثقافي في هذه المنطقة، فمجالات الحضور الثقافي الفرنسي في دول المغرب العربي

أخذت عدة صيغ عن طريق الاختراق الذي تمارسه وسائل الإعلام المكتوبة و المسموعة وكذلك

الكتب و المطبوعات الفرنسية التي تغزو أسواق المنطقة². وقد ساعد القرب الجغرافي بين فرنسا

و المغرب العربي على تسهيل تدفق الثقافة الفرنسية في المنطقة وفق مخطط السياسة الثقافية الفرنسية

والتي تعتمد الآليات التالية:

¹: حسان بوقنطار، السياسة الخارجية الفرنسية إزاء الوطن العربي منذ عام 1976، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1987، ص 98.
²: المرجع نفسه، ص 100.

➤ نشر الفرانكفونية:

ففي ظل النظام الجديد تقدم الفرانكفونية نفسها بديلا حضاريا و مشروعاً سياسياً و ثقافياً و اقتصادياً ترعاه دولة فرنسا و تسعى إلى توظيفه كسلاح تشهره لتضمن بقاءها على الساحة الدولية لإنعاش اقتصادها و تعزيز موقعها في وجه الأنجلو-أمريكية¹، و يحتل نظام التربية و التعليم ضمن هذا التوجه موقعا أساسياً كخطة تعتمد عليها فرنسا لبسط فرانكفونيتها و لذلك فإن من أهم مصالحها الحفاظ بكل الوسائل للنهوض بلغتها و حماية ثقافتها في مختلف محمياتها و مستعمراتها الإفريقية التي تعتبر امتداداً لوجودها²، و يمكن التأكيد أن منطقة المغرب العربي على اعتبار أنها مستعمرات فرنسية سابقة كانت الأكثر تأثراً بهاته السياسة .

وهو ما يثبت أن السياسة الفرنسية بهاته المنطقة هي سياسة هيمنة لا تعاون من خلال الأهداف الفرنسية في نشر الفرانكفونية و طمس اللغة العربية للهيمنة على اللغة و التعليم و الجرائد و كل وسائل الإعلام و بالتالي الهيمنة على عقول هاته الشعوب.

يعود مصطلح الفرانكفونية إلى عالم الجغرافيا الفرنسي أونزيم ركلو onesime reclus، الذي وضعه في أواخر القرن التاسع عشر 1880، للدلالة على الدول التي تستعمل اللغة الفرنسية ، ثم صار فيما بعد دالاً على مجموع المستعمرات الفرنسية التي انسحبت منها فرنسا و تتحدث هذه المستعمرات اللغة الفرنسية كلياً أو جزئياً، و في عام 1906 تم تأسيس الجمعية العالمية للكتاب باللغة الفرنسية، ثم توالى تأسيس الجمعيات و الاتحادات حتى جاء عام 1962، عندما نشرت مجلة "الفكر" الفرنسية عدداً خاصاً عن "اللغة الفرنسية لغة حية"، و كان بمثابة البيان الأول للفرانكفونية، ثم توالى تأسيس الجمعيات للدفاع عن اللغة الفرنسية³، و في 1970 تأسست الفرانكفونية باسم جديد وهو "وكالة التعاون الثقافي و الفني للتبادل الثقافي مع الحكومات"، و اعتبر يوم تأسيسها 20 مارس اليوم العالمي للفرانكفونية . وتضم المنظمة خمساً وخمسين دولة، منها ثلاث دول تشغل صفة مراقب وهي (بولندا وسلوفينيا

<http://almoslim.net/mode/84748>

¹ : يحي أبو زكرياء، الغارة الفرانكفونية على المغرب العربي:

² : عبد الناصر المقرري، الفرانكفونية و محنة اللغة العربية بالمغرب، مجلة البيان، 2008/1/26

³ : "ما هي الفرانكفونية" في :

وليتوانيا).. وتجتمع هذه الدول جميعها على رابطة اللغة المشتركة، وهي اللغة الفرنسية التي يبلغ عدد الناطقين بها من سكان دول المنظمة 500 مليون شخص منهم 175 مليوناً تعد الفرنسية لغتهم الأولى، وتبلغ ميزانية المنظمة الفرانكفونية 150 مليون أورو سنوياً.

و تعد بعض دول المغرب العربي أعضاء في هذه المنظمة، حيث تعتبر تونس من أهم الأعضاء حيث يعتبر الرئيس التونسي السابق الحبيب بورقيبة أحد المؤسسين للمنظمة، المغرب أيضاً عضو في المنظمة منذ ديسمبر 1981، أما الجزائر فهي حتى الآن لم تنضم إلى المنظمة الفرانكفونية بسبب الحساسيات التاريخية مع فرنسا، لكنها ومع ذلك فهي تشارك في القمم بصفة مدعو خاص من طرف فرنسا عامي 2002 و 2004.

لقد أشار تقرير إحصائي صدر في جويلية 1999 مؤشر عليه من طرف أمانة وكالة ما بين الحكومات للفرانكفونية خلص واضعوه إلى إعادة تأكيد نقطة أساسية وهي أن الجزائر تبقى الدولة الثانية بعد فرنسا من حيث الحجم الديمغرافي للنخبة الفرانكفونية التي تحمل جنسية البلد أي قبل دولة أوروبية و جارة أيضاً كبلجيكا التي تتخذ من الفرنسية لغتها الرسمية، ولعل هذه المفارقة هي التي دفعت المؤسسات و الهيئات الثقافية و التعليمية الفرانكفونية إلى الإصرار على توسيع برامجها المختلفة وفق مسارين اثنين:

أولاً: الارتكاز على المصالح الثقافية الرسمية التابعة للسفارة الفرنسية بهاته البلدان كوسيط و نقطة وصل أساسية تنفذ هذه البرامج ميدانياً.

ثانياً : محاولة تخطي و تجاوز الهيئات الحكومية الرسمية بالتعامل مباشرة مع مؤسسات المجتمع المدني و المدارس الخاصة و دور النشر و مراكز البحث و أيضاً الباحثين و الأساتذة كشخصيات فردية¹. و تحاول فرنسا عن طريق إنشاء اتحاد دول البحر الأبيض المتوسط أن تتزعم هذا الاتحاد، وبالتالي تتمكن من نشر اللغة و الثقافة الفرنسية.

ويجدر بنا أن نبين أن المنظمة الدولية للفرانكفونية (OIF) التي حلت مكان وكالة التعاون الثقافي والتقني (ACCT) أصبحت بمثابة الأمانة العامة لمختلف المؤسسات الفرانكفونية من ناحية وضع الخطط و البرامج، ومتابعة تنفيذها و الإعداد لمؤتمرات القمة، وينضوي تحتها في الوقت الحالي الهيئات التالية²:

¹ : الخبر الأسبوعي، العدد من 03 إلى 09 ديسمبر 2001، ص 06.
² : علي محافظة، فرنسا و الوحدة العربية 1945-2000، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008، ص 409.

— الوكالة الجامعية للفرانكفونية (AUF)، وتشمل أكثر من 400 مؤسسة جامعية ومدارس كبيرة ومعامل ومراكز أبحاث.

— الجامعة الدولية الفرنسية للتنمية الأفريقية "جامعة سنجور" بمدينة الإسكندرية المصرية، وتهدف إلى إعداد الكوادر العليا ولاسيما في البلاد الأفريقية.

— الجمعية الدولية لرؤساء البلديات في البلدان الفرانكفونية.

— قناة التلفزيون الدولية الفرانكفونية (TV5) الموجهة إلى أكثر من 300 مليون مشاهد فرانكفوني.

وقد استطعت فرنسا من خلال سياسة الفرانكفونية أن تفرض هيمنتها في المجال الثقافي، و يقول ذلك كاتب إفريقي هو **نغوي واثيرونغي ngugi wa thiong** حين انتقد الهيمنة الذهنية للفرانكفونية على الشعوب الإفريقية: "أن الهيمنة على لغة شعب من قبل لغات الأمم المستعمرة تعد عاملا حاسما في الهيمنة على العالم الذهني للشعب المستعمر" فحتى و لو تعلن المنظمة الفرانكفونية التنوع اللغوي عبر العالم فان فرنسا ترفض هذا التنوع بداخلها¹.

➤ التأطير البشري و المادي :

فقد اعتمدت فرنسا في بادئ الأمر سياسة المساعدات في التأطير و التكوين، من خلال بعث الأطر الرسمية لضمان سير مختلف المرافق في فترة ما بعد الاستقلال خصوصا في إطار التعليم و هو ما ساعد على تكوين الطلبة المغاربة تكوين فرنسي². و ذلك من خلال 3 طرق :

- إما وضع أعوان فرنسيين رهن إشارة هذه البلدان للقيام ببعض المهام بشكل مباشر، و هو النوع الذي كان سائدا خصوصا في بداية الاستقلال مع الفقر الذي كانت تعرفه مختلف الإدارات في هذه البلدان.

- المساهمة في تكوين الأطر الوطنية التقنية و ذلك إما في المكان عينه من خلال المساعدة على إنشاء و تسيير بعض المؤسسات مثل: المعهد الجزائري للنفط أو المدارس الوطنية للإدارة في هذه البلدان.

- البعثات : و تتم في الاتجاهين سواء من خلال الحضور بواسطة مؤسسات فرنسية متمركزة في هذه البلدان بغية نشر التعليم و الثقافة و تتولى أساسا إدارة و تسيير المؤسسات التعليمية و المراكز الثقافية في البلدان التي توجد فيها مثل **CCF**، أو من خلال المنح العلمية للطلبة الجزائريين بفرنسا،

¹: علي محافظة، فرنسا و الوحدة العربية 1945-2000، مرجع سبق ذكره، ص ص 411-412 .

²: حسان بوقنطار، السياسة الخارجية الفرنسية إزاء الوطن العربي منذ عام 1976، مرجع سبق ذكره، ص 98.

فكل هذا ساعد و لازال يساعد على نشر القيم الفرنسية و إعطاءها بعد عالمي أو حتى إقليمي و قبول النموذج الفرنسي¹.

كما أن فرنسا تسعى إلى اعتماد هدف آخر يهدف للتصير من خلال المحاولات الخجلة و المستترة الفرنسية للتصير، و هو الحال الذي تعرفه خصوصا دول المغرب العربي. حيث لا نفيء نسمع و نقرأ في الجرائد أنه شاب من ولاية كذا قد تخلى عن ديانتة الإسلامية لصالح المسيحية خلسة نتيجة انخراطه في منظمة تدعو للتصير في دول المغرب العربي و التي تمارس نشاطا غير مشروع في هذه الدول، و قد تمكنت فرنسا من خلال المنظمة الفرانكفونية من إيجاد الإطار التنظيمي لتحقيق سياسة ثقافية بالمنطقة.

➤ الإعلام:

تعمل فرنسا في هذا المجال من خلال دعم الأدوات الإعلامية لتغذية المنظومة الثقافية المغاربية بالبرامج الإذاعية التلفزيونية الإعلامية المسرحية و الموسيقية الفرنسية، لتطعيم الحس الثقافي الفرنسي عند سكان المغرب العربي، بصفة تعطي مصداقية أكبر للمشروع الثقافي و الحضاري الذي تدافع عنه النخبة السياسية الحاكمة، مما سوف يدعم بالضرورة خطوط نجاح المشروع الثقافي الفرنسي في المغرب العربي، و الذي لا يفصل حتما بين كسر اللغة العربية و التحطيم النفسي للمغاربة اتجاه حضارتهم و دينهم. و من بين أهم تلك القنوات نجد القناة التلفزيونية TV5 و الراديو الناطق باللغة الفرنسية France Maghreb، والذي يعد دليلا واضحا على نشر الثقافة الفرنسية و نمط الحياة السائد فيها².

لقد عملت فرنسا منذ دخولها دول المغرب العربي على سيادة اللغة الفرنسية على اللغة العربية، حيث حتى و بعد استقلال هذه الدول ظلت اللغة الفرنسية هي سيدة الموقف، حيث أن أكبر الصحف يباعا ناطقة بالفرنسية، و عدد مشاهدي القنوات الفرنسية تجاوز 70%، حسب ما تذهب إليه دراسة فرنسية و التي أوصت بوضع خطط ميدانية لربط سكان المغرب العربي بوسائل الإعلام المرئية.

➤ هناك أيضا حوالي الخمسة ملايين من المسلمين الذين يعيشون في فرنسا و الذين تحولوا إلى مواطنين في دولتها. والتي تنظر لفرنسا على أنها الوجهة الوحيدة لحل مشاكلهم الاجتماعية

¹ : حسان بوقنطار، السياسة الخارجية الفرنسية إزاء الوطن العربي منذ عام 1976، مرجع سبق ذكره ، ص102.

² :سالم برفوق، "الأبعاد الإستراتيجية للسياسة الثقافية الفرنسية في المغرب العربي"، العالم الإستراتيجي، الجزائر، مركز الشعب للدراسات الإستراتيجية، العدد3، 2008، ص 3.

الفصل الثاني: مراحل تطور الأمن الثقافي في بلدان المغرب العربي

و المادية، و لضمان مستقبلهم¹. هذه النخبة الناطقة بالفرنسية و الآخذة بعادات و تقاليد دولة المهجر، تساهم و بشكل كبير في خلق نخبة موالية لفرنسا.

➤ لم تكتف فرنسا في إطار مشروعها الحضاري الرامي إلى فرنسة المغرب العربي عند هذا الحد بل ذهبت تخلق آليات أخرى تخدم دائما مشروعها، فابتكرت بما يسمى "بعمليات التوأمة" بين المدن المغاربية و المدن الفرنسية في إطار التعاون اللامركزي الذي يعتبر وسيلة للخروج من المعتاد نحو إطار اللامركزية مع دول المغرب العربي و تطبيق أسلوب جديد للتعاون يدمج كل فواعل المجتمع المدني على اختلافهم و تنوعهم، و يشمل المجال القضائي، الصحي، التكنولوجي و خاصة الثقافي، وتظهر أهمية هذه العملية من خلال تعيين مسؤول مكلف بالتعاون اللامركزي في كل سفارة فرنسية في الخارج².

تعود جذور التعاون اللامركزي إلى عملية التوأمة التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية، و ذلك لإقامة روابط الصداقة بين الشعوب، خاصة الشعب الألماني، ثم خلال الحرب الباردة مع بلديات من أوروبا الشرقية، فكانت مرحلة تطور التوأمة في أوروبا كإطار أساسي للتبادلات الثقافية حيث بدأت بالمجال الثقافي³. مما يدل على أن عملية التوأمة ليست حديثة المنشأ بل قديمة ترجع جذورها إلى الحرب العالمية الثانية لكنها تبقى استعمارية المنشأ و الفكرة.

➤ لا تقتصر السياسة الفرنسية في منطقة المغرب العربي على الشكل الفردي لها فقط، بل تعتمد أيضا سياسة جماعية إي في إطار الإتحاد الأوربي، من خلال المشاريع الموجهة للمنطقة، كمشروع الشراكة الأورو-متوسطية الموجه للمتوسط ككل. بمن فيه منطقة المغرب العربي التي تعد ذات أهمية بالغة بالنسبة للدول الأوربية المشاطئة للبحر الأبيض المتوسط و خاصة فرنسا، و في هذا الصدد يتضمن مشروع الشراكة الأورو-متوسطية ثلاث سلات، السياسة، الاقتصادية و السلة الثقافية التي تتضمن الشراكة في المجالات الاجتماعية و الثقافية و الإنسانية من خلال تطوير الموارد البشرية و تشجيع المفاهيم بين الثقافات و المبادلات بين المجتمعات المدنية، و تعمل فرنسا من خلال الإتحاد الأوربي على دفع العجلة الثقافية إلى الأمام من أجل تحقيق مصالحها التي تسعى إليها بحكم أن فرنسا تعد دولة فاعلة و ذات وزن في الإتحاد الأوربي، خاصة و أن التعامل مع المنطقة المغاربية يتم بشكل

¹: Marjorie Lister , The European union and the South : Relations with developing countries, Taylor and Francis Ltd, 1997, pp 100-102

²: عمر بغزوز، محاضرة حول التعاون اللامركزي، سنة أولى ماجستير، باتنة، 2009.

³: المرجع نفسه.

فردى، أي مجموعة دول الإتحاد الأوربي مع كل دولة على حدة، و هذا ما سهل أكثر مهمة فرنسا، من منظار توكيل مهمة التعامل مع دول المنطقة على عاتقها بسبب العامل التاريخي الذي يربطها بهذه الدول. فهي تركز على البعد الثقافي و القيمي و اللغوي، الذي تعتبره بمثابة الأداة الفاصلة و غير المباشرة في بسط نفوذها و هيمنتها على المنطقة المغاربية.

كما جاء مشروع الإتحاد من أجل المتوسط كدفعة جديدة لمسار برشلونة، طرح نيكولا ساركوزي فكرته الأولى حول مشروع الاتحاد المتوسطي في حملته الرئاسية، و وعد الفرنسيين بأنه في حالة وصوله إلى قصر الإليزيه سيبدل كل جهده لتحقيق الأمن الجماعي في البحر الأبيض المتوسط من خلال تجسيد مشروع الاتحاد المتوسطي الذي يعد في نظره ضروريا لعدة أسباب موضوعية، أهمها: فشل الحوار الأورو-متوسطي، الذي انطلق ببرشلونة في سنة 1995، في تحقيق أهدافه بسبب تركيز صانعو القرار في أوروبا على أولوية الاتجاه نحو تعزيز البيت الأوربي المشترك و ضم الدول الأوروبية التي كانت في الكتلة الاشتراكية سابقا، كما اقتصر التعاون الأورو-متوسطي على التجارة مبعدا كل المجالات الأخرى¹، حيث قال في هذا الصدد: "أدعو رؤساء الدول والحكومات لدول حوض البحر الأبيض المتوسط للاجتماع في فرنسا خلال جوان 2008 لوضع لبنات إتحاد سياسي، اقتصادي، ثقافي قائم على المساواة بين الأمم. أدعو جميع الدول التي ليست طرفا في الحوض المتوسطي ولكنها مهتمة بما يحدث فيه أن تشارك كملاحظة في القمة الأولى وتساهم في نجاحه". و هو بذلك يهتم بالجانب الثقافي من خلال إنشاء الجامعات المشتركة و تعزيز البعثات بين الضفتين، و تشجيع الحوار الحضاري. رغم أن هذا المشروع بقي مبهما و لم تتضح معالمه بعد، لكن المؤكد أن فرنسا سوف توجه بقيادتها لهذا المشروع مصالحها نحو المنطقة.

إن التمسك الفرنسي بمنطقة المغرب العربي يدل و بوضوح أن فرنسا تهدف إلى السيطرة تماما على هذه المنطقة و جعلها فرنسية بحتة. و تعمل جاهدا من أجل جعل هذه المنطقة ملائمة لمشروعها من حيث استتباب الأمن و نشر اللغة و الحضارة الفرنسية و الاستفادة من الخيرات الطبيعية.

إن الاستعمار الفرنسي قد ركز منذ العشرينيات من القرن الماضي كما أشرنا سابقا، على تكوين إنسان متشبع بالثقافة الغربية و مجرد من كل عناصر الشخصية الوطنية. و صاحب هذه العملية

¹ مصطفى صايح، "الاتحاد المتوسطي"، مجلة العالم الاستراتيجي، الجزائر، مركز الشعب للدراسات الإستراتيجية، ديسمبر 2009.

توسيع شبكة تعليم اللغة الفرنسية و تمكين متعلّميها من التمتع بكثير من الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية، و لا يخفى علينا أن اللغة ليست مجرد ناقل محايد أو وسيلة تبليغ لا غير، لكنها وعاء حضاري و أيديولوجي من الطراز الأول. و عليه نتج ما يسمى بمجتمعات مختلفة تماما عما كانت عليه قبل الاستعمار، تميزت أساسا بـ:

1- ارتفاع نسبة الأمية .

2- بقاء إسلام مشوه غلبت عليه الخرافة و الدروشة.

3- تقاليد و عادات و نمط و سلوكيات يومية لا علاقة لها بالشخصية الوطنية المغاربية.

4- لغة وطنية مهملة، وعلاقات اجتماعية مادية و مهلهلة أساسها الخوف و التباعد.

إن فرض الهيمنة الثقافية الفرنسية على منطقة المغرب العربي فرض نوع جديد من البناء الثقافي الذي اختلف عن نظيره قبل دخول الاستعمار و الذي تميز بما يلي:

✓ خلق مجتمع مغاربي يعاني من ازدواجية لغوية، فهو يعيش ثنائية لغوية تهيمن ضمنها اللغة الفرنسية أساسا على اللغة العربية و تستأثر دونها بالمجالات الحيوية في التعليم و الإدارة و الاقتصاد، إذ غالبا ما تستخدم الفرنسية في تدريس المواد العلمية و التقنية في التعليم العالي و التكوين المهني، و في تدريس التخصصات العلمية و الهندسية و الاقتصادية في التعليم العادي، كما تستخدم في كثير من الإدارات و المؤسسات العمومية و الخاصة ذات الصبغة الاقتصادية و المالية و التقنية سواء بصورة شاملة أو مع استخدام جزئي و شكلي للغة العربية. حيث أقتصر استخدام العربية على المجالات السياسية و الدينية و الأدبية، و على الإعلام و الثقافة الجماهيرية و تعليم المواد الإنسانية و الاجتماعية و القانونية، إضافة إلى القضاء و الإدارات غير الاقتصادية أو التقنية، في حين استأثرت الفرنسية بالمجالات العصرية في التعليم و الإدارة و المجتمع، و هو ما كرّس نظرة توارثتها بعض الفئات النافذة عن الفترة الاستعمارية و تمثل في أن اللغة الفرنسية لغة التفتح و المعاصرة و الحداثة و ما يرتبط بها من تنمية و تقدم و ترق في السلم الاجتماعي.

ورغم أن اللغة الفرنسية لم تعد هي اللغة الرسمية، فإنها ظلت مع ذلك سائدة في القطاع الاقتصادي و في القطاعات الإدارية الأكثر تقنية كالمالية مثلا. وهي لا زالت تحتل مكانة هامة في التعليم إذ تدرّس في التعليم الابتدائي بالبلدان المغاربية، و تستخدم في وسائل الإعلام من صحف، و برامج

للإذاعة والتلفزة، كما أن انتشار التمدرس يشيع معرفتها بين شريحة من السكان أوسع مما كان عليه الأمر قبل الاستقلال. إضافة إلى ذلك، فهذه اللغة تشهد انتشارا شفهيًا واسعًا حتى في الأوساط الشعبية سواء تعلق الأمر فيها بالعمال الذين أقاموا في فرنسا أو بالسكان الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ولم يسافروا إلى الخارج¹.

✓ إفران أجيال متجانسة من المتعلمين يختلف انتماءها عن وطنها بينما تعرف الكثير عن البلاد الأخرى قد تبعد عنها من حيث المساحة و لكنها تقترب منها وجدانياً. و نقصد بها النخبة الناطقة بالفرنسية إلى جانب تلك الموروثة عن الاستعمار و التي أصبحت تعرف توسعا ليس بسبب سيطرة التعليم الأجنبي على الفكر العربي في المغرب العربي، بل بسبب الجاليات الموجودة بفرنسا و التي تستورد معها أفكار بلد المهجر². و هذا ما ينتج عنه بالضرورة خلق هوية مزدوجة و غير موحدة تختلف في جوهرها من حيث نمط العادات و السلوكيات و الأخلاق.

المبحث الثالث: الأمن الثقافي المغربي في ظل تنامي العولمة الثقافية:

المطلب الأول: التحديات الثقافية الجديدة للعولمة :

إذا كانت العولمة الثقافية هي محاولة مجتمع ما تعميم نموذجه الثقافي على المجتمعات الأخرى من خلال الاختراق الثقافي، فلا بد لها إذن من تكريس وسائل غايتها الأساسية تحقيق ذلك التعميم، و عليه نستعرض فيما يلي هذه الوسائل:

➤ وسائل الإعلام:

بما أن وسائل الإعلام في الدول الأقوى من حيث الصدى و التأثير، فمن البديهي أن تبلغ إلى مختلف المجتمعات و أن تؤثر في أركان الأمن بمختلف مظاهره: من الأمن العسكري و السياسي و الاقتصادي إلى الأمن الاجتماعي و الثقافي، فالإعلام يلعب أهمية و دورا بالغ الأهمية من حيث أنه وسيلة اتصال بين الشعوب و أداة للتفاهم و التعارف بين الأمم، و يصبح هذا الدور أكثر أهمية و حسما في العلاقات الدولية الراهنة لأن المجتمع الدولي يملك بفضل الاختراعات الحديثة و الإنجازات

¹ :جلبير غرانغوم، " اللغة و الهوية الثقافية الوطنية في المغرب العربي"، في:

<http://www.aslimnet.net/traductions>

في 2010/06/12 على 12:13

² :عبد اللطيف عبيد، "المسألة اللغوية في المغرب العربي"، مجلة الجامعة المغربية، العدد الثاني، السنة الثانية، 2007، ص 31.

التكنولوجية الضخمة، وسائل بالغة التعقيد والسرعة تمكن من بث المعلومات و إبلاغها على الفور إلى مختلف مناطق الكرة الأرضية. غير أن نظام الإعلام العالمي الحالي ما زال يتسم باختلال عميق بين الدول المتقدمة و النامية، رغم الجدل الذي أثير منذ بداية سنوات السبعين. و من خصائص الاختلال إن البلاد المصنعة تسيطر على دورة المعلومات أكثر فأكثر، وتؤثر بهذه السيطرة على الأحداث من خلال قنوات التلفزيون الفضائية و شبكات المراسلات كما كانت بالأمس من خلال وكالات الأنباء و الإذاعة و الأفلام و الصحف و المجلات و الكتب و المجلات المصورة و الإعلانات الإشهارية¹.

تعد الإمكانيات الهائلة في مجال الإعلام و المتمثلة في وكالات الأنباء و الأقمار الصناعية ووكالات الإعلان الدولية التي تجعل من وسائل الإعلام سوقا لترويج المنتجات الإعلامية بما تحمله من قيم ثقافية غربية منوثة². و لوسائل الإعلام هذه تأثير بالغ على توجيه فكر الشباب و ثقافتهم، تأثيرا يدرکه قلة من الشباب من حيث ما تقوم به من ناحية الترويج لثقافة العولمة، و ترسيخ المفاهيم الموجهة، و الاستحواذ على جزء كبير من تفكيرهم و إرادتهم.

في دراسة أجراها مالك الأحمد عن عولمة الإعلام توصل الباحث إلى أن ست شركات عملاقة فقط تهيمن على وسائل الإعلام العالمي وبالذات القنوات الفضائية التلفزيونية وذلك حسب الترتيب التالي³:

1- مجموعة تايم ورنر (time warner):

أكبر شركة إعلامية في العالم تفوق مبيعاتها 25 مليار دولار في السنة، وتملك بعض القنوات التلفزيونية المؤثرة أشهرها CNN التي بلغ من قوة تأثيرها في صياغة الرأي العام العالمي في الثقافة والسياسة إلى حد جعل الأمين العام السابق للأمم المتحدة بطرس غالي يعدها العضو رقم 16 في مجلس الأمن.

2- مجموعة برتلزمان (Bertels man):

أكبر مجموعة إعلامية في أوروبا تفوق مبيعاتها السنوية 15 مليار دولار، وتمتلك عدة قنوات تلفزيونية في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا إضافة إلى 45 دار نشر وأكثر من 100 مجلة.

3- مجموعة فيا كم (Viacom):

مجموعة أمريكية قوية دخلها السنوي يبلغ 13 مليار دولار وتمتلك 13 محطة تلفزيونية أمريكية

¹ مصطفى المصمودي، تأثيرات الإعلام الكوني على الأمن الثقافي العربي، الطبعة الأولى، مركز الدراسات العربي-الأوروبي، 1996، ص 387.

² المرجع نفسه، ص 120.

³ مالك الأحمد، "عولمة الإعلام"، مجلة البيان، العدد 148، 1420 هـ، ص 114.

الفصل الثاني: مراحل تطور الأمن الثقافي في بلدان المغرب العربي

ومنها: شو تايم التي تعتمد الانحلال جزءاً رئيسياً من سياستها في عولة الثقافة الأمريكية.

4- مجموعة دزني (Disney):

دخلها يفوق 24 مليار دولار، وهي أكبر منتج لمواد الأطفال في العالم وتملك شبكة ABC التلفزيونية إضافة إلى مجموعة من القنوات الفضائية.

5- مجموعة نيوز كور بريشن (News Corporation):

تعد اليوم أكبر لاعب دولي في مجال الإعلام حول العالم، وتملك شركة فوكس للإنتاج السينمائي والبث التلفزيوني وشبكتي ستار وسكاي إضافة إلى 22 محطة تلفزيونية و132 صحيفة و25 مجلة، وترداد خطورة بثها في انتهاجها سياسة بث البرامج بلغات البلدان المختلفة.

6- مجموعة (T.C.T):

مجموعة متخصصة بالبث التلفزيوني عبر الكابل المدفوع بالاشتراكات، وتملك قمرين صناعيين للبث حول العالم.

لكن ما تجدر الإشارة إليه ما هو المضمون الذي تبثه هذه المجموعات الإعلامية العملاقة وتسهم

في فرضه على العالم؟

أكثر الأجوبة دقة واختصاراً هو الترويج لثقافة تهدد حتما البنية الثقافية الوطنية ومنظومة القيم في المجتمعات الأخرى. خاصة منها الثقافة العربية والإسلامية التي لا تلتقي بتاتا مع الثقافة التي تروج لها وسائل الإعلام في جذورها و كثير من مبادئها.

لا يوجد شك أبدا في سيطرة الإعلام على دول المغرب العربي، حيث يتم استيراد آخر التقليلات الثقافية الغربية في هذيان موسيقى صاحب و برامج تلفزيونية مصنعة تصنعاً لإدخالها في أي برنامج تلفزيوني، حيث حدث ما يسمى بعملية تسوية الذوق في المنطقة متجسدة ليس فقط في الجيتز الزرقاء و الكوكاكولا، بل في الصور الثقافية التي توفرها وسائل الإعلام و تستهلكها دون تفكير الجماهير¹ خاصة أن الآباء والأولياء لا يحرصون كلهم على متابعة أبنائهم و توجيههم، ونفس الشيء بالنسبة للمؤسسات التعليمية و التربوية فهي تفقر لعملية توجيه الشباب نحو الطريق الصحيح.

¹ إدوارد سعيد، الإستشراق، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1984، ص 319.

➤ التكنولوجيا:

تعد التكنولوجيا التي تضم شبكات الكمبيوتر و نظام الأقمار الصناعية، من أهم الوسائل التي أثرت و لازالت تؤثر في عالمنا، خاصة بالنظر إلى نسبة اعتمادها من طرف الشعوب و التي أثرت بشكل كبير في الأوضاع الثقافية للمجتمعات، حيث لا تعرف هذه الشبكات حدودا تمنعها من إيصال الكم الهائل من المعلومات و الأخبار خاصة أنها لا تتعرض للرقابة المحلية، و هذا ما نلاحظه من خلال الإقبال الهائل للشباب و حتى كبار السن على صالات الإنترنت، بل ذهبت بعض العائلات إلى أبعد من ذلك من خلال الحصول على اشتراك للإنترنت في المنزل و بالتالي يتم استعمالها طوال الوقت و من طرف كل الأفراد صغارا كانوا أم كبارا.

بدأت الإنترنت كفكرة عسكرية في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم انتقلت إلى مجال التعليم و الأبحاث ثم التجارة و غيرها و استطاعت جذب الشباب بما توفره من خدمات إعلامية و معرفية و ترفيهية و تواصلية، جعلتها تشكل أكبر ثورة في الإعلام، فصار ما يعرف بثورة الإعلام لا يساوي شيئا أمام الإنترنت، ابتداءً ذلك بالطباعة ثم الصحافة و السينما و الراديو و التلفاز و الفضائيات، ثم الإنترنت التي جمعت كل ذلك¹.

و قد سهلت هذه الشبكات عمليات الاتصال و التواصل و البحث، يكفي أن تكتب ما تريد معرفته في جملة أو كلمة حتى تحصل على الجواب في الحين، فسرعة الشبكة و غزارة معلوماتها و توفرها اللامشروط جعل الشعوب تعرف حالة من الإدمان على هذه التكنولوجيا المتوفرة، و تشكل ما يسمى بالمستهلكين السلبيين الذين يغمروهم سيل من الخدمات عن بعد خاصة بالنسبة للشباب العاطل عن العمل، فإنه يجد ملاذ في الإنترنت من أجل ملء الفراغ الذي يعاني منه يوميا.

كما تعد اللغة التي يستخدمها الشباب في محادثاتهم عبر الإنترنت، لغة جماعية متفق عليها و معمول بها في الحياة اليومية و تلقي بظلال سلبية على ثقافتهم و سلوكهم بشكل عام²، و طبيعة الإنترنت باعتبارها وسيلة اتصال سريعة الإيقاع قد واكبتها محاولات لفرض عدد من المفردات السريعة و المختصة للتعامل.

www.maktoobblog.com

¹ الإنترنت و الشباب تأثير أم تآثر؟ في:

في 2011/04/07 على 18:02

www.startimes3.almontada.com

² استعمالات الإنترنت اللغوية تهدد اللغة العربية في:

في 2011/04/11 على 15:28

و عليه فإن تضافر عمل البث الإعلامي الفضائي و ثورة الاتصالات الحديثة المتمثلة في شبكة الإنترنت وما تبثه القوى المسيطرة عليها من قيم ثقافية ومفاهيم عقدية وانحرافات سلوكية بطريقة مبهرة ملحة مستمرة، يجعل من العولمة الثقافية تتحول إلى نوعٍ من الفرض الواضح لثقافة واحدة وليس مجرد النشر الاختياري لها، فالأمر أشبه ما يكون بغسيل الدماغ وهذا بالضبط ما تقوم به شركات الاتصال فكثرة ترويج المعلومة و بثها في أكثر من موقع، يحدث لها في نهاية المطاف تجاوباً ملموساً ومشاهدًا في سلوك الناس¹.

المطلب الثاني: آثار تحديات العولمة على الأمن الثقافي المغربي:

تعد مجتمعات بلدان المغرب العربي من أكبر المستهلكين لوسائل العولمة الثقافية الجديدة التي تستحوذ على العالم، و عليه سوف نستدرج لاحقا الآثار السلبية و الإيجابية إن وجدت لهذه الوسائل على الأمن الثقافي لدول المغرب العربي من خلال مقوماته الأساسية.

1- الآثار السلبية للعولمة الثقافية:

أ: تأثير العولمة الثقافية على اللغة العربية:

من مظاهر العولمة الثقافية السيطرة اللغوية والهيمنة على باقي لغات العالم. فلم تقتنع العولمة بالسيطرة في المجالات الاقتصادية والسياسية، بل امتدت أطماعها إلى الحياة الثقافية والسلوك، ومن ضمن المجال الثقافي والحياة الثقافية اللغة التي يتحدث بها المجتمع. من الملاحظ جليا أن هناك غلبة لغات أجنبية على اللغة العربية في زمن العولمة، فاللغة العربية التي وصفها الله بأنها أفضل اللغات، بدليل نزول القرآن الكريم بها، تواجه الآن تحديات كبيرة من قبل الذين يرغبون في عولمة لغتهم الأصلية، والقضاء على اللغة العربية². إن اللغة العربية تجري إزاحتها تدريجياً من مكانها في الحياة اليومية لحساب اللغات الأوروبية سواء في الخطاب الشفوي أو المراسلات أو وسائل الإعلام بل وجعلها كلغة التعليم في المدارس والجامعات وغيرها³. وكذلك ظاهرة تفشي المدارس الأجنبية أو ما يسمى بمدارس اللغات في بلدان

¹: صلاح الحارثي، دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية للعلمة، وزارة المعارف السعودية، 1997، ص10.

²: عبد الله حامد حمد، "فرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية"، عالم الفكر، العدد الثالث، يناير/ مارس 2000، ص12.

³: جلال أمين، العولمة والتنمية العربية من حملة نابليون إلى جولة الأوروغواي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999، ص117.

المغرب العربي، فمدارس اللغات هذه تؤدي إلى تغيير ألسنة الشعوب ومحاربة اللغات المحلية، ونصيب اللغة العربية من هذا النشاط التخريبي كبير جداً بفضل ما دخل على المنهج التعليمي في كل المراحل من تعديلات قضت على علاقة النظام التعليمي باللغة والدين.

إن لغة العلم والثقافة والمعلومات والإعلام عموماً هي اللغات الأوروبية، وإن احتاجت بقية الشعوب الدخول في نظام العولمة بجوانبه العلمية والثقافية والمعلوماتية ينبغي أن تدخل عبر بوابة اللغات الأوروبية وخاصة الإنجليزية، وهي الأكثر انتشاراً في ظل العولمة الراهنة¹. ونحن نرى أن اللغات السائدة في العالم الآن أي التي لها السيادة هي الإنجليزية، والفرنسية وبقية اللغات الأوروبية وإن كانت الإنجليزية هي الأكثر انتشاراً في العالم، وبعدها الفرنسية وهما في صراع دائم أيهما تكون له الهيمنة.

كما ظهرت لغة جديدة و موحدة يستعملها الشباب المغربي و العربي عند دردتهم عبر الإنترنت، لها أثر كبير في تراجع نسبة استعمال اللغة العربية و حروفها، حيث أكد الدكتور علي صلاح محمود الذي قام بإعداد دراسة في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة حول تأثير الإنترنت على الشباب العربي، أن حروف لغة القرآن تحولت إلى رموز و أرقام و باتت الحاء "7" و الهمزة "2" و العين "3" و كلمة حوار تكتب "7war" و كلمة سعاد تكتب "so3ad". و فسر الباحث لجوء الشباب إلى لغة حديث موازية بوجود شعور بالاغتراب لديهم يدفعهم للتمرد على النظام الاجتماعي و تكوين عالمهم الخاص بعيداً عن قيود الآباء، وأضاف أنهم يؤلفون هذه اللغة كقناع في مواجهة الآخرين². و أشار إلى أن الإنترنت و ما حملته من ثورة في عالم الاتصال و المعرفة أصبح إشكالية كبيرة فيما يتعلق بحجم الحرية التي يقدمها، فهو بنظر البعض ميزة كبيرة تتيح الإبداع و حرية التعبير، لكن آخرين يرون أنه أزال سقف الرقابة الاجتماعية و الأخلاقية و أصبح يهدد قيم المجتمعات العربية.

إذا كانت العولمة تعمل على إفقار الشعوب بصفة عامة مثل الفرنسية والإيطالية والألمانية، فلا تخلو الشعوب المغربية من إفقار لغتها وثرواتها وعقيدتها، وذلك لهيمنة وسيطرة لغة واحدة على العالم هي لغة الدولة المعولمة وتسود العالم لغة واحدة تكون هي لغة الحديث ولغة الكتابة، ولغة الاتصال بين الناس وبها تقضى المصالح، وبها تدار الأجهزة الحديثة كالكمبيوتر وشبكة الاتصال الدولية الإنترنت

¹ : فايز سارة، "العولمة في رؤية مزدوجة"، مجلة معلومات دولية، السنة السادسة، العدد 58، 1998، ص 124.
² : المرجع نفسه.

وما إلى ذلك من وسائل الاتصال والتي لا يمكن الهروب منها والانزواء بعيداً عنها، بل إننا نجد أنفسنا مجدّين بالتعامل على هذه الأجهزة لقضاء مصالحنا وبذلك تصدر إلينا الثقافة معلبة.

ب: التبعية الثقافية للمغرب العربي

نعني بالتبعية الثقافية ذلك النمط من العلاقة التي تجعل ثقافات ما تعتمد اعتماداً بنويًا في إنتاج ثقافتها على ثقافات أخرى تمارس عليها سيطرة ما، سواء بسبب تفوق هذه الثقافات الأخيرة أو بسبب انعدام الثقة بالنفس لدى الثقافة الضعيفة و عدم قدرتها على إنتاج القيم والمعاني والأفكار والأنماط السلوكية، التي تحتاج إليها مجتمعاتنا، و تظهر صورة هذه التبعية في إحلال قيم و عادات و أنماط سلوكية محل القيم السائدة في هذه المجتمعات¹.

إن الاحتكاك و التفاعل مع الحضارة الغربية الحديثة و الذي حدث بفعل الغزو لم يؤد إلى استبدال النظام القديم بنظام حديث، بل أدى فقط إلى تبعية ثقافية خطيرة تزامنت مع التبعية الاقتصادية و السياسية و اعتبرت وسيلة من وسائلها، وتشير هذه التبعية الثقافية إلى طبيعة العلاقة بين المجتمعات الغربية المتقدمة و المجتمعات العربية المتخلفة في شكل سيطرة/تبعية، وما أدت إليه من ارتباط و تقليد و إعجاب و انبهار بالحضارة الغربية بالإضافة إلى فقدان شروط التجدد الذاتي و تفكك داخل الأنماط الثقافية التابعة و التي بموجبها استطاعت القوى الرأسمالية العالمية الهيمنة على أبنية المجتمع العربي الاقتصادية و الاجتماعية².

إن التأثير في هذا المستوى من التفاعل بين مجتمعين حضاريين يسري عادة من الحضارة الأقوى إلى الحضارة الأضعف، وإن تأثر الأقوى بالأضعف في هذه العلاقة هو عادة أيضاً تأثر محدود جداً، و"أن المنتجات المادية هي أسرع من سواها انتقالاً ثم العلوم المجردة والفلسفة وأخيراً الآداب والفنون"³، من هنا، فإن إسقاط هذه المقولة على العلاقة بين الحضارتين العربية والغربية ممكن، خاصة إذا اعتبرنا أن الطرف الأضعف في هذه العلاقة هو البلدان والمجتمعات العربية عامة و المجتمعات المغاربية خاصة، التي لا تستورد الرساميل والتقنيات من أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية فقط، بل تستورد منها المفاهيم

¹ : عبد الخالق عبد الله، "التبعية و التبعية الثقافية: مناقشة نظرية"، مجلة المستقبل العربي (بيروت) العدد 83، جانفي 1986، ص 16.

² : جيهان سليم وآخرون، الثقافة العربية: أسئلة التطور والمستقبل، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003، ص 162.

³ : المرجع نفسه، ص 163.

والقيم والرؤى وأساليب الحياة، والتشكيلات التجارية والأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والأنماط التعليمية والفكرية والتكنولوجية والفنية والقيمية، والأفكار الجاهزة والأزياء والمؤسسات... الخ. يطلق بعض الباحثين على هذه الحقبة التي تغلب عليها الصبغة الغربية في التربية و الحضارة و في المظهر الخارجي للتفكير و التدريب الثقافي، حقبة الاستبعاد الفكري، و يروا أن السبب الحقيقي لبقاء هذا الاستبعاد هو الطريقة الأكاديمية و الثقافية الحالية التي تركز على التصور الغربي للثقافة، و أنه لكي نتخلص من هذا الاستبعاد ينبغي أن نتأمل كيف فعل الشيوعيون عندما تسلموا السلطة في روسيا، فقد رفضوا كل العلوم الغربية و استبعدوها بوصفها علوما برجوازية، و شعروا بالحاجة إلى إعادة بناء كافة العلوم في ضوء المفاهيم الماركسية اللينينية¹. و يمثل هذا أحد المواقف داخل المجتمع و الذي يتمثل في موقف الرفض المطلق لكل ما يأتي من الخارج و التمسك بالتراث، و هناك موقف آخر يتمثل في موقف المرونة القسوى و المبالغة في التعاطي معه و هو موقف القبول المطلق².

➤ مظاهر التبعية الثقافية في المغرب العربي:

و من مظاهر التبعية الثقافية في المجتمعات المغاربية ما نجده من تقليد في اللباس من قبيل الجيتر و الطعام كالبيتزا و المشروبات و السلوك و تغيير بعض التقاليد كحفلات الزفاف و التحدث بالفرنسية في غير مواقعها و ظاهرة الكتابة بالفرنسية لدى الأدباء و الكتاب، و التمدرس في المدارس الخاصة الأجنبية من أجل الحصول على التربية الأجنبية.

و من أهم مظاهر التبعية في المجتمعات المغاربية الإعلام، الذي يعتبر الشريان الأساس لأي تغيير تعرفه الإنسانية والمحرك الرئيس لكل بناء مجتمعي باعتباره المادة الأولية للمعرفة والحقل الوحيد الذي تتقاطع فيه كل المجالات الحياتية لقابليته في إنتاج وتقييم واستغلال كل ثروة من ثرواتها. وهذا ما نلاحظه في حياتنا اليومية فيما يخص سرعة انتقال المعلومات وتداولها وآنية ودقة معالجتها واستغلالها، ولهذا السبب ليس من الغريب من شيء في أن تصب توقعات المختصين في مجال الإعلام ودارسي المستقبلات في كون المجتمع الحالي المتسم بالإنتاج الصناعي يتجه نحو مجتمع الإعلام والمعرفة إن لم يكن قد أصبح كذلك³.

¹ :محمد غازي، "الإسلامية المعرفة"، الفكر السياسي و الدستوري، مترجم عن الإنجليزية، العدد 34، السنة السادسة، 1982، ص 75.

² :محمد أحمد النابلسي، سيكولوجية السياسة العربية (العرب و المستقبلات)، الطبعة الأولى، لبنان، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1999، ص 208.

³ :شبكة النبا المعلوماتية، "التبعية"، في :

و الإعلام في بلدان المغرب العربي لم يستطع أن يترع استقلاليته وذلك لارتباطه الدائم بالخبز المسيطرة على كل دواليب الدولة ولعدم مسيرته للتحويلات الاجتماعية التي يعرفها الشارع إضافة إلى المسخ الثقافي الذي يعبر عنه بشكل حاد في السنوات الأخيرة. ففي بلد مغربي، لا يمكن الحديث عن مشهد إعلامي خارج التبعية السلطوية من جهة والتبعية الثقافية من جهة أخرى، كما يمكن الذهاب أكثر من ذلك بالحديث عن توليفة يمكن ملاحظتها مصاغة بين هاتين التبعيتين، فيها يختلط النفوذ السياسي بالاقتصادي بالثقافي حيث يكون الضحية هنا هو الشعب والمكتسبات التاريخية والحمولة الثقافية للبلد، وهذه التوليفة تتمثل وبلا شك في المد الفرانكفوني المتنامي والسطوة الفرنسية على كل مناحي الحياة الإعلامية بالمغرب، إذ يقول الكاتب والإعلامي المغربي عبد الصمد بن شريف "فسطوة وهيمنة اللغة الفرنسية أصبح معطى ملموسا وأنصارها يتزايدون بأعداد هائلة" ويضيف في فقرة أخرى من مقالته "فإنهم (أي الوزراء) يحرصون على أن يفعلوا ذلك أي الحديث وإلقاء التصريحات بالفرنسية تتم عن تشبثهم بشروط ومعايير الانخراط في صف الحداثة والديمقراطية"، وهذا قول صحيح إذ كثيرا ما لا يخجل بعض المتحدثون الفرانكفونيون المغاربة في استشهداهم بالنماذج الحداثية من تكرار عبارة "ففي الدول المتقدمة وفرنسا مثلا... " ثم يواصلون و يغالون في تأملاتهم النرجسية اتجاه نموذجهم الأم¹.

و سواء كان الإعلام المكتوب أو إعلام الصوت و الصورة فلا يخلو من سيطرة اللغة الفرنسية عليه، ففي الجزائر مثلا تم فتح قناة خاصة تتحدث و تذيع بالفرنسية من برامج و أخبار و أشرطة، كذلك في المغرب فالقناة الأولى تذيع 30% من البرامج بالفرنسية كما خصصت القناة الثانية كمعقل للإعلام الفرانكفوني الأكبر بالمغرب، أسستها في البداية شبكة TF1 الفرنسية إلا أنها عرفت الإفلاس بداية التسعينات لو لا تدخل الدولة بضغط اللوبيات الفرانكفونية لشراء أسهمها وإنقاذها من البوار، أما في تونس فعلى غرار شقيقتيها فنصيب البرامج الفرانكفونية يقدر بـ 70%، و هذه نسبة لا يستهان بها.

فيتم عرض الأفلام و المسلسلات الأجنبية التي تصف الحياة الغربية و تقدمها أحسن تقديم على أساس من التقدم و العصرية، و إهمال الإنتاج العربي و المحلي من مسرح و مسلسلات و أفلام تلفزيونية لصالح الأجنبية منها حتى أصبحت تبدو للمتفرج العربي على أنها أعمال تافهة لا ترق إلى مستوى الاهتمام بها و التشبه بما يجيء فيها.

¹ : شبكة النبا المعلوماتية، مرجع سبق ذكره.

و الإعلام المكتوب أو الصحافة هي الأخرى تعبر عن ارتباطها بعجلة الثقافة الغربية، فعلى الرغم من اختفاء الصحف الموالية للسلطات الاستعمارية عقب حصول الدول المغاربية على الاستقلال منذ بداية الخمسينات إلا أن ذلك لم يمنع من استمرار التبعية للفكر الاستعماري الغربي في معظم الصحف المنشورة في هذه البلدان. حيث يفوق عدد الصحف التي تصدر بالفرنسية الصحف المكتوبة بالعربية. هذا من جهة ، من جهة أخرى تظهر لنا التبعية للغرب في ظاهرة الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية، حيث يتبع أكبر الأدباء في بلدان المغرب العربي هذا السبيل فأصبحت ظاهرة متفشية ، فهذه الظاهرة التي كانت تعبر عن سلوك اضطراري في مرحلة الاستعمار أصبحت اليوم جزءاً من واقع ثقافي مزدوج وملتبس، فهناك اليوم أجيال من الأدباء لا تجد تناقضاً بين الكتابة بلغة أخرى ومعنى الهوية الوطنية. و المفارقة أن الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية وجد طريقه بسهولة نحو ترجمته إلى العربية، وفي مقابل ذلك يواجه الأدب المكتوب بالعربية صعوبات في اختراق حاجز المحلية، وعدا أن خصائص الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية تبدو مغايرة للأدب المكتوب بالعربية، فإن فرص انتشار الأدب المكتوب بالفرنسية تبدو أوسع بكثير من الأدب المكتوب بالعربية، نظراً لاهتمام دور النشر الفرنسية بترويج ذلك الأدب، في حين يعاني الأدب المكتوب بالعربية من غياب الدعم، وعدم وجود مؤسسات متخصصة داخل الوطن العربي في ترويج الكتاب العربي وترجمته إلى لغة أخرى¹.

يعد الشباب الفئة الرئيسية التي تتعرض للاستلاب الفكري لكونه يميل إلى التجديد و الفضول للتعرف على الوافد من الخارج، و المتأمل في واقع الشباب المغاربي يدرك أنه يعيش حالة من الانبهار بالغرب و بحضارته و ما حققه من تقدم تقني و علمي، فأصبح لدى شبابنا ميل طوعي إلى تقليد شباب الغرب في اللغة و العادات و في نمط عيشهم بدء بتقليد طريقة اللباس و تسريحات الشعر و اختيار الأنماط الموسيقية و ارتياد قاعات البلياردو و الملاهي الليلية في أوقات الفراغ، وكذا غلبة الطابع الفرانكفوني على وسائل التسلية و الترفيه و قنوات التثقيف التي ينهل منها الشباب خاصة من أبناء النخبة و الطبقات البرجوازية ببلادنا من أشرطة غنائية و كتب و جرائد و مجلات، الأمر الذي يعكس طبيعة التربية التي ينشئون عليها و نوعية الفكر الذي يحملونه، وصولاً إلى المأكّل و المشرب و الملابس. و هذا أثر أخلاقياً على الشباب، فما توفره المواقع الإباحية ينم عن فساد كبير و تدمير لأخلاق الشباب

¹ : "الأدب المكتوب بالفرنسية في المغرب العربي و متابعات أخرى"، في:

و معنوياتهم و قيمهم، إذ تشير بعض التقارير إلى أن عدد المواقع الإباحية حوالي سبعة ملايين موقع، وكل موقع له عشرات الصفحات، وأن 10% من هذه المواقع تخدمها مؤسسات متخصصة في هذه التجارة الفاسدة.

إن أخطر ما تقوم به هذه الشبكات تلك مظاهر التحريف الكثيرة و المتنوعة خاصة تلك التي تمس صورة الإسلام و تشويه تراثنا العربي الإسلامي، وإعادة صياغة المفاهيم و الأنماط و الأفكار التي أدت إلى تساؤلات عديدة حول شرعية العادات العربية الإسلامية و كذا الهوية العربية.

إن الإسهاب في تقبل هذه التكنولوجيا دون مراقبة محلية أنسانا أن نتساءل ما إذا كان امتداد هذه الشبكات في غير اتجاهنا أو إذا كانت هندستها لا تتلاءم مع محيطنا و مع واقعنا الخصوصي¹. و ليس بيدنا الآن سوى انتظار وقعها الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي.

و هذه الظاهرة رسخها الإعلام الغربي - خاصة الأمريكي - بترسانته الضخمة وإمكانياته الجبارة عن طريق تقديم نماذج حية في الأفلام السينمائية وهذه الوسيلة المقنعة دفعت الشباب إلى تقليد السلوك الغربي ولعل الفراغ الثقافي والنفسي في ظل تراجع دور الأسرة التربوي أدى إلى ظهور هذه الظاهرة بشدة، كما أن المحيط الذي يعيش فيه الشباب لا يوفر له نماذج تتماشى مع تقاليد وأعراف المجتمع الأصيلة وبالتالي يضطر الشباب إلى تقليد الأنماط الغربية المبتوثة في التلفزيون والسينما والإنترنت .

و لم يتوقف الأمر هنا بل تطور إلى حد الهجرة و حلم الهجرة إلى البلدان الأوربية، بداية توجه المهاجرون من بلدان المغرب العربي نحو بلدان أوربية وفق عقود و اتفاقيات حكومية مثل: ألمانيا و بلجيكا و هولندا. و في هذا الإطار اتجهت الهجرة الجزائرية بالدرجة الأولى إلى فرنسا و بلجيكا، في حين توزع المهاجرون من المغرب على كل من فرنسا و بلجيكا و ألمانيا و إيطاليا و هولندا و إسبانيا، و اتجهت اهتمامات المهاجرين من تونس نحو فرنسا و بلجيكا و ألمانيا. و قد بلغت نسبة المهاجرين من بلدان المغرب العربي الثلاث أكثر من 66.5% من مجموع الجالية الإفريقية في أوروبا. و قد شكل المهاجرون من المغرب الأقصى لوحده حجما كبيرا وصل إلى 53.7% من مجموع المهاجرين من المغرب العربي².

¹: مصطفى المصمودي، تأثيرات الإعلام الكوني على الأمن الثقافي العربي، مرجع سبق ذكره، ص 400.
²: عمار جفال، العلاقة بين المغتربين و دولهم الأصلية: حالة الجزائر، الملتقى الدولي: الجزائر و الأمن في المتوسط واقع و آفاق، 29 و 30 أفريل 2008، جامعة قسنطينة، ص 175.

لقد عمدت وسائل الإعلام مرئية و مكتوبة إلى نقل إيقاع حياة المرأة الغربية إلى مجتمعاتنا عن طريق عرض الأزياء الأوروبية و الزينة التي استهوت المرأة في المغرب العربي و في العالم العربي ككل، و رأت في المرأة الغربية حرية التصرف فأصبحت المرأة العربية تطالب بالحرية و المساواة بالرجل، و يمكنك رصد أهم ما أثرت به الثقافة الغربية في المرأة العربية في النقاط الآتية¹:

■ بعد أن كانت تحترم المرأة العربية الأسرة و الحياة الزوجية صارت تراها قيودا على حريتها و عناء و إرهاقا لأنوثتها.

■ إحاطتها بجو من موضات الملابس و الزينات التي لا تتماشى مع الأخلاق العربية الإسلامية.

■ تصوير الحياة على أنها صراع دائم بين الرجل و المرأة في البيت و العمل و الأسرة.

■ تخويفها من دينها بتصويره على أنه قيد على حريتها و حقها في الحياة العصرية .

لقد أصبحت هذه السلوكيات في مجتمعات المغرب العربي تعبر عن التطور و التقدم ، فنجد جل النساء تتبرجن و تتبعن الموضة الموفدة من الدول الأوروبية خاصة فرنسا من مستحضرات و ملابس و حتى طريقة الحديث و استعمال الفرنسية، و واجب العمل و عدم التخلي عن مبدأ المساواة بينها و بين الرجل، و أصبحت هذه الأمور تعد شيئا عاديا نعايشها يوميا في حياتنا بل يزداد عدد المدافعين عن هذه الحياة الكريمة للمرأة يوما بعد يوم.

تعد فئة الأطفال أيضا من الفئات التي تتأثر بالقيم و العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع، فالأطفال يتشربون بسهولة ما يجدونه عرضة أمامهم من طرائق و مظاهر السلوك سواء أكانت سلبية أم إيجابية فهم لا يفرقون، من خلال التلفزيون الذي يدرج أفلام و برامج تحمل أفكارا غريبة و أجهزة الكمبيوتر و القصص التي يقرؤونها، و معظمها مترجم عن القصص الغربية، و هذا ما يدفع بالأطفال لاكتساب هذه الأفكار و السلوكيات خاصة أن الطفل بطبيعته ميال للتقليد.

ج: الازدواجية الثقافية في المغرب العربي:

يمر الإنسان بمرحلة الطفولة ويتم تلقيه فيها من عادات و سلوكيات و قيم، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة النظام التعليمي بما فيها من مناهج و خبرات، ثم مرحلة النظام الإعلامي بما فيها، ثم مرحلة النظام الثقافي الفني بما فيها، ثم المجال الاجتماعي بما فيه من ممارسات و علاقات و مشاركات اجتماعية.. و يدخل في

¹ :محمود محمود النجيري، الأمن الثقافي العربي:التحديات و آفاق المستقبل، الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية و التدريب، 1991، ص 171.

النظام الاجتماعي النشاط السياسي والاقتصادي. كل هذه الأمور تشكل مجتمعة ثقافة الإنسان من حيث تلقيه قيم وسلوكيات وأنماط في التفكير ورؤية في الحياة وتحديد للأهداف¹. والوضع الراهن بالنسبة لثقافة الشباب المغربي تسيطر عليه الثقافة ذات الأصول الغربية أو ذات الطابع العلماني التي تستبعد الدين، بمعنى أن المحتوى الذي يقدم من خلال وسائل الإعلام أو الأدوات الفنية أو الممارسات الاجتماعية أو الأفكار الفلسفية الكبرى والسياسية يتسم بغلبة الأصل الغربي عليه. هذا ما أدى إلى ظهور ازدواجية على الصعيد الثقافي من خلال تبني ثقافتين في المجتمع، ثقافة تقليدية تدفع إلى حالة الانطواء على الماضي الموروث و التمسك بالعقيدة الدينية و مبدأ القومية، و ثقافة حديثة استمدت جذورها و مدت صلاتها بالثقافة الغربية و هي ثقافة تنتشر أكثر في أوساط الشباب الذين يبنون كل ما هو قديم و أصيل و يتمسكون بالثقافة الغربية على اعتبار أنها السبيل الوحيد إلى التقدم و المعاصرة².

ف نجد الشباب يعيش بين نارين: نار تقوده إلى استبعاد الدين من أنماط السلوك والتفكير والقيم والممارسات سواء كان ذلك يتم بطريقة مدبرة أو بطريقة عفوية، و نار تقوده إلى الانغلاق والجمود بدعوى الحفاظ على الموروث. وما بين هاتين النارين يعيش حالة من الشد والجذب. حيث افتقرت كثير من المناهج الثقافية تلك النظرة الوسيطة في التربية الثقافية التي تجمع بين الحفاظ على ثوابت الإيمان والسلوك الديني مع القدرة على التكيف التنموي العصري ودمج الخطين معا³.

على ضوء هاتين الثقافتين، ظهرت أيديولوجيتان متصارعتان في المغرب العربي تتمزق الأجيال الناشئة تمزقا كبيرا بينها، وهو ما نلاحظه من تطرف في هذه المجتمعات، ونقصد بالتطرف هنا النوعين: الأصولي الإسلامي و الغربي الليبرالي العلماني، كما ظهرت نتيجة لهذا الانفصام مشكلة أخرى متعلقة بحالة القطيعة بين النخب وشعوبها الأمر الذي أدى إلى واقع يتسم بازدواجية ثقافية كانت أولى نتائجها إفقار الثقافة العربية وتمهيشها داخليا وخارجيا، وانحطاط الثقافة الشعبية وسيادة حالة من اليأس وضياع روح الإبداع وسد النوافذ أمام الفكر الذي يمكن أن يكون الصانع الأول للنهضة العربية⁴.

وإذا ناقشنا هذه الإشكالية من جانب المناهج الدراسية في الدول المغربية - الجزائر وتونس والمغرب - فماذا نتظر من حالة ازدواج متأصلة عبر عشرات السنين؟ إننا نعيش حالة ازدواجية لا يمكن

¹ السيد أبو داود، "الازدواجية الثقافية وتأثيرها على الشباب المسلم"، المركز العربي للدراسات و الأبحاث، 2011، ص 3.

² جلال أحمد أمين، "العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث"، مجلة المستقبل العربي (بيروت)، العدد 234، مركز دراسات الوحدة العربية، أوت 1998، ص 64.

³ السيد أبو داود، مرجع سبق ذكره.

⁴ جلال أحمد أمين، "العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث" مرجع سبق ذكره، ص 67.

أن يصدقها العقل، فهناك التعليم الديني وبجانبه التعليم المدني؛ فالأول تسيطر عليه مؤسسات مقيدة بقيد سياسات كل دولة على حدة والثاني مشوب ومخلوط بالفكر العلماني الصارخ وهذه ازدواجية خطيرة تؤدي إلى تخريج عقليتين مختلفتين في المرجعية وطرق التفكير.

وهذه الازدواجية لا يستهان بها على الإطلاق، فالمفترض أن النظام التعليمي يعمل على تكوين عقليات لديها قاسم مشترك كبير في الثقافة والتعليم. أما الموجود حالياً فهو تخريج أناس مختلفي التفكير والمرجعية. كما أن التعليم المدني أو ما يسمى بالتعليم العام نفسه يعاني من الازدواجية فهناك مدارس الحكومة والمدارس الخاصة، وهناك أيضاً مدارس اللغات التي تدرس بلغة أجنبية وتخرج طلاباً منهزمين أمام الثقافة والفكر الغربي ومختلفين في التفكير والمزاج عن زملائهم في التعليم العام. و عليه فهذه الازدواجية أضعفت المجتمع وأهكته وجعلته مجتمعين اثنين لا مجتمعاً واحداً.

و ما ساعد أيضاً على خلق هذه الفئة التي تتبع الثقافة الغربية، التغريب في البلدان الأجنبية سواء لأجل منح دراسية أو عقود عمل، حيث يتشربون من سلوك مارسوه هناك و ثقافة اكتسبوها أفقدتهم صفتهم العربية، فعجب كثيراً حين ندخل بيوتهم يتحدثون فيما بينهم باللغة الأجنبية خاصة الفرنسية و يهملون لغتهم العربية بل أن أولادهم لا يتقنونها حتى و يتعاملون وفق الثقافة الفرنسية و تجد مكتباتهم من كتب و مجلات و شرائط و أفلام بالفرنسية، و تكون نظرهم إلى الثقافية العربية نظرة دونية فهي تراها طابعا للتخلف و الجمود، و رغم أن عدد هذه الفئة محدود إلا أن لها تأثير في ثقافتنا العربية، خاصة التي تحتل منها مواقع حساسة في التوجيه الثقافي و الفكري في الدولة، غالباً ما تكون مراكز أكاديمية مرموقة، فنجدهم يقدمون النموذج الأوربي أو الأمريكي باعتباره القدوة و يضمنون دراساتهم و أبحاثهم وجهات نظر غريبة¹.

إن الثقافة التي شكلها التغريب تمثل نسيجا غريباً في جسد ثقافتنا، و يظهر ذلك من خلال الخصائص التي حملتها ثقافة الاغتراب، و يمكن إجمال هذه الخصائص في²:

➤ لغة الاغتراب التي صاحبت هذه الفئة و أصبحت هي الخيار الوحيد في التعبير لديهم.

➤ الفصل بين الفكر و العمل .

¹ :محمود محمود النجيري، الأمن الثقافي العربي:التحديات و آفاق المستقبل، مرجع سبق ذكره، ص 191.
² : المرجع نفسه ، ص 196.

- خلق معنى وهمي للحرية، حرية الابتعاد عن الواقع و الانسياق وراء تصورات لا ترتبط بالمعاناة التي تحيها الطبقات المسحوقة من أبناء الشعب.
- الاعتماد الكلي على مصدر واحد من مصادر الثقافة و هي الثقافة القادمة من الخارج .
- الفصل بين الدين و الدنيا و حصر الدين في شعائر محدودة .
- التناقض بين الأخلاق و السلوك و عدم ثبات مقاييس الخير و الشر و الحلال و الحرام.

2: الآثار الإيجابية للعولمة الثقافية:

إن ظاهرة العولمة الثقافية لا تخلو من إيجابيات مهمة في مجال نشر العقيدة والعلم و التعريف بثقافة المغرب العربي، لكن هذه الإيجابيات قليلة بالنسبة إلى السلبيات و تتعلق بالوسائل المستخدمة للعولمة الثقافية إذ أن هناك فرقاً كبيراً بين ما يسمى بعمليات العولمة و بين ما يسمى بأيدولوجيات العولمة التي هي الجانب الثقافي للعولمة و هي خطيرة للغاية كما تبين من خلال ما سبق، لأنها استنساخ فكري و تنميط حضاري تقوم به القوة المسيطرة الغالبة. أما عمليات العولمة فهي من باب الوسائل و تشمل تقنيات المعلومات و الاتصال و الإعلام، و لقد كان لهذه الوسائل من الإيجابيات ما يلي:

أ - إتاحة فرصة كبرى لنشر الثقافة الإسلامية:

وذلك من خلال زوال كثير من العوائق التي كانت تحول دون نشر العقيدة الإسلامية مع سهولة الاتصال عبر شبكة الإنترنت و سهولة التواصل عبر وسائل الإعلام الفضائية (مرئية و مسموعة).

ب - سهولة الحصول على المعلومة المفيدة :

وهو أمر يسهم في بناء الجانب العلمي و المعرفي عن طريق الحصول على الإحصاءات الموثقة و الأبحاث العلمية و المعلومات في زمن قياسي و بتكاليف قليلة.

ج - الإطلاع على مساوئ الثقافة الغربية و الأخطاء الكبرى فيها:

وهذا الأمر يتم من خلال توسع أصحابها في نشرها و محاولتهم تسويقها بين الشعوب؛ لكنهم في إطار العولمة لا يستطيعون حجب المساوئ عن أعين الآخرين مما أدى إلى نفور الكثيرين من هذه الثقافة الغربية و لا سيما في نسختها الأمريكية المشوهة لما رأوا فيها من أخطاء من أبرزها: التناقض، و التحيز، و المادية المجردة من الروح و المشاعر، و الانفلات الأخلاقي.

د - زيادة التواصل:

وذلك باستخدام آليات العولمة الثقافية فأصبح الفرد قادراً على معرفة أحوال من يهتمونه في المجتمعات الأخرى، و معرفة الحقائق التي طالما أخفتها وسائل الإعلام، فلم يتم التعاطف مع قضية المسلمين في البوسنة والهرسك وكوسوفا إلا من خلال آليات العولمة وعبر وسائل الإعلام والاتصال المعاصرة، و حالياً التعرف على كل ما يحدث في الأراضي المحتلة الفلسطينية.

ه - تعلم اللغات الأجنبية:

فتعلم اللغات الأجنبية المختلفة يساعدنا على فهم ثقافة هذه البلاد وهذا أمر مطلوب في وقتنا الحاضر، وفي ذلك العصر الذي يتطلب منا عدم الاقتصار على ثقافتنا والتفوق فيها، بل يتطلب منا التعرف على معظم الثقافات والاستفادة منها. لكن الذي نرفضه هو أن تسود لغة أجنبية واحدة جميع دول العالم وتطغى على كل اللغات، ومن هذه اللغات اللغة العربية، وذلك لأن الله - عز وجل - جعل لكل قوم لغة خاصة بهم، حيث قال تعالى في محكم التنزيل: "ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم" [الروم]: 22.

المطلب الثالث: الإنترنت و الثورة التونسية

إن مسألة النشر على الإنترنت يمكن أن تعكس الرأي العام في مجتمع ما في بعض القضايا بنسبة تمكننا من اتخاذ خطوات أو إجراءات تناسب تلك الآراء، ولكن في بعض القضايا لا يمكن أن يعتد بما يطرح عبر مواقع ومنتديات الإنترنت فقط، وهذا يعود إلى طبيعة بعض القضايا وخبرة من يرصد ردود الأفعال ومدى معرفته بحقيقة تلك المنتديات ونوعية الكتاب المشاركين بها.

لقد تزايد عدد المشاركات في الشبكات الاجتماعية لما لذلك من ميزة الكتابة و التعبير بكل حرية و من دون رقيب، بالإضافة لإمكانية الإطلاع على ما نشر في أي وقت و من أي مكان.

تعد الشبكات الاجتماعية عبارة عن مواقع رقمية على الإنترنت تتيح للمشاركين بها إنشاء صفحات خاصة بهم يشتركون من خلالها مع آخرين بمواد متنوعة نصية، وسمعية، ومرئية، وأشياء مختلفة. كان أول ظهور للمواقع الاجتماعية عام 1995م حيث ظهر موقع Classmates.com ثم تلاه موقع SixDegrees.com اعتمدت هذه المواقع على فتح صفحات شخصية للمستخدمين وعلى إرسال رسائل لمجموعة من الأصدقاء، ولكن تم إغلاقها؛ لأنها لم تأتي بأرباح للمالكين.

بعد عدة سنوات تم إنشاء العديد من المواقع التي انتشرت انتشارا واسعا في العالم وجمعت الملايين من المستخدمين وكان من الواضح أن تلك الشبكات الاجتماعية قد أحدثت تغييرا كبيرا في كيفية الاتصال والمشاركة بين الأشخاص و المجتمعات و تبادل المعلومات.

والمواقع الاجتماعية كثيرة جداً ولكن يأتي موقعي الفيس بوك facebook والتويتر twitter كأبرز تلك المواقع على مستوى العالم وقد زاد الإقبال عليهما بشكل كبير خلال السنوات الأخيرة رغم حداثة تأسيسهما، حيث تأسس الأول عام 2003م وقد أثير الكثير من الجدل حول الموقع على مدار الأعوام القليلة الماضية لدرجة أن بعض البلدان قامت بحجبه عن مواطنيها كسوريا وإيران وكما حدث في تونس وباكستان. وقد تزايدت شعبية الموقع ليحتل المركز الثاني على مستوى العالم بعد Google.

و قد استعمل الشباب التونسي و المصري هذه المواقع كأداة للتبليغ و الإعلام بتفاصيل الثورة التي قاموا بها، و لتوضيح الأسباب التي دفعتهم لذلك، حيث جزء من ثورة الشباب في تونس كتب على الحائط الافتراضي لموقع فيس بوك، و قد تحصلت بذلك الثورة على الدعم و المساندة من أطرف مختلفة و مناطق عديدة، و هذا ما يلخص الدور الذي لعبه موقع التواصل الاجتماعي في الانتفاضة الشعبية التونسية.

يرى المراقبون أن الإنترنت والهاتف المحمول هما السبب وراء الثورة التونسية والمصرية الثورة الأولى في القرن الحادي والعشرين وأول ثورة في العصر الرقمي الإلكتروني، حيث تتزاوج المعلومات الهائلة من كل حذب و صوب مع اتصالات بسرعة البرق، جعل عقولنا البشرية البيولوجية غير قادرة حتى الآن على جمع الشظايا المعلوماتية المتناثرة، مما أدى بالمتحدث باسم البيت الأبيض الأمريكي أن يقول عن الاحتجاجات المصرية في جمعة الغضب: «إن الأحداث تمضي بسرعة وعشوائية دون إمكانية لتوقع ما سيحصل، لدرجة أن كلامي قبل خطابي هذا قد يتغير بعد نهايته حسب تغير الأحداث». أبطال الإنترنت الجدد هم فيس بوك و تويترو و ويكيليكس، أما المراقب الأول لما يحدث فهو الهاتف المحمول، وهو المراقب الذي لا تضاهيه أي وكالة أنباء على الأرض واليد العابرة التي تحمله لا ينافسها أي صحفي في العالم كالعين جاهزة تقتنص الحدث في كل زاوية وفي أي وقت، ثم تنقل المشهد في ثوان.

والمثير للسخرية في تناقضات تأثير الإنترنت هو ردود الفعل المتناقضة من مصدر واحد، فها هي هيلاري كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية، تحذر دولاً مثل الصين وإيران بضرورة احترام حرية النشر والتعبير الإلكتروني وتطالب بعدم حجب غوغل و فيس بوك وتويتر ومنح المدونين في الإنترنت حريتهم في النشر، ولكنها في ذات الوقت تصادر حق نشر المعلومات في موقع ويكيليكس وتعتبرها خطراً على الأمن القومي الأمريكي بل وتطالب البوليس الدولي بإلقاء القبض على مؤسسها جوليان أسانج كإرهابي وباعتباره المطلوب الثاني بعد بن لادن¹.

بعد أن رأينا كيف استعمل الشباب الإنترنت لدعم ثورتهم و بالمقابل لم تبق الحكومات مكتوفة الأيدي بل قامت بدورها بتكذيب ما ينشر و بتزييف الحقائق، و عليه نطرح السؤال هل الإنترنت إذن يدعم السلطات القمعية أم وسيلة تدعم بها حرية الشعوب؟

لقد كان نظام زين العابدين بن علي يحكم بقبضته على الاتصالات الالكترونية و يضيق على الصحفيين و الإعلاميين و منع المراسلين المحليين و الأجانب من السفر إلى سيدي بوزيد لتغطية الأحداث. و كان الإعلام الرسمي يصف الأحداث بأعمال إرهاب و تخريب وقد حاولت السلطات حجب المعلومات و تحويرها .

فمع القمع و التضييق الإعلامي الذي كان يعيشه التونسيون كان البديل شبكة الانترنت و بالتحديد موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" الذي تمكن من خلاله التونسيون الانتفاخ على الرقابة و على التعقيم الإعلامي وقد حاول النظام إسكات الأصوات المنددة بالأوضاع في تونس بأساليب مختلفة كالسيطرة على صفحات الناشطين على الموقع أو القيام بعمليات الحجب و القمع و الاعتقال. فقبل ثمانية أيام من سقوط بن علي تم اعتقال المدون سليم عمامو و المدون الناشط عبد العزيز حمامي، فردّ نشطاء الانترنت في تونس و خارج تونس بحملة الكترونية واسعة النطاق لقرصنة و تعطيل المواقع الالكترونية الحكومية و تهديد مشغلي الاتصالات و مزودي خدمة الانترنت في حال تم قطع الاتصالات الهاتفية و خدمة الانترنت².

¹ سلاح الثورة: الإنترنت، في:

غير أن الشباب التونسي يمتلك درجة عالية من الخبرة التقنية سمحت للكثيرين من كسر الرقابة و الحظر لنشر الوثائق المختلفة و نقل المعلومات لتنظيم الاحتجاجات، فقد قام شباب الثورة في تونس بنقل كم هائل من المعلومات من صور و فيديو إلى العالم وإلى التونسيين عبر موقع فيس بوك و الانترنت، مما ساعد في إقناع التونسيين بأن الوقت قد حان للانتفاضة و التحرك للخروج إلى الشارع و الانضمام إلى الشباب في ثورتهم .

من خلال ما تقدم يتضح لنا كيف واجه و لازال يواجه البناء الثقافي المغربي تهديدا مباشرا و غير مباشرا من طرف جهات مختلفة استعملت وسائل مختلفة في فترات مختلفة، هدفها واحد هو قيام ثقافة غربية و غربية مكان الثقافة الأصلية. و تعدد الأسباب التي أدت إلى خلق واقع ثقافي جديد.

الفصل الثالث:

تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة:

بعد أن استعرضنا بشكل مفصل الدور الذي تلعبه مواقع الإنترنت وبعض القنوات الفضائية وتأثيراتها السلبية على الأمن الثقافي في بلدان المغرب العربي، يجدر بنا أن نقدم الآليات التي تعمل بشكل إيجابي لتحقيق الأمن الثقافي المغاربي لما له من أهمية في حياة هذه المجتمعات التي اختُرت بفعل الوسائل التي تعتمد عليها العولمة الثقافية.

المبحث الأول: دور التنشئة الاجتماعية و السياسية في تحقيق الأمن الثقافي المغاربي

المطلب الأول: دور التنشئة الاجتماعية في تحقيق الأمن الثقافي المغاربي

تُعد ظاهرة التنشئة الاجتماعية من الظواهر القديمة والمستمرة في المجتمع البشري بوجه عام، فلا يخلو منها مجتمع مهما بلغت درجة بساطته أو تعقده ومهما كانت رتبته في السلم الحضاري، حيث تحرص الجماعات الإنسانية عامة على ترسيخ قيمها ونقل معاييرها وأطرها الثقافية من جيل الآباء إلى جيل الأبناء وتسلك في ذلك مسالك عدة تتشابه وتختلف في بعض جوانبها وفقاً لتباين النسق الثقافي والقيمي بين مجتمع وآخر.

1- مفهوم وتعريف التنشئة الاجتماعية:

التنشئة الاجتماعية هي "عملية أساسية يتم بواسطتها نقل التراث الحضاري، وخبرات الأجداد وقيمهم وعاداتهم إلى الأحفاد، ومنهم إلى الأجيال القادمة، إنها وسيلة الاتصال الرئيسة بين الماضي والحاضر والانتقال من الحاضر إلى المستقبل، ففيها ومن خلالها وفي نطاق الأسرة يلقت الطفل قيم مجتمعه ومثله وأهدافه، وما يعتز به من إنجازات في تاريخه الطويل... فهي في الأساس وظيفة أساسية من وظائف الضبط الاجتماعي"¹.

¹ : محمد إبراهيم عايش وآخرون، "أنماط المشاهدة لبرامج الأطفال في محطات التلفزة المحلية العربية"، مجلة شؤون اجتماعية، العدد 76، السنة 2002، ص 68.

كما تعرف على أنها عملية انتقال الثقافة من جيل إلى آخر، والطريقة التي يتم بها إعداد الأفراد منذ طفولتهم ليعيشوا في مجتمع ذي ثقافة معينة، ويدخل في ذلك ما يلقيه الآباء والمدرسون والمجتمع من لغة ودين ومعايير ومعلومات و مهارات¹ فالتنشئة الاجتماعية بوجه عام تتوخى تشكيل الأفراد وفق متواضعات نمط الحياة السائد اجتماعيا وثقافيا، من خلال استيعاب الفرد للتجربة الاجتماعية ونظام العلاقات، والانخراط النشط والهادف في البيئة الاجتماعية.

2 - أهمية التنشئة الاجتماعية:

تعد مرحلة الطفولة من أهم وأخطر المراحل العمرية في حياة الإنسان، فهي بمثابة اللبنة الأولى التي يتوقف على سلامة وضعها واستقامة بنائها وصلابتها قوة البناء الاجتماعي برمته، لأنها تسهم بقسط وافر في تكوين سلوك الطفل وبلورة شخصيته، وتحديد طريقة تفكيره، فخبرات هذه المرحلة تمتد لتلقي بظلالها على بقية المراحل الأخرى من حياة الإنسان، لذلك قيل بأن الطفل هو أبو الرجل. وبالنظر إلى حساسية هذه المرحلة فقد لقيت عناية فائقة من قبل مختلف الباحثين، وقد كان الفيلسوف اليوناني أفلاطون من السابقين في التفتن والتنبيه لأهمية التنشئة الاجتماعية في الاطمئنان على مستقبل المجتمع، حيث يقول: طالما كان الجيل الصغير حسن التربية، ويستمر كذلك، فإن لسفينة دولته الحظ في سفرة طيبة².

بما أن هناك علاقة قائمة بين التنشئة الاجتماعية والثقافة، حيث تعد التنشئة الاجتماعية بمثابة القناة التي تُؤمن مرور الثقافة بين الأجيال، وإحداث حالة من التناغم والملاءمة الاجتماعية بين الأفراد والمجتمع، فلا يُمكن للثقافة أن تشكل الشخصية وتصوغها إلا عن طريق عملية الصياغة الاجتماعية أو التنشئة الاجتماعية، ذلك أن مستقبل الأمة مرهون بطبيعة الرعاية التربوية والثقافية التي تتلقاها الناشئة، من خلال توفير الأجواء الصحية الملائمة للتدريب على الحوار الهادئ الذي يُفضي إلى مساعدة الناشئة على إبراز مواهبهم، والتعبير عن تطلعاتهم وإعدادهم بطريقة فنية لتذوق

¹ : درة شلبي منصور، "وسائل الإعلام والاتصال والتنشئة الاجتماعية"، مجلة الإذاعات العربية (تونس)، العدد 01، اتحاد الإذاعات العربية 2006، ص53.

² : معن خليل عمر، التنشئة الاجتماعية، عمان، دار الشروق، 2004، ص17.

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

معنى الحياة الاجتماعية السوية. فالمجتمع يرى آماله بأعين أبنائه الذين يسهر على إحاطتهم بشتى صنوف الرعاية والتأهيل لتولي مهمة قيادة الحياة في المستقبل¹. تتدرج أساليب التنشئة والتطبيع الاجتماعي كي تؤمن نقل العدة التربوية و الفكرية لبراعم المجتمع استعدادا للانخراط الجاد في معركة إثبات الذات وتحقيق الوجود.

3- أهداف التنشئة الاجتماعية:

- تتوخى التنشئة الاجتماعية تحقيق جملة من الأهداف في كل المحطات العمرية للإنسان حتى تستطيع تأكيد حضورها في المشهد الاجتماعي بوجه عام، ويمكن إجمال هذه الأهداف فيما يلي²:
- أ- تأمين انتقال الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي.
 - ب- المساهمة في نقل التراث الاجتماعي والثقافي بين الأجيال.
 - ج- توجيه سلوك الأفراد وتصرفاتهم بما ينسجم مع متواضعات المجتمع.
 - د- تمكين الفرد من المشاركة الاجتماعية، وتحقيق التماسك الاجتماعي وفقا للقيم والقواعد الاجتماعية المرعية.
 - هـ- تحقيق التوافق الاجتماعي من خلال الاتساق مع القيم والمعايير الاجتماعية للمجتمع.
 - و- تعليم وتدريب الفرد على الأدوار الاجتماعية، بما يهيئ التناغم مع ثقافة المجتمع.
 - ز- مساعدة الفرد على تحقيق طموحاته البناءة، وتزويده بمختلف الخبرات التي تساعده التدرج في سلم الترقى الاجتماعي، دون التمرد على ثقافة مجتمعه.

¹ : عبد الرحمان النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، 1999، ص27.

² :معن خليل عمر، التنشئة الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 46.

4- وظائف التنشئة الاجتماعية لتحقيق الأمن الثقافي المغاربي:

ذكرنا سابقاً أن التنشئة الاجتماعية هي عملية انتقال الثقافة من جيل إلى آخر، و الوسيلة في ذلك هم الآباء والمدرسون والمجتمع من لغة ودين ومعايير ومعلومات ومهارات، و عليه فإن للتنشئة الاجتماعية مؤسسات تربوية سواء كانت نظامية أو غير نظامية تلعب دوراً مهماً في تحقيق الأمن الثقافي لدى مجتمعات دول المغرب العربي.

أ- دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية لتحقيق الأمن الثقافي المغاربي:

سوف نتناول بالتوضيح والتحليل لأهم أدوار الأسرة في تحقيق المتطلبات التربوية لتحقيق الأمن الثقافي لدى الشباب في المغرب العربي، وذلك بعد عرض مفهوم الأسرة ووظائفها والتغير في الدور التربوي للأسرة في ظل النظام العالمي الجديد، وذلك على النحو التالي:

- مفهوم الأسرة:

تُعرف الأسرة على أنها جماعة اجتماعية تربط أفرادها روابط الدم والزواج، ويعيشون معاً في حياة مشتركة ويتفاعلون على نحو مستمر للوفاء بالمتطلبات الاجتماعية والاقتصادية لبقاء الأسرة.

كما يشير مفهوم الأسرة على أنها المؤسسة الاجتماعية الأولى في حياة الأطفال المبكرة حيث تدمهم بالخبرات والمهارات الجسمية، والاتجاهات الخاصة بحب التملك والسيطرة، واكتساب معظم الأولويات الضرورية مثل الآداب والذوق، والنمو اللغوي، وتكامل الشخصية، علاوة على ذلك نقل المعلومات والخبرات والقيم من جيل إلى جيل حتى تساعد على فهم العالم الخارجي والتفاعل معه حيث تعقد العلاقات وتشابكها، فالأسرة هي الجماعة الإنسانية الأولى التي يتعامل معها الفرد منذ صغره، ويكون لها دوراً رئيسياً في تعليم الفرد الحب والانتماء لمجتمعه، كما تساعد على تكوين أخلاقه وإكسابه العادات والقيم المتنوعة في جميع مجالات الحياة¹.

¹ : خالد بن حازم الحازمي، منهج التربية الإسلامية في تحقيق الأمن الاجتماعي، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1420هـ، ص 12.

- وظائف الأسرة:

تشكل الأسرة في وضعها الراهن إحدى المؤسسات الاجتماعية التي عُنت بتربية الطفل تربية غير مقصودة وذلك منذ ولادته، وأصبح دورها محددًا بالعديد من الوظائف من أهمها ما يأتي:

1- التربية الجسمية والصحية: حيث تتكفل الأسرة رعاية أبنائها وتربيتهم جسدياً وصحياً وذلك بتقديم الغذاء الكامل لتنمية أجسامهم، وحمايتهم من الأمراض، وتعليمهم أساليب النظافة وممارسة العادات الصحية السليمة¹.

2- التربية العقلية والثقافية: إن شعور الأطفال بالحنان والعطف والحب من الآباء وال كبار في الأسرة يزيد من معدل نموهم العقلي، وإن للأسرة أهمية كبرى في تغذية فكر أطفالها وتفتح قدراتهم العقلية ليكتشفوا ثقافة العصر الذي يعيشون فيه².

3- التربية الأخلاقية والنفسية والانفعالية: إن من المهام الرئيسية لدور الأسرة تأمين التربية الصالحة لأبنائهم في جميع مجالات الحياة المختلفة، ليكتسبوا قيماً واتجاهات سليمة تناسب متطلبات مجتمعهم، وتزودهم بالثقافة التي تتلاءم وظروف العصر الذي يعيشون فيه، كما أن تقديم الأم لأبنائها العطف والحنان والحب المتبادل ضرورة ملحة لشعورهم بالأمن والاطمئنان العاطفي³.

تعتبر الأسرة المؤسسة الأخلاقية الأولى التي يتعامل معها الفرد منذ صغره، وهي على درجة كبيرة من الأهمية في التربية الأخلاقية وتنمية وتأسيس القيم الأخلاقية في مراحل نمو الفرد المختلفة وخاصة في مرحلة الشباب، فالأسرة بصفة أساسية هي المسؤولة عن تلقين الأخلاق والمبادئ الأخلاقية، ونقل القيم الأخلاقية إلى أبنائها منذ صغرهم، وذلك عن طريق تلقين المبادئ الأخلاقية بأساليب أمرية وتحذيرات خطابية، وذكر أنواع الفضائل الأخلاقية وأنواع المحرمات والردائل، أي تكوين الحس الأخلاقي لدى الفرد الذي يستطيع التمييز بين الخير والشر.

¹ : خالد بن حازم الحازمي، مرجع سابق، ص 14.

² : المرجع نفسه.

³ : دور المؤسسات التربوية في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي، في:

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

4- التربية الوطنية والاقتصادية: إن من أهداف التربية الأسرية هي غرس روح الانتماء والمواطنة للمجتمع والوطن وتحقيق الأمن والمحافظة على التقاليد والقيم الوطنية، كما أن تدريب الأبناء على كيفية التعامل مع الأمور المالية أمر مهم جداً من الناحية الاقتصادية.

فالأُسرة كمؤسسة اقتصادية تساهم في تنمية الوعي الاقتصادي لدى الأبناء وخاصة في مرحلة الشباب بالأعراف والتقاليد الاقتصادية وكذلك العمل على تشجيعهم على العمل والإنتاج، وإكساب الشباب مبادئ ربط التعليم بسوق العمل، مع الالتزام بالسلوكيات الأخلاقية في المعاملات الاقتصادية حتى لا تؤثر على مسيرة التنمية في المجتمع المغربي لمواجهة الهيمنة الاقتصادية والثقافية والتكنولوجية المصاحبة للعولمة الاقتصادية، والذي سيقوم بدوره في تحقيق الأمن الاقتصادي والثقافي للمجتمع المغربي في ظل النظام العالمي الجديد.

5- التربية الدينية : إنَّ الأسرة هي المصدر الأساسي في غرس العقيدة الدينية السليمة لدى الفرد منذ صغره، وذلك بإمداده بالمعلومات الدينية والقيم الدينية، وتزويده بالصفات الحميدة، وغرس المثل والمبادئ والخصال الحميدة، وإتباع منهج الله ورسوله الكريم، وإكساب الفرد السلوك الطيب والقويم في حياته¹.

حيث تقوم الأسرة بغرس العقيدة الدينية في نفوس الشباب منذ الصغر وذلك من خلال الحكمة والموعظة الحسنة، ومعرفة الشباب بالعقيدة من خلال الإيمان بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والتسليم لله تعالى في القضاء والقدر، والالتزام بالأوامر والتكاليف الشرعية من خلال ممارسة الشعائر الدينية وأداء الفرائض، ولا تتخاذل الأسرة عن محاسبتهم إذا قصر فرد من أفرادها في ذلك، علاوة على ذلك فالأسرة لها دور هام في حماية الشباب من الغزو الفكري والتصدي للأفكار الهدامة والعقائد الفاسدة وحملات التشكيك التي تستهدف زعزعة العقيدة في نفوسهم، وذلك من خلال التوعية الدينية السليمة، وإمدادهم بالقدر المناسب من الثقافة الدينية السليمة التي تحقق لهم أمن ثقافي ديني قادر على مواجهة التحديات العالمية المعاصرة.

¹ :أدوار المؤسسات التربوية غير النظامية في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي، في:

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

6_ الحفاظ على اللغة العربية: كما تلعب الأسرة دوراً هاماً في تعليم الفرد منذ صغره اللغة وقدوته على استخدامها، ودلالاتها الثقافية، والتعبيرات اللغوية المناسبة للمواقف الاجتماعية، فاستخدام اللغة والقدرة على النطق والتعبير وتوصيل الأفكار يبدأ من الأسرة، من خلال ما توفره للطفل من فرص لاستخدامها والتواصل مع الآخرين، والتعبير عن أفكاره وآرائه¹.

للأسرة وظيفة هامة في تعليم اللغة العربية التي هي مفتاح تعليم العلوم والقرآن والسنة، وهي وعاء الثقافة العربية، هذا فضلاً عن دورها في تذوق الجمال الأدبي والتشريعي، وتفصيح اللسان لدى أبنائها وخاصة في مرحلة الشباب، فذلك سيكون له أثر قوي في فهم أمور الدين والدنيا، والكشف عن مكانتها في العالم المعاصر الذي يهدد اللغة العربية ويقلل من شأنها².

فالأسرة لها دور كبير في الحفاظ على اللغة العربية لأنها من أهم مقومات المحافظة على الأمن الثقافي لدى الشباب في المغرب العربي، فضلاً على أنها أداة التفكير والإبداع والحفاظ على ثقافة الأمة من التهديدات الموجهة إليها، فالوالدين لهما دوراً كبيراً في تلقين الأبناء اللغة العربية السليمة البعيدة عن الألفاظ العامية والألفاظ الغير واضحة من الثقافات واللغات الأخرى المنتشرة بين الشباب في الوقت الراهن، والعمل على توضيح مكانة اللغة العربية لديهم، أنها الأساس والأفضل في تنمية الإبداع والتفكير والابتكار من اللغات الأخرى، وبالإضافة إلى ضرورة توجيه الأسرة أبنائها إلى قراءة القرآن الكريم حتى تستقيم ألسنتهم بالألفاظ العربية الصحيحة التي يتحدثون بها في حياتهم اليومية.

7_ الأسرة و المتطلبات الإعلامية: حيث تقوم الأسرة بالتربية الإعلامية لأبنائها، واختيار شكل ومضمون الرسالة الإعلامية المناسبة لهم وذلك في النقاط التالية³:

- تدريب الأبناء على طريقة التفكير العلمي والمهارات العقلية للوصول إلى أفضل استخدام ممكن لوسائل الإعلام بما يحقق لهم تنميةً وتطويراً ورقياً في الجوانب المعرفية والنفسية والسلوكية.

¹ : أدوار المؤسسات التربوية غير النظامية في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي، مرجع سبق ذكره.

² سميرة أحمد السيد، علم اجتماع التربية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1993م، ص 17.

³ :المرجع نفسه.

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

- وقاية الأبناء من إتباع السلوكيات الشائعة في استخدام وسائل الإعلام، لأنها لا توظف للترفيه والتسلية وضياع الوقت، ونشر الرذيلة ولكن لا بد أن نأخذ منها ما يتفق مع القيم الدينية والأخلاقية، والمصالحة الدنيوية، ونترك ما لا ينفع أو ما يضر وغيره.

- التوعية من جانب الوالدين بالمفاهيم الخاطئة التي تنشرها الفضائيات أو شبكات الإنترنت عن الإسلام والسلوكيات الخاطئة للمسلمين، وكذلك التوعية بخطورة الغزو الثقافي على الثقافة المغاربية، ويجب أن يكون ذلك على أساس من التوجيه والمتابعة وإعادة التصحيح والتعديل للأبناء.

يجب على الأسرة أن تُحسن استخدام وسائل الإعلام المختلفة لدى الأبناء في التنشئة الاجتماعية السليمة، وفي غرس القيم والفضائل الدينية والأخلاقية، ونقل التراث الثقافي إليهم، وكذلك توضح أهمية العمل والدقة فيه، فكل ذلك يكمن في وسائل الإعلام وخاصة القنوات الفضائية والإنترنت في العصر الراهن، وبذلك سوف يتم تحقيق الأمن الثقافي لدى الشباب المغاربي في حاضرهم ومستقبلهم.

إجمالاً يمكن القول أن الأسرة تعد من أهم مؤسسات المجتمع الذي يتفاعل معها الفرد، ويكتسب من خلال هذا التفاعل معالم شخصيته، وتتكون الاتجاهات والقيم والعادات وأنماط السلوك في السنوات الأولى من عمره، بالإضافة إلى إكسابه الأنماط الثقافية السائدة في مجتمعه، حتى يتمكن من الشعور بالأمن والاستقرار والتكيف مع المجتمع الموجود به، ومن ثمّ، فالأسرة المغاربية من خلال التنشئة الاجتماعية للفرد منذ صغره تحافظ على الأمن الثقافي المغاربي حيث أنها تهيب الشباب لمطالب المجتمع في المغرب العربي، وتغرس فيهم إتباع قيمه وعاداته وتقاليده، علاوة على ذلك الاندماج في نسيجه والحفاظ على ذاتيته الثقافية بما تشمل هذه الذاتية من تراث ثقافي متراكم من القيم والعادات واللغة السائدة في المجتمع المغاربي، والتاريخ، والاتجاهات، وأنماط السلوك التي تتفق مع تعاليم الدين والمبادئ الأخلاقية، فيتم بذلك تحقيق أمن المجتمع المغاربي وتماسكه ضد الأخطار الخارجية وخاصة الثقافية في ظل النظام العالمي الجديد.

ب _ دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية لتحقيق الأمن الثقافي المغاربي:

للمدرسة دور بالغ الأهمية في تنشئة الفرد وتنمية شخصيته الاجتماعية وتأهيله علمياً وعملياً، فالطفل يبدأ في دخول المجتمع الكبير من خلال المدرسة، حيث يتوجب عليه أن يعيش فيها تحت سلطة نظام اجتماعي، فمنها يبدأ في تعلم ما ينعكس بالضرورة على سلوكه وطبعه وتكيفه مع المجتمع الذي يعيش فيه، ومنها ينعطف نحو المستقبل مزوداً بالقيم والمفاهيم التي تقوده في مسيرته وتحدد إلى حد كبير دوره في هذا المجتمع¹.

لقد أكد أميل دوركهايم على ضرورة تخطيط التعليم. ويرى أن التخطيط التربوي ليس عملية مستقلة وإنما لابد وأن يتم التخطيط التربوي في ضوء التخطيط الشامل للمجتمع لكي يتناسب مع احتياجاته وحاجات أفراد وطبيعة العصر. وأعتبر دوركهايم أن الدولة مسئولة عن تحديد الأساسيات التي ترى أن المدرسة يجب أن تؤكد الأهداف التي ترى المدرسة يجب أن تحققها².

من هنا ترد أهمية المناهج التعليمية والعلمية التربوية التي تنهض المدارس بتقديمها، والتي يفترض أن يعم من خلالها تربية النشء وتوجيه سلوكه، وتغيير بعض المفاهيم التي نشأ عليها في طفولته المبكرة وما اعترأها من هزات ومشاكل يمكن أن تقوده إلى الجنوح والانحراف، فخير المناهج تلك التي ترمي إلى التهذيب و تمييز الأصيل و الدخيل عن ثقافة المجتمع المغاربي .

ولا شك أن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وما تشمله من قيم وأخلاق هي الأجود والأجدى في تربية عقول النشء وتركيز نفوسهم، بيد أن مراعاة ذلك لا يمنع من تضمين المناهج التعليمية التربوية بعض المواد التي تستلزمها مساهمتهم في حياة المجتمع والاندماج فيه، كتلك التي تتجه مباشرة صوب تعريفهم بالثقافة المغاربية و تاريخها و اختلافها عن الثقافة الغربية وآثارها السلبية وإعدادهم للمشاركة الفعالة مع مختلف الفئات والقطاعات المعنية في الحفاظ على ديمومة هذه الثقافة.

وفي هذا الصدد يبرز دور الدولة بمختلف أجهزتها ومؤسساتها المعنية في ممارسة نوع من الرقابة على عملية تصميم المناهج بحيث لا تتناقض مع مبادئ التربية السليمة والمصلحة الاجتماعية³.

¹ :هاشم بن محمد الزهراني، الأمن مهمة الجميع، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع و الأمن، كلية الملك فهد الأمنية بالرياض، 21- 24 فيفري 1425هـ.

² :Emile Durkheim, Education and Society, translated, (Illinois ;The Free Press, 1956), p72.

³ :سعد عبد الله بردي الزهراني، دور المدرسة في الوقاية من الجريمة، الرياض، مركز الدراسات و البحوث، 1999، ص 8-9.

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

من هنا يتلخص دور المدرسة في¹:

— تعميق الحضارة الفكرية لدى الأجيال الناشئة، بزيادة التوجيه الفكري والديني وتقليل الإعجاب بحضارة الغرب، والسعي إلى تأكيد النظر إليها على أنها ثقافة دنيوية بعيدة عن النواحي الروحية التي تميز حضارتنا ويمكن إثبات جوانب القصور لهذه الثقافات من خلال التعريف بالوقائع التي تنقلها أجهزة الاتصال المختلفة والتي تتعلق بانهايار العلاقات الاجتماعية أو سيطرة النظرة المادية البحتة على العلاقات بين الأفراد والمؤسسات.

-السعي نحو تعميق الانتماء الحضاري الوطني وللشريعة الإسلامية من خلال الندوات واللقاءات التي يمكن أن تنظمها المؤسسات التربوية المختلفة، وأن يكون الهدف هو تحديد ما يمكن قبوله وما يمكن رفضه من ثقافة الآخرين.

-الاهتمام بتقوية المؤسسات التربوية لكي تقوم بدورها الحضاري، من خلال فتح قنوات حوارية بين المؤسسات التربوية والمؤسسات الأمنية والتي يتم من خلالها عرض مجموعة من المشكلات الأمنية الناتجة عن التحديات الثقافية التي تواجه مجتمعنا.

إن التعليم له دوره الفعال في مواجهة أخطار العولمة التي تواجهها المجتمعات المغاربية، فالنظام التعليمي يعمل على الحفاظ على هويتنا، من خلال تعميق الهوية وغرس الانتماء والولاء للوطن ثم للأمة الإسلامية، وفي الوقت نفسه المحافظة على أمن المجتمع من أخطار العولمة، هذا التعليم الذي ننشده لا بد أن يقوم على الركائز التالية:

-تربية الهوية وتعميق الانتماء: إن الاختراق الثقافي، يتطلب من النظام التربوي أن يؤدي دوراً أكثر فاعلية في تعزيز الهوية وتعميق الانتماء والاعتداد بالثقافة المغاربية، كما يلزم ترسيخ عقيدة الإيمان بالله وترسيخ أن الإسلام منهج شامل للحياة في جميع جوانبها².

-تربية المسؤولية الاجتماعية: من خلال تعزيز وتنمية شعور الناشئة بالمسؤولية الاجتماعية وذلك من خلال حس الفرد، وشعوره وتأكيد دوره ومسؤوليته تجاه المجتمع. والمسؤولية الاجتماعية تنمو عند الفرد من خلال إدراكه لعقيدة الأمة وتاريخها وتشرب ثقافتها وقيمها وبذلك يكون التأكيد

¹ : مصطفى العوجي، التربية كوسيلة للوقاية من الانحراف، الرياض، جامعة نايف العربية للدراسات الأمنية، 1401هـ، ص 77.
² : ابراهيم بن محمد آل عبد الله، مستقبل التعليم و الأمن في عصر العولمة، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1420هـ، ص 9.

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

على تكثيف التربية الإسلامية والمعارف التاريخية والجغرافية من أولويات النظام التربوي لتعزيز ارتباط الفرد بالمجتمع والوطن¹.

- التربية الشورية: إن التربية الشورية خيار لا مناص منه في عصر العولمة وتدفق المعلومات واتساع شبكة الاتصال، ومن ثم لا بد أن تتلشى كل مظاهر التربية التسلطية، وأن تصبح العلاقة داخل مؤسساتنا التعليمية قائمة على التقدير والاحترام والحوار. والتربية الشورية مطلب شرعي وحق فطري وهو شرط أساسي لرعاية الإبداع والتشجيع عليه، كما أنها مطلب أممي من أجل مشاركة الجميع في حفظ الأمن والنظام داخل الدولة².

- تربية الإعداد للحياة: من سمات النظام التربوي الناجح أن يُعد الفرد للتأقلم والتكيف مع المتغيرات الثقافية والاجتماعية، والذي يزود أفرادَه مهارات التفكير المنظم، وأساليب فهم المشكلات وعلاجها.

- تربية الإبداع: فالثورة المعاصرة هي ثورة معلومات وتعتمد على العقول البشرية المتفوقة التي تستطيع أن تولد المعلومات حول شؤون الحياة، ودون رعاية هذه العقول وتحسينها لا تستطيع الصمود في عصر العولمة.

ومن ثم، تُعد التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات التي تتم داخل البناء الاجتماعي لأي مجتمع، فهي تغرس القيم الثقافية، وتشكل شخصية الفرد في ضوء ثقافة المجتمع وأهدافه واتجاهاته والقيم والعادات المتعارف عليها، حتى يتحقق الولاء والانتماء للمجتمع في ظل التحديات المعاصرة، التي تُشكل تهديداً واضحاً لعملية التنشئة الاجتماعية للفرد من خلال مؤسساتها المختلفة (الأسرة، والمدرسة، ودور العبادة، ووسائل الإعلام... وغيرها)، في المجتمع. و عليه يمكن القول بأن التنشئة الاجتماعية السليمة من متطلبات تحقيق الأمن الثقافي المغربي من خلال مواجهة كافة مظاهر الغزو الثقافي، التي تهدد الهوية الثقافية المغربية.

¹ : ابراهيم بن محمد آل عبد الله، مستقبل التعليم و الأمن في عصر العولمة، مرجع سبق ذكره، ص ص 5-7.

² : هاشم بن محمد الزهراني، الأمن مهمة الجميع، مرجع سبق ذكره.

المطلب الثاني: دور التنشئة السياسية في تحقيق الأمن الثقافي المغاربي

1- مفهوم التنشئة السياسية:

تعرف التنشئة السياسية على أنها عملية مركبة تعنى من ناحية بنقل معلومات سياسية، قيم، ووجهات نظر الوالدين، المدرسين، دور العبادة، الرفاق، ووسائل الإعلام المختلفة لاسيما المرئي منها وتشير من ناحية أخرى إلى نمو قدرة الطفل على فهم البيئة السياسية التي يعيش في إطارها¹.

اختصارا التنشئة السياسية هي الطريقة التي ينقل بها المجتمع ثقافته السياسية من جيل إلى جيل آخر، وهذه العملية تخدم المجتمع، حيث أنها تساعد على حفظ التقاليد والتعاليم والمؤسسات السياسية لذلك المجتمع.

2- أهداف التنشئة السياسية:

تحتل التنشئة السياسية مكانة غاية في الأهمية بالنسبة إلى المجتمع و النظام السياسي، و من أهم وأسمى مهام التنشئة السياسية قيامها بدعم الوحدة الوطنية و ترسيخ روح الاندماج القومي و المساهمة في تجسيد شعور قوي بالهوية الوطنية، إضافةً إلى كونها تساعد في عملية التطوير الثقافي للفرد².

كما ترمي التنشئة السياسية إلى تكوين المواطن المتشبع بالقيم الديمقراطية ومبادئ حقوق الإنسان، القادر على ممارستها في سلوكه اليومي من خلال تمسكه بحقوقه واحترامه لحقوق غيره، الحريص على حقوق ومصالح المجتمع بقدر حرصه على حقوقه ودفاعه عنه³.

3- مصادر التنشئة السياسية لتحقيق الأمن الثقافي المغاربي:

إن مصادر التنشئة السياسية تعمل على تعميق الروح الوطنية والقومية لدى الأفراد ما يجعلهم يعتزون بثقافتهم وتراثهم وحضارتهم ذلك الاعتزاز الذي يدفعهم لأن يضحوا في سبيل وطنهم

¹ مولود زايد الطيب، التنشئة السياسية و دورها في تنمية المجتمع، عمان، المؤسسة العربية الدولية للنشر، 2001، ص 75.

² : "الأسرة و التنشئة السياسية"، في:

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

و على ذلك فالأسرة من خلال تعريف الشباب منذ الصغر بالحقوق والواجبات التي تجعلهم مواطنين صالحين في المجتمع، فتغرس في نفوسهم حب الوطن والانتماء إليه والمشاركة في تقدمه، فإنها بذلك تسهم في تأكيد وتأسيس الذاتية الثقافية لهم.

كما تلعب الأسرة دوراً بارزاً في غرس المشاركة السياسية لدى الشباب وذلك من خلال التربية السياسية لهم منذ الصغر التي تُعتبر أساس هذه المشاركة وذلك من خلال الجوانب التالية¹:

1 - مساعدة الأبناء على إكسابهم كثيراً من التوجهات السياسية مثل الولاء والوطنية والإخلاص وغيرها من القيم السياسية في المجتمع.

2 - إتباع الوالدين الممارسات القائمة على الشورى والديمقراطية مع الأبناء داخل المنزل، فهذا يؤكد القول: أنه كلما زادت مشاركة الطفل في صنع القرار داخل الأسرة، كلما زادت المشاركة السياسية له وهو في مرحلة الشباب.

3 - العمل على تنمية الوعي والتفكير السياسي لدى الأبناء من خلال المعلومات السياسية عن نظام الحكم واحترام السلطة وإطاعة القوانين فهذا يعمل على تشكيل الذات السياسية منذ الطفولة.

مما سبق يمكن القول: أن الأسرة تعمل على غرس ثقافة المشاركة السياسية لدى الشباب في المجتمعات المغاربية من خلال ممارسة المشاركة في الاجتماعات أو المناقشات السياسية الهامة داخل الأسرة، أو خارجها كممارسة حق التصويت أو الترشيح في الانتخابات السياسية العامة أو المحلية، فذلك يجعل الشباب إيجابياً قادراً على المشاركة في حل مشكلاته فيكون بذلك محافظاً على أمنه القومي بما يشتمل على أمنه الثقافي في ظل تحديات العولمة السياسية التي تستهدف هدم النظم السياسية في البلدان النامية.

كما أن الأسرة لها أثر فعّال ومؤثر في توعية أبنائها وإكسابهم مبادئ حقوق الإنسان وذلك على النحو التالي²:

¹ : مولود زايد الطيب، التنشئة السياسية و دورها في تنمية المجتمع، مرجع سبق ذكره، ص78.

² : "الاسرة و التنشئة السياسية"، في: www.ejtemay.com في 2012/03/19 على الساعة: 11:24

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

- 1- يجب على الوالدين الابتعاد بأبنائهم عن فعل ما يخلق الضرر بالغير في النفس أو المال أو البدن أو العرض وغيرها، حتى يكون الوالدان قدوة حسنة في مجال احترام حقوق الإنسان في الحياة.
 - 2- أن يقوم الوالدان بإسداء النصح لأبنائهم بأساليب مقبولة شرعاً ووضعاً، وخاصة في النصائح المتصلة بحق الإنسان في الحياة وفي سلامته وسلامته غيره باعتبارها من أهم أشكال صيانة النفس الإنسانية.
 - 3- يجب أن تطبق الأسرة مبادئ العدل والمساواة وتكافؤ الفرص في تعاملها مع أبنائها، فلا تفرق بينهم، وذلك لأن قيام الوالدين بتطبيق هذه المبادئ يجعل الأبناء يحبون بعضهم البعض، ولا يفكر أحد في التخلص من الآخر، فيكون ذلك إهدار لحق الإنسان في الحياة.
 - 4- على الأسرة الاهتمام بمتابعة سلوك الأبناء وتصرفاتهم والمحافظة عليهم من الانحراف وارتكاب الجرائم التي تضر بالمحافظة على النفس الإنسانية وحقهم في حياة آمنة مستقرة.
- ومن ثمّ، فالأسرة من خلال إكساب الشباب مبادئ حقوق الإنسان والمتمثلة في العدل والمساواة وتكافؤ الفرص، وحق الإنسان في المأكل والملبس والسكن اللائق، وكذلك الحق في التعليم والرعاية الاجتماعية والصحية وسائر حقوق الإنسان الأخرى إنما تحميهم من الانحراف وارتكاب الجرائم المتنوعة الضارة بأنفسهم وبالمجتمع الذي يعيشون فيه، علاوة على ذلك تأثرهم بالثقافات الغربية عن حقوق الإنسان العصرية التي تتنافى مع القيم والعادات النابعة من الدين في المجتمع المغربي، ويؤدي ذلك إلى عدم تحقيق الأمن الثقافي المغربي في ظل التهديدات الموجهة إلينا بدعوى انتهاك حقوق الإنسان في المجتمع.

ب- دور المدرسة في عملية التنشئة السياسية:

نقصد بالمدرسة في هذا المجال تلك المؤسسات التي يقيمها المجتمع لغرض التربية والتعليم واضعا في الاعتبار المبنى والمعلم والكتب والمناهج التعليمية ووسائل الإيضاح التعليمية وجميع النشاطات التي تتولى المدرسة مسؤوليتها، وبما أن المدرسة تمثل عاملا مهما من عوامل

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

التنشئة السياسية و الاجتماعية، فإنها تعمل بوسائلها المختلفة عملا يشبه إلى حد كبير دور العائلة¹.

تعد المدرسة البيئة الثانية التي يواجه الطفل فيها نموه وإعداده للحياة المستقبلية. حيث دورها يأتي بعد دور الأسرة التي لا يكتمل دورها إلا بما تضيفه المدرسة من مبادئ تسهم في تشكيل شخصية الطفل.

والتعليم لا يقتصر على مجرد شحن العقل بأفكار ومفاهيم نظرية، بل يجب أن يقدم أسلوبا ونموذجا للسلوك وأداة هذا التعليم هي المدرسة وما تحويه من مناهج وما تدرسه من مواد. كما تستكمل المدرسة مهمة الأسرة في النضوج السياسي والاجتماعي للطفل بوصفها منظمة أو مؤسسة من مؤسسات الدولة، يتعلم فيها الطفل النظام، ويتعلم حقوقه وحقوق الآخرين وواجباته نحو المجتمع والناس، ويتعلم الالتزام بمعايير المجتمع وقواعد الديمقراطية، وأدب الحوار واحترام المعلم بوصفه بديل الأب من ناحية وممثل السلطة من ناحية. فاحترام المعلم دليل على تقدير الطفل لدور الأب وتبجيل المعلم دليل على احترام سيادة السلطة والقانون. و ذلك لب الوعي السياسي الذي هو مفقود لدى أبنائنا من تلاميذ الابتدائي إلى طلاب الجامعات².

وقد أثبتت البحوث أن المدرسة والكتاب والمدرس لهم ثقلهم وأهميتهم القصوى باعتبارهم مصدرا لتكوين المفاهيم السياسية للأطفال من خلال المقررات الدراسية والمكتبية والأنشطة الطلابية وفكرة الحكم الذاتي ومناقشة الأحداث والموضوعات السياسية. فالمقررات الدراسية تتضمن الاتجاهات الأيديولوجية السائدة في المجتمع، وتمثل وجهة نظر الدولة وسياستها. وهي تسعى إلى ربط الطفل بوطنه وجعله محور تفكيره من خلال تعريفه بوطنه وجغرافيته وتاريخه وأثاره وشخصياته³.

يستحيل أن ننكر دور المدرسة أو نهمل أهدافها في مجال التربية السياسية. فهي مؤسسة

¹ :مولود زايد الطيب، مصادر التنشئة السياسية و دورها في تنمية التفكير الأيديولوجي لدى الأفراد، ليبيا، 2003، ص 34.

² : "المدرسة و التنشئة السياسية"، في:

www.ejtemay.com

في 2012/03/22 على 18:43
³ : المرجع نفسه.

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

اجتماعية تربوية غير محايدة في علاقاتها بالفكر الإيديولوجي السائد في مجتمع معين يعكس التركيب الكائن منه، بل ويساعد على استمرارية هذا التركيب والمحافظة عليه وتدعيمه إيديولوجيا، حيث أن المقررات الدراسية تتضمن الاتجاهات الإيديولوجية السائدة في المجتمع وتمثل وجهة نظر الدولة وسياساتها¹.

إن المدرسة تلعب دورا هاما في حياة الأطفال والفتيان لأنها الامتداد العام والطبيعي والمنظم والرسمي للأسرة. وبعبارة أخرى فإن المدرسة تستكمل النمو الاجتماعي والسياسي للأسرة. وتقوم بدورها في عملية التنشئة السياسية من خلال طريقتين:

-التثقيف السياسي الذي تقوم به المدرسة من خلال مواد معينة كالتربية الوطنية و التاريخ.
-طبيعة النظام المدرسي لأن المدرسة تمثل وحدة اجتماعية لها جوها الخاص الذي يساعد بدرجة كبيرة في تشكيل إحساس التلاميذ بالفاعلية الشخصية وفي تمديد نظرهم للبناء الاجتماعي القائم.

تطلب التنشئة السياسية بواسطة المدرسة وعيا سياسيا وانتباها كاملين من جانب صانعي السياسات التعليمية بأهمية تلك العملية للمجتمعات المغاربية في حاضرها ومستقبلها. وهي تقتضي تجردا كاملا من أي ارتباطات فكرية أو مؤسسية غير الارتباط بالوطن ومصالحه العليا، وتستلزم حيادا اجتماعيا يعلي الوضع الاجتماعي لأي صانع قرار تعليمي.

ج- الأحزاب السياسية و متطلبات الأمن الثقافي المغاربي:

تعد الأحزاب السياسية من المؤسسات التي تلعب دوراً هاماً بالغ الأهمية إزاء القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمع.

يقصد بالأحزاب السياسية: أنها مجموعة منظمة من الناس اجتمعت من أجل العمل المشترك لتحقيق مصلحة الوطن عن طريق تحقيق المبادئ التي يعتنقونها، ووظيفتها الوصول إلى السلطة أو التأثير على من في السلطة، وتساهم في صياغة الثقافة السياسية في المجتمع من خلال برامجها ومبادئها، وعمليات التوعية السياسية التي تقوم بها².

¹ : مولود زايد الطبيب، مصادر التنشئة السياسية و دورها في تنمية التفكير الإيديولوجي لدى الأفراد، مرجع سبق ذكره، ص 36.

² : مولود زايد الطبيب، التنشئة السياسية و دورها في تنمية المجتمع، مرجع سبق ذكره، ص 82.

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

تقوم الأحزاب السياسية بوظائف متعددة في المجتمع المغربي، من أهمها¹:

- التنظيم: حيث لكل حزب نظمه و قواعده التي تنظم العمل داخله، و أسس يتم في ضوئها اختيار القيادات داخل الحزب قبول الأعضاء و اتخاذ القرارات.
- نشر الأيديولوجية بين الناخبين: حيث تعتبر الأيديولوجية أحد المكونات الأساسية للحزب السياسي، و الأيديولوجية تعبر عن النسق الفكري للحزب متضمنا المبادئ و الأهداف.
- الوظيفة للوظيفة: حيث يعد الوصول إلى السلطة أو على الأقل فيها غاية كل حزب سياسي، تك الغاية التي تتنافس من أجلها الأحزاب السياسية المختلفة.

و على ذلك، فالأحزاب السياسية لها وظائفها المتعددة في المجتمع المغربي، من خلال نشر المبادئ و الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها و الوصول إلى السلطة . و على الحزب أن يقوم بتقديم التوعية للمواطنين حول مختلف القضايا و المشكلات لجعلهم قادرين على المشاركة للقضاء على معوقات التطوير في ظل متغيرات العصر الحالي، و خاصة المتغيرات الموجهة إلى ثقافة المجتمع المغربي في ضوء العولمة الثقافية.

هذا ما يجعل للأحزاب السياسية دور في تحقيق الأمن الثقافي المغربي من خلال ما يلي:

تسهم الأحزاب السياسية في تنمية وعي الأفراد الديني وبناء شخصياتهم على أساس من العقيدة الدينية الراسخة، وذلك عن طريق إكسابهم المعلومات والمعارف والقيم الدينية عبر مراحل حياتهم المختلفة، وهي بهذا تسهم مع غيرها من مؤسسات المجتمع المغربي في التربية الدينية للأفراد، فتسهم في الوعي لدى الشباب بخطورة القضايا الدينية التي يتعرضون إليها والتي تهدد أمنهم العام والثقافي على وجه الخصوص، كما يرتبط الدور المأمور بالأحزاب السياسية كأحد أهم مؤسسات المجتمع المدني بالقدرة على تنمية وعي الشباب بالتراث الحضاري والثقافي للحضارة العربية الإسلامية، حتى يكون الشباب قادراً على الجمع بين الأصالة والمعاصرة ومحافظاً على لغته القومية، مواجهاً لكافة التهديدات التي تستهدف الثقافة العربية في هويتها وذاتيتها الحضارية في ظل التغيرات العالمية المعاصرة.

¹ : زايد الطيب، مصادر التنشئة السياسية و دورها في تنمية التفكير الأيديولوجي لدى الأفراد، مرجع سبق ذكره، ص 39.

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

فالأحزاب السياسية يمكن أن تقوم بدورٍ أكثر فعالية في الاهتمام بتعليم الشباب اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، وهى الوعاء الفكري والحضاري والثقافي للمجتمعات المغاربية، كما أن اللغة العربية هي مقوم من مقومات الحفاظ على الأمن الثقافي لدى الشباب في المغرب العربي، وهى القدرة على الوقوف ضد مظاهر التغريب اللغوي والثقافي، وتقوم الأحزاب السياسية بهذا الدور من خلال عقد الندوات والمحاضرات بحضور علماء اللغة والتاريخ، لتوضيح أهمية تعليم الشباب لغة القرآن الكريم، وأنها لغة صالحة لكل زمان ومكان وقادرة على تجاوز سهم الغرب الموجهة إليها.

عن طريق تنظيم بعض الندوات أو المحاضرات أو عن طريق صحفها الحزبية، يمكن للأحزاب السياسية القيام بدور ملموس في إكساب الشباب الأخلاق والقيم الأخلاقية والتي هي مجموعة القواعد السلوكية في الفكر والسلوك في العلاقات الاجتماعية، والتي بدورها تُسهم في تحلى الفرد بالفضائل والمبادئ الأخلاقية كالصدق والأمانة والشجاعة وتحمل المسؤولية وغيرها من الصفات التي تؤهل الشباب لمواجهة مشكلاته المتعددة في الحياة، ويسلك من خلالها السلوك القويم الذي يحميه من الانحلال الأخلاقي والوقوع في الخطأ في ظل الغزو الثقافي الذي يهدد الأمن الثقافي المغاربي في جانبه الأخلاقي.

تقوم الأحزاب السياسية أيضا بتنمية وإكساب الشباب معايير المواطنة الصالحة، حيث يتم ترسيخ هذا المفهوم من خلال المحاولات الجادة لإصلاح الأوضاع الحزبية لتنمية الحس الوطني ، وترسيخ ثقافة المواطنة والالتزام والانتماء الوطني من خلال المشاركة الحزبية التي تساعد على تنمية الوعي الوطني بالإصلاح والتطوير وتدعم الفكر القادر على مواجهة الهيمنة والتغريب الثقافي، لكي يتم ترسيخ الهوية الثقافية في عصر الانفتاح وسيادة الفضائيات بلا حواجز¹.

كما تُسهم الأحزاب السياسية بالدور الأكبر في تدعيم وتنمية المشاركة السياسية لدى الشباب، فالمشاركة السياسية تعنى في أوسع معانيها حق المواطن في أن يؤدي دوراً في صنع القرارات السياسية في المجتمع المغاربي، وكلما كانت هناك تعددية حزبية داخل المجتمع ، ساعد ذلك على تحقيق المشاركة السياسية الفعالة لكل المواطنين والقوى السياسية الموجودة داخل المجتمع.

كما تعمل الأحزاب السياسية على إكساب الشباب مبادئ وثقافة حقوق الإنسان، حيث تقوم بدورٍ كبير في الدفاع عن حقوق الإنسان واحترامها من خلال دعم المشاركة السياسية لدى

¹ : زايد الطيب، مصادر التنشئة السياسية و دورها في تنمية التفكير الأيديولوجي لدى الأفراد، مرجع سبق ذكره، ص40.

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

الشباب، حيث تعمل (الأحزاب) على تنمية وعي الشباب بالحقوق المختلفة، كحق المواطن في النشاط السياسي والاجتماعي، والحق في توفير الرعاية الصحية للمواطنين، وتكافؤ الفرص التعليمية، والعدل والمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات أمام سيادة القانون، وكذلك تعمل الأحزاب على تنمية وعي الشباب بالحقوق الاقتصادية، ووسيلة الأحزاب في ذلك من خلال عقد الندوات واللقاءات والصحف الحزبية التي تناقش قضايا حقوق الإنسان¹.

ومن هذا المنطلق تقع على الأحزاب السياسية مسؤولية تحقيق المتطلبات الدينية و الأخلاقية و السياسية اللازمة لتحقيق الأمن الثقافي المغربي.

في الختام يجب أن لا يغيب عن البال أن عملية التنشئة السياسية لا تتم في فراغ أو بمعزل عن المجتمع، وإنما تجري في سياق معين له مقوماته وخصائصه الإيديولوجية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية. وتقوم على أسس معينة ودعائم ثابتة لو أحسن المربون ترسيخها في نفوس الأطفال وعقولهم ولها دور أساسي في تشكيل شخصية الطفل، حيث أنها عملية متصلة متواصلة تبدأ من الطفولة وتستمر بعد ذلك لتشكل الشعور لدى الفرد بالهوية القومية والأفكار السياسية العامة وطرق صنع وتنفيذ القرار السياسي بالمجتمع.

وبنفس المنطق فإن التنشئة الاجتماعية تساهم بدورها في غرس المعتقدات والقيم والمفاهيم الاجتماعية والسياسية في عقول الأفراد منذ بداية حياتهم، وهي بذلك تساهم في نجاح عملية التنشئة الوطنية (التنشئة الاجتماعية والسياسية) للمجتمع المغربي. فالتنشئة الوطنية الصحيحة تساهم في تحقيق الأمن الثقافي في المنطقة المغربية.

¹ : عبد الله التركماني، "أدوات التنشئة السياسية"، في:

المبحث الثاني: دور وسائل الإعلام في تحقيق الأمن الثقافي المغربي

المطلب الأول: مفهوم وسائل الإعلام و وظائفها المتعددة

1- مفهوم وسائل الإعلام:

يُقصد بالإعلام: "هو فن استقصاء الحقائق والمعلومات والأخبار ومعالجتها ونشرها على أوسع نطاق جماهيري وفي الوقت الملائم من خلال وسائل الإعلام الحديثة والمتنوعة، ويقصد بوسائل الإعلام جملة وسائل الاتصال، المقروءة والمرئية والمسموعة"¹.

كما يشير مفهوم وسائل الإعلام إلى كافة أوجه الأنشطة الاتصالية التي تستهدف تزويد الجمهور بالحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا والمشكلات بطريقة موضوعية. بما يؤدي إلى خلق درجة ممكنة من الوعي والمعرفة والإدراك والإحاطة الشاملة لدى فئات الجمهور والمتلقي للمادة الإعلامية وبما يسهم في تنوير الرأي العام.

فوسائل الإعلام من أهم وسائط التربية غير النظامية في المجتمع ، لأنها من أكثر الوسائل انتشاراً لتعدد مصادرها المختلفة من خلال (الإذاعة- التلفزيون- الصحف والمجلات- المسرح- دور السينما- الإنترنت)، فهذه الوسائل المتعددة أدت إلى تمييزها عن غيرها من وسائط التربية الأخرى وذلك بقدرتها على التأثير على وجدان ووعي المواطنين لما لها من جاذبية وإثارة لهم.

حيث من أهم ما يتميز به وسائل الإعلام في أنها: تعكس جوانب الثقافة العامة في المجتمع، كما تشبع الحاجات النفسية مثل الحاجة إلى المعلومات والتسلية والترفيه والأخبار، ودعم الاتجاهات النفسية، وتعزيز القيم والمعتقدات أو تعديلها، ويزداد تأثير وسائل الإعلام بالتكرار الذي يعاون في عملية الاستيعاب، وأيضاً بجاذبية المادة نفسها.

¹ دور الإعلام في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي، في:

فوسائل الإعلام تهدف إلى الإقناع عن طريق بث المعلومات والأخبار والحقائق، والمساهمة في تشكيل اتجاهات المواطنين من خلال تشجيعهم على ممارسة حرية التعبير عن الرأي، مع تنمية وعيهم بالقضايا المجتمعية المختلفة وذلك لتحقيق الأمن والانتماء والحب للوطن.

2- وظائف وسائل الإعلام:

تقوم وسائل الإعلام المختلفة بالعديد من الوظائف الهامة في العصر الراهن، وذلك في النقاط التالية¹:

- 1- مراقبة البيئة أي التعريف بالظروف العامة المحيطة بالمواطنين وذلك عن طريق نشر الأخبار والتزود بالمعلومات المتنوعة من أجهزة الإعلام المختلفة.
- 2- التوجيه وذلك من خلال إكساب الاتجاهات الفكرية والسلوكية عند النشء وكذلك الاتجاهات اللازمة للتطوير والتقدم والتنمية.
- 3- نقل التراث الثقافي والاجتماعي من جيل إلى جيل والمساعدة على تنشئة الجيل الجديد من الأبطال الجدد على المجتمع بهذا التراث المتراكم.
- 4- الترفيه أو التسلية عند الجماهير وذلك للراحة لمواجهة ضغوط الحياة الحديثة.
- 5- خلق روح الإلهام والابتكار والإبداع لدى أفراد المجتمع.
- 6- تأصيل الشعور بالانتماء والولاء إلى المجتمع والأمة العربية التي ينتمون إليها.
- 7- إثراء الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد.
- 8- المساهمة الفعالة في توفير الاستقرار والأمن والحرية لكافة أفراد المجتمع.

¹ : دور الإعلام في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي، في:

3- التغيير في دور وسائل الإعلام في ظل النظام العالمي الجديد:

تثير العولمة في الإعلام ووسائله في العصر الراهن تغيرات عديدة في نمط الحياة وفي القواعد والقيم والمعايير الاجتماعية والهوية الثقافية وذلك من خلال السيطرة الإعلامية الغربية بأحداث التكنولوجيا الحديثة في مجالات الاتصالات، وهذه التغيرات تتمثل في النقاط التالية¹:

أ- الهيمنة الإعلامية الغربية ذات الطابع الأمريكي على وسائل الإعلام والاتصال وتكنولوجيا المعلومات، فهذه الإمكانيات الهائلة في وسائل الإعلام السمعية والبصرية والسلكية واللاسلكية التي جعلت العالم قرية كونية صغيرة، ساهمت في إحكام السيطرة على المعلومات وتعميقها بالنسبة للثقافة الجديدة حتى تعتاد الشعوب عليها وعلى مشاهدتها، واتخاذها أسلوباً للحياة العصرية.

ب- سيطرة الشركات العملاقة على الإعلام الدولي، مما يجعله أسير في أيدي قلة تقوم بتوجيه وتخطيط البرامج الإعلامية والمضامين الثقافية، والتي غالباً ما يكون ولائها للوطن الأم، ويزداد نفوذها حتى ينازع الدولة القومية في حق السيادة الإعلامية.

ج- إنَّ عولمة الإعلام لا توفر حرية التبادل الثقافي، أي يتحكم في قضائها الإعلامي قلة ممن يملكون الأموال والتكنولوجيا الحديثة، ويفرضون على الدول النامية ما يريدون بثه أو نشره، دون أن يتحقق حواراً ثقافياً متكافئاً.

د- اتجاه وسائل الإعلام في ظل العولمة إلى تعميق الاعتماد الاقتصادي الدولي المتبادل، وتشجيع الاتجاه نحو عولمة التجارة المدعومة عن طريق منظمة التجارة العالمية، والشركات متعددة الجنسيات، وهذا سوف يؤثر سلباً على اقتصاديات الدول النامية، ويخلق تبعية اقتصادية غريبة ويقضى على الاقتصاد الوطني للدول الصغيرة.

¹ : "دور وسائل الإعلام في تحقيق الأمن الثقافي"، في:

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

هـ- تقليص دور الدولة- وخاصة الدول النامية- في شغل فضاءها الإعلامي، وحمایته من محاولة الاختراق الثقافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي وذلك نظراً لضعف هيكلها التمويلية والفنية، وهذا سوف يسبب إضراراً بالدين والقيم والسلوكيات وبالأمن العام على المجتمع.

هذه التغيرات التي طرأت على وسائل الإعلام المختلفة سوف تؤثر تأثيراً سلبياً على الأمن الثقافي المغربي، لأن كل ما توجه وسائل الإعلام الغربية إلى الشباب مرتبط بالثقافة الغربية والعمل على طمس الذاتية الثقافية الوطنية، فهذا الأمر يُعظم من دور وسائل الإعلام المتعددة في تحقيق المتطلبات اللازمة لتحقيق الأمن الثقافي لدى الشباب في المغرب العربي.

المطلب الثاني: مهام وسائل الإعلام في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي المغربي:

وتحدد مهام وسائل الإعلام في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي في المغرب العربي في المحاور التالية:

1- وسائل الإعلام وتحقيق المتطلبات الدينية لتحقيق الأمن الثقافي المغربي:

تسهم وسائل الإعلام في غرس العقيدة الدينية لدى الشباب وتنمية الوعي الديني لديهم، وذلك من خلال ما تملكه من وسائلها المتعددة وخاصة من خلال التلفزيون أو الفضائيات أو الإنترنت الأكثر وسائل تأثيراً في الشباب، وذلك عن طريق برامجها الدينية أو القنوات المتخصصة في المجال الديني حيث تعمل على غرس أصول العقيدة من خلال توضيح جوانب الدين ومحاوره كالعبادة والنمو الروحي والأخلاق والقيم وغيرها من الأمور التي تغرس في الفرد منذ صغره العقيدة السليمة التي يحمي بها نفسه من أي أخطار تستهدف أصول العقيدة أو وعيه الديني بالمعلومات الدينية الغير صحيحة التي تعرضها وسائل الإعلام الغربية، ويتأثر بها الشباب وتهدد أمنه الثقافي في جانبه الديني الذي يعتبر أحد الأركان الرئيسية الذي يُسهم في تحقيقه والحفاظ عليه في ضوء الأخطار الموجهة إلى الدين في ظل العولمة والتغيرات المعاصرة¹.

¹ "غياب التفتح الإعلامي في المغرب العربي الكبير"، في:

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

كما تسهم وسائل الإعلام في تنمية الوعي اللغوي بأهمية الحفاظ على اللغة العربية بعيداً عن الألفاظ العامية أو الأجنبية في عالم اليوم، فوسائل الإعلام تعد وسيلة هامة للتثقيف اللغوي في كل أقطار الوطن العربي، لأن من شأنها ترسيخ السلوك اللغوي المنشود، وتوحيد ألفاظ اللغة العربية الفصحى والاهتمام بها في إطار الشعور بالانتماء الواحد للأمة العربية.

فوسائل الإعلام المختلفة تحافظ على الأمن الثقافي لدى الشباب المغاربي من خلال الاهتمام بتعليم الشباب اللغة العربية الفصحى البعيدة عن الألفاظ الأجنبية أو العامية التي فرضتها طبيعة العولمة، بما تتبناه من نموذج ثقافي غربي موجه إلى محاربة اللغة العربية باعتبارها لغة غير قادرة على مسايرة التقدم العلمي والتكنولوجي، فالإعلام بوسائله المتعددة يحافظ على هذه اللغة من خلال ما يقدم من برامج مسموعة أو مرئية أو مقروءة عن أهمية اللغة العربية كمقوم أساسي للذاتية الثقافية وأن الله كرمها بأنها لغة القرآن الكريم، وأنها لغة قادرة على مواكبة التطور العلمي مثل اللغات الأجنبية الأخرى، علاوة على ذلك أن اللغة العربية هي عنوان هويتنا في الماضي والحاضر والمستقبل.

ومن ثم، فإن وسائل الإعلام مصدر رئيسي في تحقيق المتطلبات الدينية من خلال برامجها الإذاعية أو التلفزيونية أو مواقعها على الشبكات العالمية أو قنواتها المتخصصة أو مجلاتها، فكل ذلك يُسهم في تحقيق الأمن الثقافي لدى الشباب في المغرب العربي، على أساس أن الدين هو نظام الحياة الشامل الذي لا غنى عنه لتماسك المجتمع وتقدمه في ظل الهيمنة الثقافية الغربية الموجه إليه.

2 - وسائل الإعلام وتحقيق المتطلبات الأخلاقية لتحقيق الأمن الثقافي المغاربي:

وسائل الإعلام لها دوراً بالغ الأهمية في تحقيق المتطلبات الأخلاقية من خلال التمسك بالأخلاق والسلوك والقيم الأخلاقية وذلك من خلال ما يلي¹:

¹ "الإعلام و الأمن الوطني وتحديات العولمة"، في:

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

- يعمل الإعلام بوسائله المختلفة من أجل بناء الإنسان وتربيته وتهذيبه حيث إن وسائل الإعلام تقدم للشباب ما يرضى طموحاتهم للثقافة والمعرفة وينمي قيمهم الأخلاقية، وذلك من خلال ما تقدمه من برامج تعمل على إظهار السلوكيات والقيم الأخلاقية السليمة لدى الشباب التي تتفق مع العادات والقيم والتقاليد الموجودة في المجتمع.

- أن تتضافر الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى كالمرسح والسينما مع الأسرة والمدرسة والمسجد وإرساء القيم الأخلاقية في نفوس الشباب عن طريق القدوة الحسنة والالتزام بها، حتى لا يرى الفرد من صور الفعل ما ينافي حقائق ما يتلقاه عن الدين وتعاليمه، وما اكتسبه من قيم أخلاقية.

- إخضاع وسائل الإعلام المختلفة للرقابة الجادة، من حيث محتواها وكلماتها ورسومها وطريقة إخراجها وتصويرها وأدائها، بحيث تحقق هذه الوسائل الهدف منها في إطار الالتزام الأخلاقي، بحيث لا تتطرق للإساءة إلى المشاعر أو لاهتزاز المبادئ والقيم الأخلاقية لدى الشباب.

كما أن وسائل الإعلام المتنوعة تُسهم بطريقة فعالة في تحقيق المتطلبات الأخلاقية من خلال عرض النماذج السلوكية الصحيحة التي تعمل على تكوين السلوك الأخلاقي والمبادئ والقيم الأخلاقية لدى الشباب والعمل على الالتزام بها في كافة المواقف الاجتماعية المختلفة التي يتعرضون لها في الحياة، والتي تحميهم من السلوكيات والعادات الغربية التي يشاهدونها أو يقرؤون عنها في وسائل الإعلام المختلفة، والتي تؤدي بهم إلى الانحلال والانحراف الخُلقي من الأمور التي تهدد الأمن الثقافي لدى الشباب في المغرب العربي، فوسائل الإعلام هي المسئولة عن مواجهة هذا الغزو الفكري والأخلاقي .

3 - وسائل الإعلام وتحقيق المتطلبات الاجتماعية لتحقيق الأمن الثقافي المغاربي:

تعتبر وسائل الإعلام من أخطر المؤسسات الاجتماعية في التنشئة الاجتماعية بما تتضمنه من معلومات مسموعة أو مقروءة أو مرئية تتضمن المبادئ والقيم والمعايير الاجتماعية للمجتمع الذي يعيش فيه الفرد.

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

حيث تقوم وسائل الإعلام المختلفة بالإسهام في التنشئة الاجتماعية وذلك من خلال تعلم الفرد أنماط التفاعل الاجتماعي والتي تعكس السلوك الاجتماعي السليم في المجتمع، كما تقوم أجهزة الإعلام في ظل النظام العالمي الجديد بتزويد الأفراد وخاصة الشباب بالقيم والمعايير والعمليات الاجتماعية السائدة في المجتمع، والتي تعمل على تحصين وحماية الشباب من الداخل ضد مظاهر الخطورة على الأمن في أنواعه المتعددة¹.

كما يُنظر إلى تأثير وسائل الإعلام ودورها في التنشئة الاجتماعية من خلال ما تؤكده على الطبيعة الاجتماعية للقيم والمعايير السائدة في المجتمع، كما يُمكن دور الإعلام ووسائله في تحقيق الضبط الاجتماعي، حيث يركز هذا البعد عن أهمية الصراع بين الطبقات والجماعات في المجتمع وعلى إمكانية تغيير الأوضاع في الناحية الاجتماعية والاقتصادية، حتى تواجه مظاهر التخلف والجمود في ظل التحديات والمخاطر التي تهدد أمن الوطن².

إنَّ وسائل الإعلام بالصورة السابقة تقوم بطريقة فعالة في التنشئة الاجتماعية السليمة للشباب المغربي، حتى تمكنهم من الحفاظ على القيم والمعايير السائدة في المجتمع، وتحميهم من الانحرافات المجتمعية المتعددة في ظل التحديات المعاصرة، حتى يتم مواجهتها وتحقيق الأمن الاجتماعي والثقافي المغربي.

كما تقوم وسائل الإعلام بالتوعية بخطورة الأمراض والمشكلات المنتشرة بين الأفراد والجماعات، حيث تقوم بالمحافظة على أعضاء المجتمع وإعدادهم بالعمل والتفاعل الاجتماعي مع القضايا الموجودة، وذلك من خلال التأكيد المستمر على الشعور بالانتماء الذي يؤدي إلى إنماء روح المشاركة الاجتماعية في كافة المشكلات والعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها طبقاً للثقافة المرعية داخل المجتمع المغربي.

¹ : "دور وسائل الإعلام في تحقيق الأمن الثقافي"، في:

² : معن خليل عمر، التنشئة الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص18.

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

ومن ثمّ، فوسائل الإعلام وخاصة المرئية منها تُنمي الوعي بالمشكلات المجتمعية لدى الشباب، من خلال عرض المشكلات المتنوعة كالزيادة السكانية أو البطالة أو الأمية أو الهجرة وغيرها من المشكلات التي تؤثر على الأمن القومي بصورة عامة ويكون تناول وسائل الإعلام لهذه المشكلات من خلال عرض لأسباب المشكلة والأخطار التي تؤدي إليها، وكذلك تقديم الحلول المناسبة حتى يلتزم بها الشباب في علاج المشكلة التي يُعاني منها أو يُعاني منها المجتمع بأكمله¹.

كما تلعب وسائل الإعلام المختلفة - خصوصاً التلفاز وقنواته وشبكات الإنترنت - دوراً بارزاً في تدعيم حوار الثقافات بين الشباب، فمن خلال اهتمامها بنشر القيم والأخلاق، ونشر التعاون والسلام ونبد العنف والإرهاب، وتعميق مبادئ العدل والتسامح في ظل الغزو الإعلامي والثقافي، سوف يساعد على تدعيم حوار الثقافات بين الأمم والدول المختلفة، وترجمته إلى واقع محسوس يُسهم في تحقيق الأمن الثقافي لدى الشباب المغربي.

4 - وسائل الإعلام وتحقيق المتطلبات السياسية لتحقيق الأمن الثقافي المغربي:

تقوم وسائل الإعلام المختلفة بدور هام في إكساب الشباب معايير المواطنة الصالحة في المجتمع وذلك من خلال²:

- نشر الثقافة الوطنية من تعميم صور أفراد المجتمع لدورهم فيه.
- المشاركة بدور واقعي في صنع القرارات التي تدعم فكرة المواطنة الصالحة، وسمات المواطن الصالح في ظل التغيرات العالمية المعاصرة.
- تقديم المعلومات المتنوعة للشباب منذ صغرهم عن الحقوق والواجبات حتى يدرك هذه الحقوق والواجبات التي تمكنه من الحفاظ على هويته وذاتيته الثقافية، فوسائل الإعلام هي الأدوات التي

¹ : "دور وسائل الإعلام في تحقيق الأمن الثقافي"، في:

مرجع سبق ذكره.
² :مولود زايد الطيب، التنشئة السياسية و دورها في تنمية المجتمع، مرجع سبق ذكره، ص87.

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

تشكل الآراء والاتجاهات الجديدة للشباب في عالم اليوم، حتى يصبحوا مواطنين صالحين مشاركين في عملية التقدم في المجتمع.

فالإعلام وأجهزته المختلفة يقدم المعلومات والاتجاهات والآراء المتنوعة التي تغرس في الفرد مواطناً يتصف بالتمسك بالدين والقيم والمثل العليا الأخلاقية، ومشاركاً في كل القضايا السياسية في المجتمع حتى يحافظ على ثقافته وانتماؤه وولائه لوطنه في ظل متغيرات عصر العولمة.

أي أن وسائل الإعلام بمصادرها المتنوعة تنمي الوعي لدى الشباب المغربي بمعايير المواطنة الصالحة التي تشمل معرفتهم بالعقيدة الدينية السليمة والقيم والأخلاق والتراث والحقوق والواجبات تجاه أوطانهم، فكل ذلك يساهم في تكوين المواطن الصالح المحافظ على أمنه القومي بما فيه أمنه الثقافي في ظل التغيرات الثقافية المعاصرة.

كما تُعد وسائل الإعلام دعامة قوية من دعائم تنمية المشاركة السياسية لدى الشباب في المغرب العربي، وذلك من خلال أفراد مساحات متنوعة في البرامج الإعلامية المسموعة أو المقروءة أو المرئية عن الثقافة السياسية والتنشئة السياسية، التي تؤدي إلى عملية المشاركة السياسية والتي يكون فيها الفرد على وعى بالمعلومات السياسية والقضايا السياسية، وتمكينه في المستقبل من المشاركة في صنع القرارات السياسية. حتى يتم الحفاظ على أمن الوطن واستقرار في ظل الضغوط السياسية المصاحبة لظاهرة العولمة¹.

كما يقوم الإعلام ووسائله المختلفة بإكساب الشباب مبادئ حقوق الإنسان، والعمل على نشر و تفعيل هذه الحقوق عملياً من خلال²:

- احترام الحريات والحقوق الأساسية للأفراد الجماعات والمساواة أمام القانون بين الجميع في المجتمع.

¹ :مولود زايد الطبيب، التنشئة السياسية و دورها في تنمية المجتمع، مرجع سبق ذكره، ص 83.
² : "دور وسائل الإعلام في تحقيق الأمن الثقافي"، في:

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

- حماية الحريات العامة والخاصة لكل مواطن، تأكيداً لاحترام حقوق الإنسان وإعلاء قيمة الإنسان وكرامته.
- دعم وتعزيز ونشر ثقافة السلام وروح التسامح التي تقوم على احترام حقوق كل فرد.
- قيام وسائل الإعلام بالتأكيد على شيوع العدالة الاجتماعية، مع دعم الحقوق القانونية للأفراد داخل الدولة.
- محاربة كافة أشكال التمييز العنصري ومكافحة الإرهاب والتطرف بكافة صوره من خلال البرامج أو الأفلام وغيرها مع الابتعاد بقدر الإمكان عن العنف والجرائم في وسائل الإعلام وخاصة المرئية منها.
- إبراز أن جميع الأديان السماوية تقر حقوق الإنسان ولا تحترم أي اعتداء على هذه الحقوق وانتهاكها في عالم اليوم.
- قيام وسائل الإعلام بدعم وترسيخ حرية الإبداع والتعبير بمختلف الأشكال الفنية والثقافية، كحق من حقوق الإنسانية في العالم المتقدم.
- ومن ثمَّ لابد من العمل على وضع آليات جديدة لتفعيل وتحديث دور وسائل الإعلام في مجال نشر وتدعيم ثقافة حقوق الإنسان لدى الشباب في المغرب العربي لما لها من أهمية في الحفاظ على هوية المجتمع وذاتيته الثقافية، والبعد عن كافة التقاليد والقيم والحقوق الغربية اللاإنسانية والتي تتنافى مع حقوق الإنسان وقيمه في المجتمع المغربي، فإذا تحقق ذلك سوف يتم تحقيق الأمن الثقافي المغربي.

5 - وسائل الإعلام وتحقيق المتطلبات الاقتصادية لتحقيق الأمن الثقافي المغربي:

حيث تشارك وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في تنمية الوعي الاقتصادي لدى الشباب من خلال برامج وكتابات وأفلام تحت المواطنين على التحلي بالقيم الاقتصادية الهامة

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

كاحترام الملكية العامة ودفع الضرائب وتشجيعهم على الاستهلاك الاقتصادي، كما تحثهم على تفضيل السلع الوطنية على السلع الأجنبية وغيرها، وهذا سوف يساعد المجتمع على تكوين رأس المال الوطني وتنمية الدخل القومي، والتغلب على معوقات التنمية البشرية في المجتمع¹.

فالوعي الاقتصادي لدى الشباب عن طريق الإعلام بوسائل بوسائله المتعددة يسهم في توضيح الصورة أمام الشباب، ولا يكون عرضه للاتجاهات والأفكار والآراء الهدامة في الأمور الاقتصادية التي تستهدف عقولهم وتستهدف التأثير عليهم وتجعلهم غير قادرين على المشاركة الفعالة في المشروعات الاقتصادية الكبرى، والقضاء على المشكلات الاقتصادية وأهمها البطالة وما ينتج عنها من انحرافات وجرائم تهدد الأمن الثقافي لدى الشباب.

6 - وسائل الإعلام وتحقيق المتطلبات الإعلامية لتحقيق الأمن الثقافي المغربي:

يمثل الإعلام ومصادره المتعددة ركيزة أساسية في تنمية الوعي بالموضوعات والقضايا والمعلومات في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، ولا سيما بعد انتشار الفضائيات والقنوات الإعلامية انتشاراً كبيراً، وذلك يتوجب على الإعلام المغربي والعربية مواجهة الهيمنة الإعلامية الغربية التي تستهدف تزييف التاريخ وتشويه صورة الإسلام في عقول الناس شرقاً وغرباً، والتضليل الفكري وظهور التيارات المنحرفة، وهدم معالم القيم الأخلاقية، ولا يقف الإعلام موقف السلب معتمداً على الاستنكار والشجب والرفض، وعليه أن يكشف عن حقيقة المواقف الظالمة التي تشرب بالشرعية الدولية وبحقوق الإنسان عرض الحائط على مرأى ومسمع كثير من الأمريكيين والأوروبيين².

وبذلك يتوجب على وسائل الإعلام مواجهة هذا الاختراق الإعلامي الثقافي من أجل حماية الذاتية الثقافية، وتحقيق الأمن الثقافي لدى الشباب المغربي من خلال الدفاع عن حقوق الإنسان

¹ : "دور وسائل الإعلام في تحقيق الأمن الثقافي"، في:

www.oumqora.org

مرجع سبق ذكره.

² : "أدوار المؤسسات التربوية غير النظامية في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي، في:

www.roumalqora.edu

مرجع سبق ذكره.

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

والالتزام بأخلاقيات العمل الإعلامي في نفوس الإعلاميين، والعمل على إقامة قنوات فضائية عربية قادرة على الدفاع عن الأخلاق والدين، مع توضيح ذلك لثقافات الشعوب المختلفة، على أن يكون تقديم ذلك بلغات هذه الشعوب، وهذا سوف يؤدي بالشباب إلى تنمية وعيهم النقدي تجاه ما تعرضه وسائل الإعلام العالمية، واختيار ما يتناسب مع ثقافتهم، وقيم المجتمع الذي يعيشون فيه، وبالتالي سيكون له تأثيراً على تربية الشباب تربية إعلامية سليمة في ظل النظام العالمي الجديد.

كما يمثل اهتمام وسائل الإعلام بمستوى الرسالة الإعلامية وتحديد نوعية المضامين الإعلامية لدول المغرب العربي أساساً في التصدي للغزو الثقافي والإعلامي، على أن يكون هناك توازن في استخدام وسائل الإعلام المختلفة والتكامل مع سائر مؤسسات الدولة من أجل حماية القيم المختلفة والمصالح المشتركة، والحفاظ على الذاتية الثقافية القومية للوقوف ضد الثقافات الوافدة.

ولكي يتم الوقوف ضد مخاطر وتهديدات الأمن الثقافي في المغرب العربي، لابد من التعاون الإعلامي العربي في ظل ثورة الاتصالات والتكنولوجيا الحديثة في العالم من حولنا، لتفعيل التواجد الإعلامي على خريطة العالم الإعلامية.

فلاشك أن الاختراق الثقافي قد أصبح يمثل أحدث آليات الهيمنة المعاصرة، ومن ثم، فإن وسائل الإعلام من خلال ما تعرضه وتقدمه عبر الدول العربية المختلفة، يسهم في تحقيق أمن ثقافي وإعلامي لدى الشباب من خلال ما تملكه هذه الوسائل من تكنولوجيا حديثة، وتعاون مشترك في الإعلام وما يقدمه من معلومات وأخبار سليمة لمواجهة التهديدات الثقافية العالمية¹.

¹ : أدوار المؤسسات التربوية غير النظامية في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي، في:

المبحث الثالث: دور المجتمع المدني في تحقيق الأمن الثقافي المغربي

المطلب الأول: مفهوم المجتمع المدني وخصائصه

تتكون أي دولة من الناحية السياسية من ثلاثة أنواع من المؤسسات ، هي:

1- المؤسسات الرسمية الحكومية: و يتصدرها أجهزة السلطات الحكومية الثلاث؛ التشريع،

التنفيذ و القضاء و كل ما يتبع هذه المؤسسات من دوائر و هيئات.

2- المؤسسات السياسية غير الرسمية (غير الحكومية): و تنحصر في الأحزاب السياسية بأنواعها و

اتجاهاتها المختلفة، وجماعات الضغط أو المصالح التي تسعى لخدمة مصالح معينة. و يندرج ضمن

هذه الجماعات أي مؤسسة تمثل الرأي العام كلياً أو جزئياً.

3- مؤسسات المجتمع المدني أو المؤسسات الشعبية: و هي الجمعيات و المؤسسات التي تنشأ

بمبادرات شعبية لتقديم خدمة معينة للمنتمين إليها، و لا يكون هدفها الربح المادي، مثل

الجمعيات العلمية و المهنية، و الخيرية، و مؤسسات الدفاع عن حقوق الإنسان....إلخ.

و كثير من علماء السياسة يقسمون مؤسسات الدولة الحديثة إلى قسمين فقط هما: المؤسسات

الحكومية، و مؤسسات المجتمع المدني التي تشمل كل ما ورد في المؤسسات السياسية غير الرسمية إلى

جانب المؤسسات الأخرى وهذا ما تراه غالبية علماء السياسة الأمريكيين بخاصة¹.

تفاوتت تعريفات المجتمع المدني بدرجة كبيرة استناداً إلى اختلاف النماذج التصورية و الأصول

التاريخية و السياق القطري العام. لهذا تبني البنك الدولي تعريفاً للمجتمع المدني أعده عدد من

المراكز البحثية الرائدة:"يشير مصطلح المجتمع المدني إلى المجموعة واسعة النطاق من المنظمات غير

الحكومية والمنظمات غير الربحية التي لها وجودٌ في الحياة العامة وتنهض بعبء التعبير عن اهتمامات

وقيم أعضائها أو الآخرين، استناداً إلى اعتبارات أخلاقية أو ثقافية أو سياسية أو علمية أو دينية أو

خيرية. و من ثم يشير مصطلح منظمات المجتمع المدني إلى مجموعة عريضة من المنظمات، تضم:

الجماعات المجتمعية المحلية، والمنظمات غير الحكومية، والنقابات العمالية، وجماعات السكان

الأصليين، والمنظمات الخيرية، والمنظمات الدينية، والنقابات المهنية، ومؤسسات العمل الخيري"².

¹ صدقة يحيى فاضل، "مؤسسات المجتمع المدني في العالم العربي"، صحيفة عكاظ، العدد 1925، 2006/09/24.

² "التعريف المجتمع المدني"، في:

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

ورغم تعدد واختلاف تعاريف المجتمع المدني فإن معظمها يركز على مقومات أساسية يستند عليها في وجوده ويمكن تلخيصها فيما يلي¹:

1) الطوعية:

وتعني أن تنظيمات المجتمع المدني باختلاف أنواعها وأهدافها، تتأسس بناء على الرغبة المشتركة لأصحابها، وانطلاقاً من إرادتهم الحرة، وبالتالي فهي غير مفروضة من طرف أي جهة، وتمارس نشاطاتها التي تستجيب للأهداف التي سطرها لنفسها بعيداً عن أي ضغط أو تأثير خارجي.

2) التنظيم:

إن الحرية والتلقائية التي تطبع تأسيس الجمعيات التي تندرج ضمن مفهوم المجتمع المدني، لا تعني العشوائية أو عدم الضبط، لأن وجود كل واحدة من هذه الجمعيات يخضع للقوانين السائدة والتي تتيح حرية تأسيسها من جهة، كما تخضع في تسييرها وقيامها بمهامها لقوانينها الأساسية، وأنظمتها الداخلية من جهة ثانية، وبذلك تتميز عن الجماعات والمكونات التي عرفتها مجتمعات عربية وإسلامية في الماضي كالقبيلة والعشيرة والزاوية.

3) الاستقلال عن الدولة:

هيئات المجتمع المدني لا تؤسسها الدولة، ولا تُحدث بإيعاز منها، فهي لا تكون أداة تُسخر من طرفها لخدمة أهدافها السياسية، إنها منظومة ذاتية التأسيس والاشتغال، وحينما تفقد أي جمعية استقلاليتها عن الدولة، وعن نفوذ السلطات العمومية، فإنها تفقد بذلك العنصر الجوهري الذي يميز المجتمع المدني الذي تتبلور في نسيجه رغبات أفرادها، ويخضع لنظام خاص به، وله منهجيته؛ وتأكيداً لمبدأ الاستقلالية فإن جمعيات المجتمع المدني تعرف في الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة، وفي المؤسسات الدولية عموماً، بالمنظمات غير الحكومية، وتختصر اسمها بـ (O.N.G).

¹ محمد الغيلاني، محنة المجتمع المدني: مفارقات الوظيفة و رهانات الاستقلالية، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2005، ص 8-7.

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

واستقلال المجتمع المدني عن الدولة لا يعني بالضرورة أنه نقيض أو خصم لها، أو لا توجد بينهما أي صلة، وإنما تفيد أن علاقته بها لا تتسم برابطة التبعية، وعندما تكون هناك أمور تساهم فيها الدولة والمجتمع المدني في نفس الوقت، فإن طبيعة العلاقة في هذه الحالة تكون مبنية على الشراكة والتعاون.

4) خدمة الصالح العام:

إن أعمال ومبادرات منظمات المجتمع المدني لا بد أن تصب في خدمة الصالح العام، من خلال تقديم خدمات لفائدة المجتمع، أو بعض الفئات المستهدفة منه، ومن هذه المجالات: الأعمال الاجتماعية التي تستهدف الفئات المحتاجة، ورعاية الأشخاص المعاقين، وحماية الطفولة، والاهتمام بقضايا المرأة والشباب، ومحاربة الأمية، والوقاية الصحية، والدفاع عن حقوق الإنسان، وتعميم مفاهيمها وثقافتها، ونشر قيم المواطنة، وحماية البيئة، والمساهمة في تنمية الحواضر والقرى، ومحاربة الفقر والإقصاء الاجتماعي، وترسيخ مقومات الهوية الوطنية، وما تتميز به من غنى وتنوع، والنهوض بالفنون، والتشجيع على الإبداع، وخلق فضاءات للتنشيط الثقافي والرياضي والترفيهي، وغير ذلك من المجالات التي يمكن للمجتمع المدني أن يساهم من خلال الاشتغال بها في تنمية المجتمع والنهوض به، دون أن تكون الغاية من وراء ذلك هي التجارة أو الربح، أو المصلحة الذاتية للأعضاء.

5) عدم السعي للوصول إلى السلطة:

على الرغم من كون أنشطة وأهداف المجتمع المدني لا تبعد عن مجالات الشأن العام، وأن بعض الجمعيات تشكل أحيانا قوة ضاغطة على السلطات العمومية، وتقوم بانتقاد العمل الحكومي، فإنها لا تسعى من خلال ذلك للوصول إلى السلطة، ومن هذه الزاوية يتميز المجتمع المدني عن الأحزاب السياسية التي من طبيعتها أن تعمل للوصول إلى الحكم.

6) عدم اللجوء إلى العنف:

إذا كان من حق منظمات المجتمع المدني أن تقوم بالاحتجاج على السياسة التي تتبعها السلطات العمومية في مجال ما، أو في مواجهة إحدى الظواهر السلبية في المجتمع، ومن حقها أيضا ممارسة الضغوط لتحقيق فوائد للمجتمع، ومكتسبات للشرائح الاجتماعية التي تدافع عن مصالحها، فإنها لا يمكن أن تستعمل في ذلك إلا الوسائل السلمية المتحضرة، والمتمثلة في رفع المطالب، وإبداء الملاحظات، والحوار مع الجهات المعنية، واستعمال وسائل الإعلام والاتصال لتوضيح مواقفها، ويمكنها أن تلجأ إلى التظاهر السلمي إذا اقتضى الأمر ذلك؛ ولا يمكنها مطلقا اللجوء إلى العنف، لأن المجتمع المدني من المفروض أن يساهم في تهذيب السلوك العام، وليس في ترهيب المجتمع.

المجتمع المدني في ظل العولمة:

من أهم التحولات التي طرأت على العالم تلك التي مست الجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ذلك ما بات يعرف بالعولمة، حيث ارتبط الاستخدام المعاصر لمفهوم المجتمع المدني بشكل أساسي في بداية التسعينات بهذا المفهوم، وذلك حينما شكل المجتمع المدني قطبا قائما بذاته و مركزا لقيادة و سلطة اجتماعية على مستوى التنظيم المحلي و العالمي موازاة مع ما فرضته العولمة. فأصبح المجتمع المدني مكونا أساسيا من المكونات المفاهيمية لظاهرة العولمة.

المطلب الثاني: مؤسسات المجتمع المدني وتحقيق الأمن الثقافي المغربي

لا شك أن تواجد مؤسسات المجتمع المدني كان و مازال محدودا في العالم العربي، بسبب ضعف أو غياب المبدأ الديمقراطي، في غالبية الدول العربية، و مؤخرا بدأت تجتاح العالم العربي مع توسع انتشار الديمقراطية- نوعا ما- مؤسسات مجتمع مدني مختارة. و تفاعل البعض ظنا منهم أن هذا يعني حدوث التحول المنتظر، في كثير من دول العالم العربي، و حصول النقلة النوعية، التي طال انتظارها من قبل الكثير من شعوب هذه الدول¹.

¹ : صدقة يحي فاضل، "مؤسسات المجتمع المدني في العالم العربي"، مرجع سبق ذكره.

بدأ تداول المفهوم على المستوى الفكري أو السياسي أو الاجتماعي وفي إطار مقارنة عربية، قد بدأ منذ نحو ثلاثة عقود من الزمان، وبخاصة في بلدان المغرب العربي وفيما بعد في بلدان المشرق العربي.

1- المجتمع المدني وتحقيق المتطلبات الدينية لتحقيق الأمن الثقافي المغاربي:

حيث تسهم مؤسسات المجتمع المدني كالتنظيمات الاجتماعية والجمعيات الأهلية في تنمية الشعور بالمسؤولية من خلال جوانب التكاليف الدينية، وكيفية محاسبة النفس في ضوء ما شرع الله سبحانه، والتمسك بالقيم الدينية لتربية الأبناء. وفي هذا المجال، يجب أن تلعب هذه المؤسسات الدور الرئيسي المنشود منها بحيث تمكن الشباب من التمسك بالعقيدة الدينية الراسخة لديهم من خلال عقد الندوات و المؤتمرات التي تدعو فيها علماء الدين، لمواجهة التهديدات المختلفة الموجهة إلى المجتمع المغاربي في كافة مجالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية¹.

حيث تعمل على التوصل إلى قرارات هامة في مجال ترقية الثقافات والالتزام بأخلاقياتها، إلى جانب توفير القدر الأكبر من الحماية للغة الأم ألا وهي اللغة العربية، لأن انهيار اللغة العربية يؤدي إلى هدم ثقافة الأمة، فإتقان اللغة العربية يأتي أولاً قبل إتقان اللغات الأجنبية وإلا انسلخ الفتى عن هويته وانتمائه، من خلال عقد ندوات و محاضرات تدعو إليها علماء اللغة العربية و آدابها².

إن اهتمام هذه المؤسسات بتعليم الشباب اللغة العربية والنهوض بها في المغرب العربي، يعتبر جانباً هاماً من جوانب تحقيق الأمن الثقافي المغاربي، والتغلب على سلبيات العولمة التي تعمل على اقتلاع الشباب المغاربي من جذوره الثقافية والمتمثلة في القضاء على اللغة العربية.

¹ "دور مؤسسات المجتمع المدني"، في:

2- المجتمع المدني وتحقيق المتطلبات الأخلاقية لتحقيق الأمن الثقافي المغربي:

إن اهتمام التنظيمات الاجتماعية والمهنية بتنمية القيم الأخلاقية لدى أعضائها، يكسب الإنسان بجوانب الرشد والقدرة على ممارسة الحرية ومحاسبة نفسه على عمله. عن طريق اللقاءات أو الندوات أو المحاضرات التي تنظمها هذه الجمعيات، تساعد الشباب على التمسك بالأخلاق والتربية الأخلاقية عن طريق إكسابهم السلوكيات والقواعد والمبادئ الأخلاقية التي يسرون عليهم في علاقاتهم مع الآخرين¹.

فالجمعيات و التنظيمات بوسائلها المتعددة تجعل الشباب قادراً على التمسك بالأخلاق وضرورة التربية الأخلاقية وتنمية القيم الأخلاقية في مواجهة كل ما يشاهده من القنوات الفضائية أو شبكات الإنترنت وغيرها، من أمور منافية للقيم والأخلاق والعادات والتقاليد في المجتمع المغربي، ويكون للشباب المقدرة على التعامل معها بما يحقق الأمن الثقافي المغربي في أجواء ثقافية عالمية تسودها الهيمنة والتبعية للغرب².

3- المجتمع المدني وتحقيق المتطلبات الاجتماعية لتحقيق الأمن الثقافي المغربي:

تشارك مؤسسات المجتمع المدني كالمجموعات الاجتماعية المؤطرة بدور هام في تربية وتنشئة الشباب تنشئة اجتماعية سليمة منذ الصغر، حيث عن طريق ندواتها أو محاضراتها يمكن أن تساهم بفعالية في إكساب الشباب الخبرات والمهارات الاجتماعية، وتغرس فيهم البعد الثقافي والاجتماعي الذي يميز المجتمع المغربي عن غيره من المجتمعات الأخرى.

فإذا حققت هذه المجموعات الدور المنشود منها في التنشئة الاجتماعية السليمة لدى الشباب في المغرب العربي منذ صغرهم، سوف يحافظ ذلك على الذاتية الثقافية للمجتمع من لغة وتراث وعادات، ويصبح الشباب قادرين على الحفاظ على أمنهم الثقافي بعيداً عن تهديدات العولمة الثقافية.

¹ :الحبيب الجنحاني، المجتمع المدني و أبعاده الفكرية، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، 2003، ص 18.

² :عبد الله حمودي، المجتمع المدني في المغرب العربي، دار توبقال، 1998، ص 227.

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

كما تقدم خدمات للمجتمع وتساهم في علاج مشكلاته وهذه هي أبرز الجهود الشعبية، كالجمعيات الأهلية التي تعد الأسرع حركة والأكثر مرونة والأقل كلفة في معالجة مشكلات الحاضر ومواجهة تحديات المستقبل¹.

وتسهم هذه الجمعيات في برامج التوعية بمشكلات وقضايا المجتمع المغربي كمشكلة الأمية، والمشكلة السكانية وخطورتها لارتفاع معدل المواليد وانخفاض موارد التنمية في المجتمع، بالإضافة إلى مشكلات أخرى كالتلوث البيئي والعمل على زيادة الوعي البيئي والمحافظة على البيئة من مظاهر التلوث، بالإضافة إلى مشكلات التعليم كمشكلة الدروس الخصوصية وغيرها².

كما يمكن أن تقوم بدور هام في تنمية القدرات الإبداعية بين الشباب، من خلال اكتشاف الموهوبين والمخترعين في المجالات المتعددة في المجتمع، وتقدم لهم الإمكانيات المادية والتقنية التي تساعدهم على أن يكونوا مخترعين ومبدعين في ظل التطورات التكنولوجية العالمية المعاصرة، وهذا سوف يساعد على توفير المناخ الاجتماعي الآمن لهؤلاء الشباب في مواجهة مشكلاته بالإبداع الذي يحافظ على الذاتية الثقافية من خطر الذوبان في بحر العولمة³.

4- المجتمع المدني وتحقيق المتطلبات السياسية لتحقيق الأمن الثقافي المغربي:

تُسهّم مؤسسات المجتمع المدني بدور كبير في إكساب الشباب معايير المواطنة الصالحة، وتنمية المشاركة السياسية لديهم وذلك من خلال⁴:

- إقامة حلقات نقاش أو نماذج اجتماعية مصغرة، يتوفر لأعضائها الحضور قدر من الحرية في توجيه الأسئلة والحوار في الجوانب السياسية في المجتمع.

- إقامة برامج تدريبية للأطفال والشباب على كيفية ممارسة المواطنة الصالحة والديمقراطية وذلك من خلال تعريفهم بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات تجاه أنفسهم ووطنهم.

¹ : عبد الله حمودي، المجتمع المدني في المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص 228.

² : الحبيب الجنحاني، المجتمع المدني وابعاده الفكرية، مرجع سبق ذكره، ص 22.

³ : المرجع نفسه، ص 24.

⁴ : دور مؤسسات المجتمع المدني"، في:

الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة

- بث نشرات إعلامية تشجع الشباب على المشاركة السياسية والمواطنة الفعالة في المجتمع.
- المساهمة بالأعضاء في حضور الاجتماعات البرلمانية أو المحلية، بحيث يشعر الشباب بأهمية مشاركته السياسية في عملية صنع اتخاذ القرار السياسي والقضايا العامة الأخرى.
- وبناءً على ما تقدم، فإن مؤسسات المجتمع المدني يمكنها تدعيم وإكساب الشباب معايير المواطنة الصالحة من خلال مبدأي: الحقوق والواجبات، حتى تصبح المواطنة أساساً في تنمية مشاركة الشباب السياسية في صنع القرارات وحل المشكلات، ومن ثمَّ يتحقق الانتماء والولاء للوطن من خلال الشباب الواعي المحافظ على ذاتيته الثقافية التي توفر له أمن ثقافي.

كما تقوم بدورٍ فعالٍ في إكساب الشباب مبادئ حقوق الإنسان وذلك من خلال إصدار النشرات الإخبارية أو الأوراق البحثية أو تنظيم حلقات للنقاش حول حقوق الإنسان، والتصدي للانتهاكات التي تتعرض لها بالمخالفة مع تعاليم الأديان السماوية والمبادئ المتضمنة في الدساتير الوطنية والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان¹.

وعلى ذلك، إنَّ اهتمام هذه المؤسسات في دورها بإكساب الشباب مبادئ حقوق الإنسان، يجعل منها أداة لتحقيق الأمن والاستقرار للشباب داخل المجتمع المغربي من خلال معرفة جميع الحقوق الإنسانية التي تكفل لهم الحماية والحق في ظل هيمنة الثقافة الغربية، والتي تعوق تحقيق الأمن الثقافي المغربي.

5- المجتمع المدني وتحقيق المتطلبات الاقتصادية لتحقيق الأمن الثقافي المغربي:

حيث يمكن أن تقوم مؤسسات المجتمع المدني بدورٍ هامٍ في تنمية الوعي الاقتصادي في دول المغرب العربي من خلال تعريف الشباب بالمشروعات الاقتصادية الكبرى، وبرنامج الإصلاح الاقتصادي من خلال الخخصة والاستثمار وإلقاء الضوء على القيم الأخلاقية للعمل في ضوء المتغيرات الدولية، بالإضافة إلى إلقاء الضوء على المشكلات الاقتصادية التي تواجه المجتمع المغربي

¹ : دور مؤسسات المجتمع المدني"، في:

وعلى رأسها البطالة والاستهلاك في مظاهر الحياة المتعددة، فكل ذلك يؤدي إلى تهديد للأمن الثقافي المغربي¹.

6- المجتمع المدني وتحقيق المتطلبات الإعلامية لتحقيق الأمن الثقافي المغربي:

تعتبر الوسيلة الإعلامية في مؤسسات المجتمع المدني وسيلة تثقيفية هامة في تنمية وعي الجماهير بالجوانب العقيدة والتراثية وتأسيس القيم الاجتماعية. بما يحقق استقرار اجتماعي في ربط الأفراد بالمجتمع، كذلك تنمية الوعي لدى الشباب بالنظم السياسية والاقتصادية.

ويجب عليها التوسع في إصدار الصحف والمجلات أو النشرات أو الإعلانات في وسائل الإعلام المختلفة، من أجل تنمية الوعي الإعلامي لدى الشباب وتربيتهم تربية إعلامية سليمة تستهدف تقديم المعلومات المتصلة بكافة جوانب المجتمع الدينية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في أسلوب مباشر وبلغة مبسطة، بحيث يتمكن الشباب من خلالها المحافظة على هوية المجتمع وذاتيته الثقافية في ظل التبعية الإعلامية للغرب، حتى يتم تحقيق الأمن الثقافي².

كما ينبغي الاهتمام بمستوى الرسالة الإعلامية في وسائل إعلامها، وما تحتويه هذه الرسالة من حيث الشكل والمضمون على معلومات أو قيم أو أفكار تتناسب مع طبيعة المجتمع المغربي، ومعبرة عن آمال وطموحات الشباب في مستقبل أفضل، عاملة على غرس القيم الإيجابية في نفوسهم، حتى يكونوا قادرين على مواجهة الغزو الثقافي الغربي.

تجدر الإشارة إلى المجتمع المدني في دول المغرب العربي يلعب دورا محدودا جدا و ذلك راجع
للأسباب التالية:

أ- يتسم المجتمع المدني في دول المغرب العربي بالمرحلية و عدم القدرة على الاستمرار أو البقاء،
و ارتباطها برجل واحد.

¹ : دور مؤسسات المجتمع المدني"، مرجع سبق ذكره.

² : أحمد شكر الصبيحي، مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، أكتوبر 2000، ص21.

- ب- التبعية للسلطة و عدم الاستقلالية
- ج- بساطة البنية التنظيمية و التركيز في المناطق الحضرية و المدن الكبرى.
- د- عدم التجانس و كثرة الصراعات الداخلية لأسباب شخصية.

إن التنشئة الوطنية بنوعها السياسي و الاجتماعي لها دور جد هام لتحقيق الأمن الثقافي المغربي، لأنها ترتبط بالفرد منذ طفولته إلى شبابه و التي تعد أهم المراحل التي يتم فيها الاكتساب و الذي يكون مفيدا أكثر إذا كان موجها من طرف مؤسسات تعد ذات أهمية قصوى كالأسرة و المدرسة. كما أن تعاون وسائل الإعلام إلى جانب المؤسسات السابقة، يخدم الهدف الرامي إلى تحقيق الأمن الثقافي، خاصة و أن لها تأثير كبير على الأفراد بالأخص فئة الشباب التي يتم الاتكال عليها في الوصول إلى الرغبة المنشودة، من خلال توجيه الرسالة الإعلامية و انتقائها. كما لا ننسى دور مؤسسات المجتمع المدني التي تعد قريبة من الأفراد و من اهتماماتهم اليومية و عليه يمكن أن تلج داخل نفوسهم و توجههم إلى ما هو أنسب.

حاجتہ

لقد عرفنا كيف عمدت العولمة في جانبها الثقافي، إلى إنتاج نمط ثقافي واحد و تصديره عبر وسائل السيطرة المختلفة كالتقنية و المعلوماتية و الاتصالات، و شيوع ثقافة الصورة و الثقافة الالكترونية. و كيف جعلت كل هذه الأسباب دول المغرب العربي في حالة احتلال عقلي، و بما أن هذه الدول تمثل الطرف الأضعف في المعادلة، فإن تأثير العولمة عليها كان بشكل سلبي، لأنها تستهلك و لا تنتج، و لأن الخاسر في العولمة هو الأضعف إنتاجا. و انطلاقا مما سبق تبين لنا حالة الأمن الثقافي لدول المغرب العربي الثلاث (الجزائر، تونس، المغرب) والذي أصبح مهددا في ظل تنامي ظاهرة العولمة و ضرورة تحقيقه، قبل أن تتلاشى الثقافة العربية الإسلامية لهذه الدول، بعد أن بقي منها إلا المعالم، و الحق أن الغزو الثقافي الخارجي قد نجح إلى حد ما في جعل الثقافة العربية لهذه الدول تأتي في المرتبة الثانية بعد ثقافة الغرب التي أتاحتها العولمة. في حين لم تنهض هذه الدول بثقافتها، كما لم تقم بخطوات ملموسة في سبيل تكريس الثقافة العربية و الرقي بها في مختلف المجالات مما أنعكس سلبا على الثقافة العربية و جعل الثقافات الأخرى تتقدم عليها في بلدها.

و يأتي بعد ذلك تحديد المشكلات التي أتاحت الفرصة للوسائل الثقافية للعولمة، و التي تم استعراضها سابقا و خرجنا من ذلك بمؤشرين رئيسيين

للخطر الذي يهدد الأمن الثقافي المغربي و هما ضعف البنية الثقافية الناتجة عن الإهمال و التقصير من طرف المسؤولين و محاولات الاحتواء و الهيمنة التي تفرضها ثقافات أجنبية في زمن العولمة.

و بناء على كل هذا يمكن أن نستخلص النتائج التالية التي تجيب عن إشكالية الدراسة و تثبت صحة الفرضيات التي طرحناها في البداية:

➤ أن السياسة الاستعمارية التي استهدفت بوضوح استئصال اللغة و الثقافة العربيتين لدول المغرب العربي الثلاث في سبيل عملية مزدوجة تتمثل في إقصائها بيداغوجيا و الحط من شأنها ثقافيا، تعد عاملا من عوامل تشكل الواقع الثقافي المغربي.

➤ أن عملية محو الشخصية المغربية التي باشرها الاستعمار طيلة فترة الاحتلال، استمرت في ظل بروز ظاهرة العولمة مع اختلاف الوسائل و تطورها.

➤ لم تتمكن دول المغرب العربي الثلاث من الانخراط الفعال في العولمة، بل هذه الظاهرة شكلت تحديا كبيرا لها. مما أدى إلى الحديث عن ضرورة تحقيق أمن ثقافي يخص هذه الدول.

➤ تجدر الإشارة إلى أن تعبير الأمن الثقافي هو مفهوم حديث الاستعمال إذا قورن ببقية المفاهيم الشائعة مثل الأمن الداخلي و الأمن الخارجي

و الأمن الصحي و غيرها، كما أن مفهوم الأمن لا يستعمل إلا عندما يكون المجال المتحدث عنه يواجه تحديات و أخطارا محددة.

➤ و لذلك فإننا نلاحظ أن بروز مفهوم الأمن الثقافي ثم تزايد استعماله مرتبط بما تتعرض له الثقافة العربية و الإسلامية من تحديات، و خاصة في عالم اليوم.

➤ تسعى العولمة إلى إيجاد ثقافة عالمية مهيمنة على الثقافة العربية الإسلامية، وذلك من خلال استخدام آليات التقنية المتطورة التي جلبت الاتصال بين الأمم والشعوب، فهي تسعى إلى تعميم ثقافة استهلاك المنتج الغربي، و تهميش كل ما هو محلي.

➤ لا بد من التأكيد على أن ما تتعرض له ثقافتنا حاليا من اختراق و من محاولات تهميش و تدمير هو أعمق أثرا و خطورة مما تتعرض له المجالات الأخرى الاقتصادية و المادية.... ذلك لأن الأمن الثقافي يتعلق بهوية الأمة و بمميزات شخصيتها و وحدتها الحضارية و بالتالي بكيانها و وجودها ذاته.

➤ لا تتم مواجهة الغزو الثقافي عن طريق المعاداة للثقافة الغربية و الانغلاق، بل من خلال التفاعل مع الثقافة الأخرى و التواصل معها و الاستفادة من تجارب أمتها مع الحفاظ على جوهر الثقافة العربية الإسلامية.

➤ تلعب التربية و التنشئة الوطنية بنوعيتها و الإعلام و المجتمع المدني، دورا هاما في صنع أجيال متشعبة و قانعة بثقافتها العربية الإسلامية، تقف بذلك في وجه الغزو الثقافي الموجه، و يتم تحقيق الأمن الثقافي لدول المغرب العربي الثلاث.

و من أجل تحقيق الأمن الثقافي لدول المغرب العربي في زمن العولمة، لابد من استيعاب التطور الحاصل في العالم بما يلائم واقعنا الثقافي مع الحفاظ على مكونات هويتنا الأساسية من دين و لغة، فيجب التسليم بأن الثقافة تتطور و تختلف مع مرور الزمن، فنثقافة الغد مختلفة الاختلاف النوعي عن ثقافة اليوم و تختلف بداهة عن ثقافة الأمس، إن هذه ليست دعوة إلى إهمال الماضي الثقافي و الموروث العربي وإنما هي دعوة لمواكبة التغير دون التخلي عن الثوابت و القيم العربية الإسلامية .

تمت بعون الله و بفضله

قائمة المراجع

أولا :قائمة المراجع باللغة العربية:

1- الكتب:

1. الإبراهيمي أحمد طالب، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962-1972، الجزائر، 1972.
2. أحمد نازلي معوض، التعريب و القومية العربية في المغرب العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1986.
3. أليكس ميكشللي، الهوية، ترجمة علي وطنة، دمشق، دار الوسيم، 1993.
4. أبو داود السيد، الازدواجية اللغوية و تأثيرها على الشباب المسلم، المركز العربي للدراسات و الأبحاث، 2010.
5. أبو يعرب المرزوقي، آفاق النهضة العربية و مستقبل الإنسان في مهب الريح، الطبعة الأولى، بيروت، دار الطليعة، 1999.
6. أبو طالب عبد الهادي، مؤتمر العلاقات الأمريكية- العربية و تحديات العولمة، الدار البيضاء، مارس 1997.
7. إبراهيم عبد الله، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة: تداخل الأنساق و المفاهيم و رهانات العولمة، الطبعة الأولى، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1999.
8. أمين جلال أحمد، المشرق العربي و الغرب، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1980.
9. الأنصاري محمد جابر، التفاعل الثقافي بين المغرب و المشرق، الطبعة الأولى، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1992.
10. أبيض مليكة ، الثقافة و قيم الشباب، دمشق، وزارة الثقافة السورية، 1984.

11. بن سالم بلقاسم، التعليم العصري و نظام التوجيه المدرسي في تونس، تونس، المطبعة العصرية، فيفري 1988.
12. البيطار نديم، حدود الهوية القومية: نقد عام، بيروت، دار الوحدة، 1982.
13. بن نعمان أحمد، فرنسا و الأطروحة البربرية في الجزائر(الخلفيات، الأهداف، الوسائل، البدائل)، الجزائر، منشورات دحلب، 1990.
14. بيرم أحمد ، حياة اللغة العربية، تونس، المطبعة التونسية، 1932.
15. بلقزيز عبد الإله، الولايات المتحدة و المغرب العربي من الاهتمام الإستراتيجي إلى الاختراق التكتيكي، الطبعة الثانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2004.
16. بيليس جون و سميث ستيف ، عولمة السياسة العالمية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، الإمارات العربية المتحدة، مركز الخليج للأبحاث، 2004.
17. الباشا فائزة، الأمن الاجتماعي و العولمة، ليبيا، المركز العالمي لدراسات و أبحاث الكتاب الأخصر، الموسم الثقافي 2006.
18. بن عنتر عبد النور، البعد المتوسطي للأمن الجزائري: الجزائر أوروبا و الحلف الأطلسي، الجزائر، المكتبة العصرية للطباعة و النشر و التوزيع، 2005.
19. بوقنطار حسان، السياسية الخارجية الفرنسية إزاء الوطن العربي منذ عام 1967، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1987.
20. بن عنتر عبد النور، الأمن في المتوسط، الجزائر، المكتبة العصرية للطباعة و النشر، 2005.
21. توفيق سعد حقي، علاقات العرب الدولية في مطلع القرن الحادي و العشرين، الطبعة الأولى، عمان، دار وائل للنشر، 2003.
22. التويجي عبد العزيز بن عثمان، العالم الإسلامي في عصر العولمة، القاهرة، دار الشروق، 2004.

23. جوليان شارل أندريه، إفريقيا الشمالية تسير: القوميات الإسلامية و السيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم و آخرون، تونس، الدار التونسية للنشر، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1976.
24. جوليان شارل أندريه، المعمرون الفرنسيون و حركة الشباب التونسي، تعريب محمد المزالي و البشير بن سلامة، تونس، الشركة التونسية للتوزيع.
25. الجراي عباس، "مكونات الهوية الثقافية المغربية"، مقال نشر في كتاب الهوية الثقافية للمغرب، كتاب العلم، السلسلة الجديدة، الطبعة الأولى، 1988.
26. الجوزي عبد الرحمان، الشفاء في مواضع الملوك و الخلفاء، الطبعة الأولى، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1928م.
27. جغلول عبد القادر، تاريخ الجزائر الحديث: دراسة سوسولوجية، ترجمة فيصل عباس، الطبعة الثانية، بيروت، دار الحداثة، 1982.
28. جفال عمار، العلاقة بين المغتربين و دولهم الأصلية: حالة الجزائر، الملتقى الدولي: الجزائر و الأمن في المتوسط واقع و آفاق، جامعة قسنطينة، 29-30 أفريل 2008.
29. الجابري محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997.
30. الجابري محمد عابد، التعليم بالمغرب العربي، توزيع المركز الثقافي العربي، 1989.
31. الجابري محمد عابد، مسألة الهوية: العروبة و الإسلام... و الغرب، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1995.
32. الحديثي مؤيد عبد الجبار، العولمة الإعلامية و الأمن القومي العربي، الطبعة الأولى، عمان، دار الأهلية للنشر، 2002.
33. حرب علي، حديث النهايات: فتوحات العولمة و مآزق الهوية، الطبعة الأولى، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2000.

34. حرب علي، أوهام النجمة، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1998.
35. حنفي حسن و العظم صادق جلال، ما العولمة؟، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، 1999.
36. الخضير محسن أحمد، العولمة الاجتياحية، الطبعة الأولى، القاهرة، مجموعة النيل العربية، 2001.
37. داوود محمد محمد، اللغة و السياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر، القاهرة، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، 2003.
38. روبرتسون رونالد، العولمة النظرية الاجتماعية و الثقافية الكونية، ترجمة أحمد محمود و نورا أمين، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1998.
39. رمضان موفق ، شؤون الأمن القومي العربي، مؤتمر الأمن الإنساني في الدول العربية، عمان، 2005.
40. رزوق محمد، دراسات في تاريخ المغرب، الدار البيضاء، 1990.
41. الزيري محمد العربي، الغزو الثقافي في الجزائر من سنة 1962 إلى سنة 1982، الطبعة الأولى، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1983.
42. الزيري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر (1954-1962)، دمشق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، الجزء الثاني، 1999.
43. زكريا فؤاد، خطاب إلى العقل العربي، الكويت، كتاب العربي، 1987.
44. زكريا فؤاد و مصطفى شاكر، نحو تنمية عربية تعتمد على الذات: الثقافة العربية و الاعتماد على الذات، الكويت، دار الشباب للنشر و الترجمة و التوزيع، 1988.
45. سعيد إدوارد ، الإستشراق، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1984.
46. سليم جيهان و آخرون، الثقافة العربية: أسئلة التطور و المستقبل، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003.

47. سليمان ياسر، اللغة العربية و الهوية القومية، منشورات Edinburgh Press
University، 2003.
48. السيد محمود، تاريخ دول المغرب العربي(ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب-موريتانيا)،
الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2000.
49. سلامة عبد الرحمن، التعريب في الجزائر ماضيا و حاضرا و مستقبلا، دمشق، 1976.
50. شليبي السيد أمين، العولمة و الأمن الثقافي العربي، الملتقى الدولي حول العولمة و الأمن،
الجزائر، قصر الأمم، 4-7 ماي 2002.
51. الشافعي إبراهيم محمد ، المرجع في علوم التربية، ليبيا، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس،
1978.
52. شايعان داريوس، أوهام الهوية، ترجمة محمد علي مقاد، بيروت، 1993.
53. الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب محمد
الشاوش و محمد عجية، تونس، دار سراس للنشر، 1993.
54. الشيباني عمر محمد التومي، الأسس النفسية و التربوية لرعاية الشباب، طرابلس، الدار العربية
للكتاب، 1973.
55. العسلي بسام، عبد الحميد بن باديس و بناء قاعدة الثورة الجزائرية، الطبعة الثانية، بيروت،
دار النفائس، 1983.
56. عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي: المغرب العربي-فلسطين-
الخليج العربي دراسة تاريخية مقارنة، الكويت، عالم المعرفة، نوفمبر 1983.
57. عبد النور ناجي، الأبعاد غير العسكرية للأمن في المتوسط: ظاهرة الهجرة غير القانونية في
المغرب العربي، الملتقى الدولي: الجزائر و الأمن في المتوسط، جامعة قسنطينة، 29-30 أبريل
2008.

58. عبد الجبار شعبي، نحو بناء تعاون أمني متوسطي لتحقيق الأمن الفكري لمواجهة الإرهاب، الملتقى الدولي: الجزائر و الأمن في المتوسط واقع و آفاق، جامعة قسنطينة، 29-30 أفريل 2008.
59. عامر محمود علي و فارس محمد خير، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى-ليبيا)، سوريا، جامعة دمشق.
60. عبد الرحمان طه، روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، 2006.
61. العروي عبد الله، المغرب العربي محاولة في التركيب، ترجمة ذوقان قرقوط، بيروت، 1977.
62. عبد الرحمان عواطف، قضايا التبعية الإعلامية و الثقافية في العالم الثالث، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، 1984.
63. عمر معن خليل، التنشئة الاجتماعية، عمان، دار الشروق، 2004.
64. غليون برهان و سمير أمين ، ثقافة العولمة و عولمة الثقافة، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، 1999.
65. غرايبة فيصل محمود، الشباب العربي و مستجدات العصر، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006.
66. غليون برهان، اغتيال العقل، الطبعة الأولى، بيروت، دار التنوير، 1985.
67. غربي محمد، الدفاع و الأمن إشكالية تحديد المفهومين من وجهة نظر جيواستراتيجية، الملتقى الدولي: الجزائر و الأمن في المتوسط واقع و آفاق، جامعة قسنطينة، 29-30 أفريل 2008.
68. الغزالي محمد، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، بيروت، دار الشروق.
69. الفيلاي مصطفى، المغرب العربي الكبير نداء المستقبل، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.

70. الفهري عبد القادر الفاسي، دعم اللغة العربية تعزيز للهوية القزمية و التنمية المجتمعية، دور الثقافة العربية في الحفاظ على الهوية، تونس، 2004.
71. فوكوياما فرنسيس، نهاية التاريخ و الإنسان الأخير، ترجمة مطاع الصفدي، الطبعة الأولى، بيروت، مركز الإنماء القومي، 1993.
72. المسيري عبد الوهاب، اللغة و المجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، دار الشروق، 2002.
73. مالكي أحمد، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، الطبعة الثانية، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994.
74. مرقص إلياس ، الماركسية اللينينية و التطور العالمي و العربي في برنامج الحزب الشيوعي اللبناني و في نقدنا لهذا البرنامج، بيروت، دار الحقيقة، 1970.
75. محمد الأمين محمد و الرحمان محمد علي، المفيد في تاريخ المغرب، الدار البيضاء، دار الكتاب.
76. المعموري محمد و عبيد عبد اللطيف و الغزالي سالم، تأثير تعليم اللغات الأجنبية في تعلم اللغة العربية، تونس، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، 1983.
77. مضياف محمد، في الثورة و التعريب، الطبعة الثانية، الجزائر، 1981.
78. الملي محمد، الأمن العربي:التحديات الراهنة و التطلعات المستقبلية، الطبعة الأولى، مركز الدراسات العربي/الأوربي، 1999.
79. محافظة علي، فرنسا و الوحدة العربية 1945-2000، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.
80. مجموعة باحثين، العرب و العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة، بيروت، أفريل 2000.
81. محمود عبد اللطيف، الهجرة و تهديد الأمن القومي العربي، القاهرة، مركز الحضارة العربية، 2003.

82. محسن مصطفى، التربية و تحولات عصر العولمة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2005.
83. المصمودي مصطفى، تأثيرات الإعلام الكوني على الأمن الثقافي العربي، الطبعة الأولى، مركز الدراسات العربي – الأوربي، 1996.
84. محمود منصور ممدوح ، العولمة دراسة في المفهوم و الظاهرة و الأبعاد، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2003.
85. النجيري محمود محمود، الأمن الثقافي العربي: التحديات و آفاق المستقبل، الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية و التدريب، 1991.
86. النابلسي محمد أحمد، سيكولوجية السياسة العربية (العرب و المستقبلات)، الطبعة الأولى، لبنان، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1999.
87. نوار عبد العزيز سليمان، التاريخ الحديث لأوربا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية 1789-1871، القاهرة، دار الفكر العربي، 2002.
88. نعنعي عبد المجيد و نوار عبد العزيز سليمان، التاريخ المعاصر: أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، بيروت، دار النهضة العربية، 1973.
89. النحلاوي عبد الرحمان، أصول التربية الإسلامية و أساليبها، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، 1999.
90. هيجوت ريتشارد، العولمة و الأقلمة، الطبعة الأولى، أبوظبي، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية، 1998.

2- الموسوعات و القواميس:

1. ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، دار الحديث، المجلد الأول، 2003.
2. الرازي محمد عبد القادر، مختار الصحاح، بيروت، مكتبة لبنان، 1988.

3. ريبب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس، الطبعة الأولى، لبنان، دار الأمير للثقافة و العلوم، 1995.
4. الزيري أبو بكر محمد، مختصر العين، تحقيق صلاح مهدي الفرطوسي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ج2، 1999.
5. مصباح عامر، معجم مفاهيم العلوم السياسية و العلوم الدولية، الطبعة الأولى، الجزائر، دار شاوش، 2005.

3- المجلات و الجرائد:

1. أمين جلال أحمد، "العولمة و الهوية الثقافية و المجتمع التكنولوجي الحديث"، المستقبل العربي(بيروت)، العدد 234، أوت 1998.
2. برقوق سالم، "الأبعاد الإستراتيجية للسياسة الثقافية الفرنسية في المغرب العربي"، العالم الإستراتيجي(الجزائر)، مركز الشعب للدراسات الإستراتيجية، العدد 3، 2008.
3. بلقزيز عبد الإله، "في مفهوم الأمن الثقافي"، جريدة الوطن، العدد 1530، 13 جوان 2009.
4. بن عنتر عبد النور، "الدولة و العولمة و ظهور مجتمع مدني عالمي"، شؤون الأوسط، العدد 107، صيف 2002.
5. بركان محمد أرزقي، "التحول هل هو بناء الهوية أم تشويه لها؟"، مجلة فكر و نقد، العدد 12، أكتوبر 1998.
6. بوطالب محمد نجيب، "العولمة و التنوع الثقافي: مسيرة تبلور و تطور الهوية الثقافية المغاربية"، مجلة الجامعة المغاربية، العدد الثاني، السنة الثانية، 2007.

7. الجرييع محمد عبد الإله، "وسائل الإعلام العربي و العولمة الثقافية"، الدراسات الإعلامية، العدد 100، أيلول 2000.
8. جيمس جون، "حركة المدارس الحرة بالمغرب"، أبحاث، العدد 17، 1988.
9. جفال عمار، "قوى و مؤسسات العولمة: التجليات و الاستجابة العربية"، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية و الإعلامية، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية و الإعلام، العدد الأول، شتاء 2002.
10. حميدات ميلود، "المقاومة الفكرية الإصلاحية للمشاريع الاستعمارية في المغرب العربي"، الفكر الحر، العدد 73، أكتوبر 2010.
11. حنفي حسن، "الثقافة العربية بين العولمة و الخصوصية"، الفكر السياسي، العددان 4 و 5، شتاء 1998 - 1999.
12. الحابر زكي، "الثقافة العربية في معركتها ضد الاغتراب"، الناشر العربي، العدد الأول، 1983.
13. حنفي حسن، "المشروع الحضاري الجديد: الماضي و الحاضر و المستقبل"، الوحدة، العدد 105، 1994.
14. الرائد الرسمي التونسي، العدد 95، نوفمبر 1956.
15. روابحية سلوى، "دكتور مورتيمر: المغرب العربي ليس من أولويات سياسة أوباما الخارجية"، مركز الشعب للدراسات الإستراتيجية، يومية الشعب، الجزائر، العدد 14850، 09 أفريل 2009.
16. سييلا محمد، "الثقافة العربية في عصر العولمة"، المجلة العربية للثقافة، العدد 43، 2002.
17. السفطي مديحة، "التعليم الأجنبي في البلاد العربية: الازدواجية في النسق التعليمي و قضية الانتماء القومي"، شؤون عربية (تونس)، العدد 22، ديسمبر 1982.

18. شمس رفعت، "الأمن الثقافي العربي"، أقلام ثقافية (سوريا)، العدد 32.
19. صفدي مطاع، "عصر الاستشهاد الثقافي"، الفكر العربي المعاصر، العدد 13.
20. طراد جميل، "الغزو الثقافي الأمريكي لأوروبا و العالم الثالث"، الوحدة، العدد 3، 1984.
21. طومسون غراهام، "مقدمة تحديد موقع العولمة"، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، تصدر عن اليونيسكو، العدد 160، جوان 1990.
22. ظاهر مسعود، "النهضة العربية و النهضة اليابانية: تشابه المقدمات و اختلاف النتائج"، عالم المعرفة، العدد 252.
23. عايش محمد إبراهيم و آخرون، "أنماط المشاهدة لبرامج الأطفال في محطات التلفزة المحلية العربية"، شؤون اجتماعية، العدد 76، السنة 19، 2002.
24. عبد المالك خلف التميمي، "قضية التعريب في المغرب العربي"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد 1، المجلد 1، 1981.
25. عبد الله عبد الخالق، "العولمة و محاولة دمج العالم"، مجلة العرب، عدد أوت، 1997.
26. عبد الله عبد الخالق، "العولمة، جذورها و فروعها و كيفية التعامل معها"، عالم الفكر، العدد 2، ديسمبر 1999.
27. عبد الله عبد الخالق، "التبعية و التبعية الثقافية: مناقشة نظرية"، المستقبل العربي (بيروت)، العدد 83، جانفي 1986.
28. عبد الدايم عبد الله، "العالم و مستقبل الثقافة العربية"، المستقبل العربي، العدد 222، آب 1997.

29. عبد اللطيف عبيد، "المسألة اللغوية في المغرب العربي"، مجلة الجامعة المغاربية (طرابلس)، العدد الثاني، السنة الثانية، 2007.
30. عرسان علي عقلة، "العولمة و الثقافة"، الفكر السياسي، العدد 4 و 5، شتاء 1998-1999.
31. العزي غسان، "في جذور العولمة و إشكالياتها"، منبر الحوار (بيروت)، العدد 37، شتاء 1999.
32. عبده محمد، "آثار العولمة على الهوية الثقافية"، الفكر السياسي، العددان 4 و 5، شتاء 1998 و 1999.
33. علوي مصطفى، "ملاحظات حول مفهوم الأمن"، دورية النهضة (القاهرة)، تصدر عن كلية الاقتصاد و العلوم السياسية، العدد 5، 2000.
34. العالم محمود أمين، "جدل العولمة و الهوية"، مجلة جسور، العدد 1، 1999.
35. "عن فخ العولمة"، مجلة الفيصل، العدد 269.
36. غازي محمد، "إسلامية المعرفة"، الفكر السياسي و الدستوري، العدد 34، السنة السادسة، 1982.
37. فيلاي رابح، "شخصية و حوار: حوار مع الأستاذ وليد عبد الحي"، جريدة النصر، 1993/10/02.
38. لبيب الطاهر، "العجز عن التعريب في المجتمع التابع"، المستقبل العربي، العدد 29، جوان 1981.
39. لعقاب محمد، "الصراع على المتوسط"، يومية الشروق، العدد 1133، 2004/07/22.

40. "لسان جمعية العلماء المسلمين"، جريدة البصائر، العدد 95، 1938.
41. مقبول إدريس، "الشباب العربي و أسئلة الهوية في أفق القرن الحادي و العشرين"، مقال نشر في مجلة جامعة المولى إسماعيل (المغرب)، مكناس، 2010.
42. ميتلمان جيمس، "هواجس العولمة"، السياسة الدولية، العدد 131، 1998.
43. المقري عبد الناصر، الفرانكفونية و محل اللغة العربية بالمغرب، البيان، 2008/1/26.
44. المشني عوني، "العولمة في الخطاب العربي المعاصر"، مجلة آفاق، العدد 3، ربيع 1999.
45. المصمودي مصطفى، "النظام الإعلامي الجديد"، عالم المعرفة، العدد 124، 1985.
46. معوض نازلي، "الشخصية العربية للجزائر بين الثقافة الفرنسية و السياسة الثقافية العربية"، المستقبل العربي (بيروت)، العدد 17، 1980.
47. منصور درة شلبي، "وسائل الإعلام و الاتصال و التنشئة الاجتماعية"، الإذاعات العربية (تونس)، العدد 01، 2006.
48. "الهجرة العربية عامة و المغاربية خاصة"، شؤون الأوسط، العدد 49، فيفري 1996.

4_ المحاضرات:

1. بن عنتر عبد النور، محاضرة حول توسع مفهوم الأمن، سنة أولى ماجستير، جامعة باتنة، 2009.
2. بغزوز عمر، محاضرة حول التعاون اللامركزي، سنة أولى ماجستير، جامعة باتنة، 2009.
3. حمدوش رياض، محاضرات في نظرية العلاقات الدولية، سنة رابعة علاقات، جامعة قسنطينة، علاقات دولية، 2003-2004.

5 – الرسائل و الأطروحات:

1. بنوار بن صايم، "مصادر التهديد الخارجية لأمن المغرب العربي و آفاقها المستقبلية"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 2003.
2. تيقامونين إبراهيم، "المغرب العربي في ظل التوازنات الدولية بعد الحرب الباردة"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 2005.
3. الحاج علي، "سياسات دول الإتحاد الأوربي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة"، سلسلة أطروحات دكتوراه، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005.
4. حجار عمار، "السياسة المتوسطة الجديدة للاتحاد الأوربي: إستراتيجية جديدة لاحتواء جهوي شامل"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة باتنة، 2002
5. معمري خالد، "التنظير في الدراسات الأمنية لفترة ما بعد حرب ا لباردة دراسة في الخطاب الأمني الأمريكي بعد 11 سبتمبر"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة باتنة، 2007/2008.

6 – مواقع الإنترنت:

1. "أزمة الهوية الإسلامية في البلدان المغاربية"، في:

www.islamweb.htm

2. استعمالات الإنترنت اللغوية تهدد اللغة العربية في :

www.startimes3.almontada.com

3. "الأدب المكتوب بالفرنسية في المغرب العربي و متابعات أخرى"، في:

www.aljazeera.net

4. "التبعية"، في:

www.annabaa.org

5. عبّيد أمل فؤاد، "واقع الثقافة العربية و الإسلامية في ظل العولمة"، في:

www.annabaa.org

6. غليون برهان، سلسلة مقالات نشرت في جريدة الاتحاد الضيائية، عام 1991، في:

<http://mafhoum.com/press2/71p31.htm>

7. خلف بشير، "سؤال الهوية و صدمة العولمة"، في:

www.difa.net

8. يامامورا تاكايوكي، "مفهوم الأمن في نظرية العلاقات الدولية"، ترجمة عادل زقاغ، في:

www.geocities.com/Adel Zeggagh.lints.html

9. غرانغيوم جليبير، "اللغة و الهوية و الثقافة الوطنية في المغرب العربي"، في:

http://www.aslimnet.net/traductions/g_guillaume/1_pouvoir/pouv4/htm

10. "الحركة الوطنية"، في:

www.onfed.com

11. "حول مفهوم الهوية و مكوناتها الأساسية"، في:

www.maktoobblog.com/FCKeditor/editor/fckeditor.html

12. حرب ثقافية بين أمريكا و فرنسا في المنطقة المغاربية في:

<http://www.swissinfo.ch/ara/detail/content.html>

13. عبد السلام رفيق، "اللغة ليست بعيدة عن حالة التراجع الفرنسي عالميا"، في:

www.Islamonline.net

14. الطائي عباس، "آفات اللغة و الهوية"، في:

www.ahwazstudies.org

15. لقاتي عبد القادر، "سؤال الهوية في المغرب العربي"، في:

www.chihab.net

16. شبيب نبيل، "الإتحاد الأوربي المتوسطي على كف ساركوزي"، في:

www.Islamonline.com

17. زكريا يحيى، "الغارة الفرانكفونية على المغرب العربي"، في:

<http://almoslim.net/mode/84748>

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية:

1-Livres/Books :

- 1.Shipman Alene, The globalization myth, T1, Acone Cambridge, 2002.
- 2.André .C, La colonization française en Afrique: Aspects politiques, Paris, Cheam, 1985.
- 3.Nouschi André, La naissance du nationalisme algérien 1914–1954, Paris, Minuit, 1962.
- 4.Kodmani Bassma, Maghreb : les années de transition, paris, IFRI, 1990.
- 5.Chris Brown, understanding international relations, New–York, Palgrave publishers, 2001.
- 6.Julien Charles–Andrés, Le Maroc face aux impérialismes 1915–1956, Paris, Jeune Afrique, 1978.
- 7.Briand Château, Mémoire d’outre tombé, Paris, La Pléade, tome 2, 1951
- 8.Fany Colonna, Le system d’enseignement de l’Algérie Coloniale, Archives Européennes de sociologie, 1972.

9. Morinaud Emile, Encore un mot sur la croisade des naturalisations en Tunisie, La dépêche tunisienne, 1926.
10. Guernier, Léonard Eugène, L'Afrique champ d'expansion de L'Europe, Paris, A. Colin, 1938.
11. Viau Hélène, La théorie critique et le concept de sécurité en relations internationales, note de recherche CEPES Université du Québec à Montréal, n° 8, Janvier 1999.
12. Bisson Jaun, Troin Jaun François, le Grand Maghreb, 2003.
13. Troin Jaun François et autres, Le grand Maghreb (Algérie, Libye, Maroc, Mauritanie, Tunisie) mondialisation et construction des territoires, Paris, Armand Colin, 2006.
14. Roche Jaune Jacques, Théories de la sécurité, Paris, Montchrestien édition, 2002.
15. Bertaud Jaun Paul, La révolution française, Paris, librairie académique, pémin, 2000.
16. Keiger J.F.V, France and the world since 1870, first published, New York, Oxford University Press, 2001.

17. Ben Mustapha Khairallah, L'enseignement primaire des indigènes en Tunisie, La Tunisie actualité, spéciale, 1973.

18. Laroui Abdellah, L'histoire du Maghreb : Un essai de Synthèse, Paris, Maspero, tome 2, 1976.

19. Marty, Le Maroc de demain, Paris, Comité de l'Afrique Française, 1925.

20. Lister Marjorie, The European union and the South : Relations with developing countries, Taylor and Francis Ltd, 1997.

21. Moatassime Ahmed, Langage du Maghreb face aux enjeux culturels euro-méditerranéens, L'Harmattan, Novembre 2006.

22. Raymond Thomas, Le Maroc : Relations de la France avec son empire, Paris, 1859.

2- Dictionnaires :

1. Dictionary of world origin, Librairie du liban, Béirut, 1985.

2. New Webster Dictionary of the English language, 1988.

3- Périodiques

1. Ben Cheikh Abdelkader, "La question linguistique dans l'itinéraire lecture- écriture : L'exemple du milieu éducationnel tunisien", Revue Tunisienne des Sciences Sociales, 3^{ème} année, n^o 4, Tunis, 1976 .
2. Baffoun Alya, "Le rôle du langage dans le développement psychogénétique : Contribution à l'étude du choix de la langue d'enseignement", Revue Tunisienne des Sciences Sociales, Tunis, 10^{ème} année, n^o 32.
3. Guillaume Grand, "Pour une anthropologie de l'arabisation au Maghreb", peuples méditerranéens, n^o1.
4. Ben Salem Hatem, "Le Maghreb sur l'échiquier méditerranéen", défense nationale, Paris, le comité d'études de défense nationale, n^o 07, Juillet 1998.
5. "L'enseignement au Maghreb", Peuples Méditerranéens, n^o78, 1977.
6. Bonnefous Marc, "Réflexions sur une politique arabe", défense nationale, n^o09, Septembre 1998.
7. Leveau Rémy, "Etats-Unis, Europe-Maghreb: nouveaux champs de forces", Le Banquet, n^o 16, 2001.
8. Hugh Roberts, "Algeria's ruinous impasse and the honorable way out", international affairs, volume 71, n 12, April 1995.
9. Zoubir Yahia, "La politique étrangère Américaine au Maghreb : constances et adaptations au Maghreb", journal

d' étude des relations internationales au Moyen-Orient, vol 1,
No 1, Juillet 2006.

4- Sites Internet:

1.About Amideast morocco in :

<http://www.amideast.org/offices/morocco/default.htm>

2."Chronologie de l'histoire de la France", in :

www.e-chronologie.org/France/France.php

3.Moyen-Orient in :

www.defense.gouv.fr

4.La langue arabe, pilier de la sécurité culturelle du pays, in :

www.yenoo.be/.../la-langue-arabe

5.Les pays du Maghreb s'attachent à préserver leur culture in :

zawaya.magharebia.com/fr/zawaya/opinion/111

فهرس المحتويات

9	مقدمة
16	الفصل الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة
17	<u>المبحث الأول: ماهية العولمة</u>
17	المطلب الأول: تعريف العولمة و نشأتها
27	المطلب الثاني: أشكال و تجليات العولمة
31	المطلب الثالث: العولمة الثقافية، مفهومها و أهدافها و تحدياتها
33	المطلب الرابع: المواقف المتباينة من العولمة الثقافية
35	<u>المبحث الثاني: المضامين المختلفة لمفهوم الأمن</u>
35	المطلب الأول: تعريف الأمن و أبعاده
50	المطلب الثاني: المضامين الجديدة للأمن
51	المطلب الثالث: ماهية الأمن الثقافي
57	المطلب الرابع: أهمية تحقيق الأمن الثقافي
60	<u>المبحث الثالث: البيئة الأمنية لمنطقة المغرب العربي</u>
60	المطلب الأول: ماهية منطقة المغرب العربي
62	المطلب الثاني: مصادر التهديدات الأمنية في المغرب العربي
64	المطلب الثالث: طبيعة التهديدات الأمنية في المغرب العربي

- 73.....**الفصل الثاني: مراحل تطور الأمن الثقافي في بلدان المغرب العربي**
- 74.....المبحث الأول: الواقع الثقافي المغربي مع مجيء الاستعمار الفرنسي
- 75المطلب الأول: البناء الثقافي المغربي حسب الاستعمار الفرنسي
- 78.....المطلب الثاني: إستراتيجية الاستعمار الثقافية في المغرب العربي
- 96.....المطلب الثالث: موقف الشعوب المغربية من السياسة الفرنسية قبل الاستقلال
- 103.....المبحث الثاني: واقع الأمن الثقافي المغربي بعد الاستقلال
- 103.....المطلب الأول: بناء الدولة الوطنية في بلدان المغرب العربي بعد الاستقلال
- 116.....المطلب الثاني: دور العامل الخارجي في خلق الواقع الثقافي المغربي بعد الاستقلال
- 126.....المبحث الثالث: الأمن الثقافي المغربي في ظل تنامي العولمة و تحدياتها الثقافية
- 126.....المطلب الأول: التحديات الثقافية الجديدة للعولمة
- 130.....المطلب الثاني: آثار التحديات الثقافية للعولمة على الأمن الثقافي المغربي
- 141.....المطلب الثالث: الإنترنت و ثورة التغيير في تونس
- الفصل الثالث: تفعيل آليات الأمن الثقافي في منطقة المغرب العربي في ظل تنامي ظاهرة العولمة**
- 145.....
- 146.....المبحث الأول: دور التنشئة الاجتماعية و السياسية في تحقيق الأمن الثقافي المغربي
- 146.....المطلب الأول: دور التنشئة الاجتماعية في تحقيق الأمن الثقافي المغربي
- 157.....المطلب الثاني: دور التنشئة السياسية في تحقيق الأمن الثقافي المغربي

166.....	<u>المبحث الثاني: دور وسائل الإعلام في تحقيق الأمن الثقافي المغربي</u>
166.....	المطلب الأول: مفهوم وسائل الإعلام و وظائفها المتعددة.....
169.....	المطلب الثاني: مهام وسائل الإعلام لتحقيق الأمن الثقافي المغربي
178.....	<u>المبحث الثالث: دور المجتمع المدني في تحقيق الأمن الثقافي المغربي</u>
178.....	المطلب الأول: مفهوم المجتمع المدني و خصائصه.....
181.....	المطلب الثاني: مؤسسات المجتمع المدني و تحقيق الأمن الثقافي المغربي.....
189.....	خاتمة.....
193.....	قائمة المراجع.....
214.....	فهرس المواضيع.....